

الإنسان الروحي



الإنسان الروحي

The Spiritual Man

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print

May 1992

Cairo

الطبعة الأولى

مايو ١٩٩٢م

القاهرة

- الكتاب : الإنسان الروحي .
- المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث .
- الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
- الطبعة : الأولى - مايو ١٩٩٢ م .
- المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .
- رقم الإيداع بدار الكتب : **٨١٨٤** / ١٩٩١ م .



قلايشة البنا باشي نوكة الثالث

بنا لله من قلايشة البنا باشي نوكة الثالث (١١٧٧ هـ)

مقدمة الكتاب

محاضرات كثيرة متفرقة ومتنوعة، ألقيناها في الكاتدرائية الكبرى، وفي القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس، وفي الاسكندرية... ولكنها بقيت كذلك متفرقة ومتنوعة، لا يجمعها موضوع واحد.

ثم أنتقينا من تلك المحاضرات العديدة حوالي العشرين ليتألف منها هذا الكتاب، تحت عنوان [الإنسان الروحي].

وربما موضوع (الإنسان الروحي) قد يشمل الحياة كلها. فيشمل كل ما نلقيه من محاضرات روحية. ولكننا أردنا في هذا الكتاب أن نحدثك عن أساسيات تضم في داخلها تفاصيل كثيرة...

وكل بند من هذه التفاصيل، قد يحتاج إلى كتاب خاص.

وهناك موضوعات أخرى تتعلق بالإنسان الروحي أصدرنا لك بها كتباً من قبل، مثل حياة الإيمان، وحياة الشكر، والرجاء، والوجود مع الله، وحياة التوبة والنقاوة، واليقظة الروحية، والسهر الروحي، والغيرة المقدسة... إلخ.

وموضوعات أخرى في صفات الإنسان الروحي، سأحاول أن أصدر عنها كتباً في هذا العام إن شاء الله مثل المحبة، وثمار الروح، ومخافة الله، والتواضع، والوداعة... وكذلك [الوسائط الروحية] التي ينبغي أن يسلك فيها كل إنسان روحي...

وموضوعات أخرى قد تصدر في الجزء الثاني لهذا الكتاب.

لكنني أردت في هذا الكتاب أن أتحدث عن الأساسيات، أو بوجه أصح: عن بعض الأساسيات، تاركاً ما سبق أن نشرنا عنه من قبل...

والكتاب الذي بين يديك هو ثمرة محاضرات، ألقينا بعضها في الستينات، والبعض في السبعينات والثمانينات... وقد شاء الله لها أن تجتمع معاً من عبر السنين. ونشرناها قبلاً، في مقالات اسبوعية متتابعة في جريدة (وطنى). ثم جمعناها في هذا الكتاب.

وهي تُنشر هنا بأسلوب مختصر. وربما بعض هذه الموضوعات نعيد نشرها في كتاب خاص، أو في كتيب صغير.

أتركك الآن أيها القارئ العزيز بين صفحات هذا الكتاب .

وأود في قراءتك لكل موضوع، أن تحفظ بعضاً من الآيات الكتابية المذكورة فيه، لكي تشكل مبادئ روحية ترسخ في نفسك.

وهذه الآيات تذكرك بالمعلومات الخاصة بها، وتمثل مبادئ روحية تسير بمقتضاها في حياتك... وستجد آيات كثيرة جداً في كل موضوع. اختر منها ما يتحرك به قلبك، وما يسهل عليك حفظه. وخذه مجالاً للتأمل...

وإلى اللقاء في الجزء الثاني، إن أحببت نعمة الرب .

وأرجو أن تصلي لكي يعطيني الرب وقتاً .

كن بخير، معافى في الرب ...

البابا شنودة الثالث

فهرست هذا الكتاب

صفحة	
٥	مقدمة الكتاب
٧	الإنسان الروح صورة الله
٨	هو صورة الله
١٧	الإنسان الروحي يجعل الله الأول في كل إهتماماته
٢٧	الإنسان الروحي من صفاته العمق
٣٣	العمق في الصلاة ٢٨ العمق في العبادة
٣٤	أهمية العمق ٢٩ عمق التوبة
٣٥	عمق العطاء ٣٠ عمق الإيمان
٣٥	العمق في الكرازة ٣١ العمق في الصداقة والحب
٣٦	العمق في الخدمة ٣٢ عمق الشخصية
٣٧	الإنسان الروحي قلبه مع الله
٤٥	الإنسان الروحي إنسان قوى
٥٣	مصادر القوة الروحية وأسبابها ومظاهرها وعناصرها
٦٣	مصادر القوة ٥٣ أنواع من الضعف
٦٦	عناصر القوة ٥٦ موقفنا من الضعفاء
٦٨	أنواع الضعف، أسبابها وعلاجها ٦٣ معالجة الضعف
٧١	الإنسان الروحي لا يعتمد على ذراعه البشري
٧٩	الإنسان الروحي في مفهوم الراحة والتعب
٨٠	هناك أنواع كثيرة من الراحة
٨٨	لا تجعل راحتك على تعب الآخرين
٩٦	ما معنى الراحة
٩٧	التعب المقدس والراحة في إراحة الغير
١٠٥	الإنسان الروحي يجي بالروح لا بالحرف
١١١	الصوم ١٠٦ الخدمة
١١٢	المطانيات ١٠٧ يوم الرب
١١٣	الصلاة ١٠٨ الطقوس
١١٤	القبلة المقدسة ١١٠ العقيدة
	العطاء ١١٠

١١٥	الإنسان الروحي بين الروح والنفس والجسد
١٢٢	المستوى الروحي والمقارنة بالمستوى النفساني والجسداني
١٢٥	أمثلة للمستويات الثلاثة
١٢٦	الشهوة ١٢٥ الفرج
١٢٩	الإنسان الروحي من صفاته ضبط النفس
١٣٣	ضبط اللسان ١٣٠ في العقيدة والتعليم
١٣٤	ضبط الفكر ١٣١ في الطاعة والإلتزام
١٣٥	ضبط الحواس ١٣٢ في الطموح والرفعة
١٣٦	ضبط الأكل والشرب ١٣٢ في الحياة كلها
		من جهة الغضب ١٣٣
١٣٧	الإنسان الروحي يحيا فوق مستوى المرئيات
١٤٠	الأشياء التي لا تُرى ١٣٨ . الأشياء التي تُرى
١٤٥	الإنسان الروحي له الشخصية المتكاملة
١٥٢	أهمية التكامل ١٤٦ الخدمة والتأمل
١٥٢	البساطة والحكمة ١٤٦ الكلام والصمت
١٥٣	الطيبة والقوة ١٤٧ الدموع والبشاشة
١٥٣	الحب والحزم ١٤٨ الرحمة والعدل
١٥٤	الوداعة والشجاعة ١٤٩ خطورة الفضيلة الواحدة
		المحبة والخافة ١٥١
١٥٥	الإنسان الروحي من صفاته النجاح
١٦٠	أهمية النجاح وصفاته ١٥٦ مشكلة نجاح الأشرار
١٦٢	البداية والنهاية ١٥٨ مقومات النجاح
١٦٥	الإنسان الروحي يحيا ببدأ إن عشنا فللرب نعيش
١٧١	أهداف خاطئة ١٦٧ كيف نعيش للرب
١٧٣	لماذا نعيش للرب ١٧٠ ما معنى للرب نموت
١٧٥	حياة الغلبة والإنتصار
١٨٣	حياة النصر والحرب للرب
١٨٣	موكب المنتصرين
١٨٥	كيف ننتصر

خلق الإنسان على صورة الله في الطهارة والبر :

الإنسان الروحي قبل السقوط كان بريئاً بسيطاً ، لا يعرف الخطية على الإطلاق أعني أبويننا آدم وحواء قبل السقوط ، حينما كانا عريانين ولا ينجلان (تك ٢ : ٢٥) . لم يكونا قد أكلنا بعد من شجرة معرفة الخير والشر . لذلك ما كانا يعرفان الشر . كانا كالأطفال الأبرياء الذين أحبهم المسيح ، وقال « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) .

الحية خدعت أمنا حواء وكذبت عليها . وأمنا حواء لم تشك في كلام الحية ، لأنها لم تكن تعرف شيئاً اسمه الكذب أو الخداع أو الشك . هذه ألفاظ لم تكن موجودة في قاموسها الفكري في ذلك الوقت .

الإنسان خلق على صورة الله في القداسة :

حقاً ما أجهل تلك الأوقات التي كان فيها آدم وحواء قديسين قبل السقوط . ولكن الذي حدث هو أنه بالخطية فقد الإنسان قداسه ، وبالتالي فقد صورته الإلهية .

وأصبح الإنسان أسير ثنائية عجيبة تلازمه ، هي الخير والشر ، الحلال والحرام ، وما يتبع ذلك من الحياة والموت . وهكذا قال له الله « هوذا قد جعلت اليوم أمامك : الحياة والخير ، والموت والشر... البركة واللعنة . فاختر الحياة لكي تحيا » (تث ٣٠ : ١٥ ، ١٩) .

وإذ فقد الإنسان صورته الإلهية بفقدان القداسة ، فقد النقاوة والبساطة ، بل فقد معرفة هذه الصورة الإلهية أيضاً...

وجاء السيد المسيح « صورة الله غير المنظور (كو ١ : ١٥) ، فأعاد إلينا بتجسده صورة الله حتى نحاكيها ...

فكيف يصل الإنسان الروحي إلى هذه الصورة ؟

يقول القديس يوحنا الحبيب ينبغي « أنه كما سلك ذلك ، هكذا يسلك هو أيضاً » (١يو ٢ : ٦) . وبهذا اختار الله قديسيه « ليكونوا مشابهيين صورة ابنه » (رو ٨ :

(٢٩). وإذا سلك البشر هكذا على الأرض ، فإن سيدنا المسيح - في القيامة العامة - سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في ٣ : ٢١) .

ومن جهة الرجوع إلى صورة الله في القداسة ، يقول السيد الرب « تكونون قديسين لأنى أنا قدوس» (لا ١١ : ٤٥) . وكرر الرب هذه العبارة في (لا ٢٠ : ٢٦) . واقتبسها القديس بطرس الرسول حينما قال :

« نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة ...» (بط ١ : ١٥) .

وأضاف « كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (بط ١ : ١٦) أى ارجعوا إلى صورتكم الإلهية ...

وبهذه القداسة نستحق التناول من الأسرار الإلهية ... وهكذا يقال «القدسات للقديسين» ونسمى القداس الذى يتناول فيه الشعب «قداس القديسين» ... بالقداسة يستعد المؤمنون للتناول . وبالتناول أيضاً يتقدسون . وما أجل العبارة التى قالها صموئيل النبي لبيت يسى يوم اختياره داود ملكاً . قال «تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة» (صم ١٦ : ٤) . وهنا نسأل :

كيف يُدعى الإنسان الروحى قديساً ؟

★ إنه قديس ، لأنه خلق على صورة الله ومثاله .
★ وهو قديس ، لأنه هيكل للروح القدس ، وروح الله ساكن فيه (١ كو ٣ : ١٦) . ولا يمكن أن يسكن روح الله فى هيكل نجس ، إذ يقول المرتل فى المزمور «بيتك تليق القداسة يارب» (مز ٩٣ : ٥) .

★ والمفروض فى الإنسان الروحى أن يكون قديساً كابن لله . والكتاب يقول «المولود من الله لا يخطئ... والشرير لا يمسه» (١ يو ٥ : ١٨) . «ولا يستطيع أن يخطئ» ، لأنه مولود من الله» (١ يو ٣ : ٩) .

* والإنسان الروحي قديس بفعل الأسرار الإلهية .

العاملة فيه . قديس بسر المعمودية الذى صلب فيه الإنسان العتيق (رو ٦ : ٦) .
وغسل من خطاياها (أع ٢٢ : ١٦) . بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس
(تى ٣ : ٥) . وهو قديس بسر التوبة الذى تغفر فيه خطاياها ، وبسر الافخارستيا الذى
به يثبت فى المسيح ، ويثبت المسيح فيه (يو ٦ : ٥٦) .

* * *

* وهو قديس ، لأنه عضو فى جسد المسيح .

(١ كو ٦ : ١٥) وجسد المسيح مقدس هو . فما دام عضواً فيه ، لا بد أن يكون
قديساً . لأنه أية شركة للنور مع الظلمة؟! وأية خلطة للبر مع الإثم؟! (٢ كو ٦ :
١٤) .

وهكذا كان المؤمنون يدعون قديسين فى الكنيسة فى أيام الرسل . وقد تكررت عبارة
«المدعوين قديسين» فى رسائل القديس بولس ، كما فى (رو ١ : ٧) (١ كو ١ : ٢)
(أف ١ : ٤) (كو ١ : ٢٢) . ويقول فى رسالته إلى فيلبى : «سلموا على كل قديس
فى المسيح يسوع» (فى ٤ : ٢١) .

* * *

خلق الإنسان أيضاً على صورة الله فى الكمال ...

والمقصود طبعاً الكمال النسبى ، نسبة لما يستطيع الإنسان الروحي فى جهاده أن
يصل إليه ، حسب امكانياته ومقدار عمل النعمة فيه . أما الكمال المطلق فهو لله
وحده .

وهكذا قيل عن أيوب الصديق أنه «رجل كامل ومستقيم» (أى ١ : ٨) .
وقيل «كان نوح رجلاً باراً كاملاً» (تك ٦ : ٩) . وقال الله لأبينا ابراهيم «سر
أمامى وكن كاملاً» (تك ١٧ : ١) . وقال الرب فى العظة على الجبل :
«كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥ :
٤٨) .

والسيد المسيح كان كاملاً فى كل مرحلة من مراحل السن ، اثناء تجسده على

الأرض . وهكذا أظهر لنا كيف نكون في الصور الإلهية في كل فترة من فترات السن :
في الطفولة والصبوة والشباب والرجولة .

علينا إذن أن نسعى باستمرار نحو الكمال ، لكي نكون صورة الله ونحقق وصيته لنا ...

ونقول كذلك أنه لما خلق الله الإنسان على صورته ، لم يخلقه على صورته فقط في
القداسة والبر والكمال ، وإنما :

خلق الله الإنسان على صورته في السلطة :

وهكذا قال الرب « اثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض واخضعوها . وتسلطوا على
سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تك ١ :
٢٨) . ونفس هذه البركة منحها الله لأبينا نوح وأولاده بعد رسو الفلك ، وقال في ذلك
« ولتكن خشيتكم ورهبتمكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء ... وكل
اسماك البحر » (تك ٩ : ٢) . وهكذا كان نوح في الفلك ، مع كل الكائنات الحية .

حينما كان الإنسان صورة الله ، كان ملك وسيد الخليقة وكاهنها .

ولما فقد الصورة الإلهية ، بدأت الخليقة تتمرد عليه ... الحية تسحق عقبه (تك ٣ : ١٥) .
وإن عمل في الأرض ، لا تعود تعطيه قوتها « (تك ٤ : ١٢) . وبدأ الإنسان يصيد الحيوان ،
والحيوان يفترس الإنسان الذي فقد احترامه ، إذ فقد صورته الإلهية ...

أيضاً خلق الله الإنسان على صورته في القوة :

فالإنسان الروحي هو إنسان قوى ، ولا أقصد القوة الشمشونية الجسدية ، إنما أقصد
قوة الشخصية : قوة الروح ، والفكر والإرادة ، قوة الاحتمال ، القوة في حروب الشياطين
وفي الجهاد الروحي . قوة المعنويات : فالإنسان الروحي لا يهتز ولا يخاف ولا يتردد ،
ولا تسيطر عليه أفكار اليأس ولا الفشل .

والذي على صورة الله ، لا يمكن أن يخاف .

وفي هذا قال داود النبي « إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي . وإن قام عليّ

قتال ، ففي ذلك أن مطمئن (مز ٢٧ : ٣) . إن الخائف ليس هو صورة الله . لذلك فالخائفون لا يدخلون الملكوت (رؤ ٢١ : ٨) . آدم بعدما أخطأ خاف (تك ٣ : ١٠) . وقاين بعدما أخطأ أدركه الرعب (تك ٤ : ١٤) . لأن كليهما فقدوا الصورة الإلهية .

إن القديسين والأنبياء قد أعطوا صورة عميقة لعدم الخوف .

القديس الأنبا أنطونيوس سكن أولاً في مقبرة ، ولم يخف من حروب الشياطين . ولم يخف حينما كانوا يظهرون له على هيئة وحوش تصيح بأصوات مرعبة وتهجم عليه . والشهداء لم يخافوا من كل تهديدات الحكام وتعذيباتهم . ودانيال النبي لم يخف من جب الأسود ، ولا الثلاثة فتية من أتون النار .

والذى على صورة الله يكون دائماً ناجحاً

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، فالذى على صورة الله ، يكون « كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها في حينه . وكل ما يفعله ينجح فيه » . وهكذا قيل عن يوسف الصديق « وكان الرب مع يوسف . فكان رجلاً ناجحاً » (تك ٣٩ : ٢) .

والذى على صورة الله يكون متواضعاً :

حقاً إن الله هو المتواضع الوحيد بالمفهوم الدقيق الذى للكلمة ، لأنه وهو العالى فى سمو علاه ، يتنازل إلى مستوانا ، ويتعامل معنا ، ويتخاطب معنا ويسمع صلواتنا . لكن الإنسان أيضاً يمكن أن يكون متواضعاً حسب مستواه . على الأقل يعرف ذاته أنه تراب ورماد ، ولا يقبل لنفسه أفكار وتصرفات الكبرياء والتعظيم والمجد الباطل ، والإنسان المتواضع تخافه الشياطين ، لأنها ترى فيه صورة الله المتواضع الذى هزمها وحطمها ، حينما أخلى ذاته (فى ٢ : ٦) . أما الإنسان المتكبر فهو فاقد الصورة الإلهية .

الإنسان الروحى على صورة الله فى صفات كثيرة :

فمن صفات الله المحبة . والذى يكون على صورة الله ، ينبغى أن يكون محباً مثله .

و«من يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه» (١ يوحنا : ٤ : ١٦) . إنه وديع ومتواضع . وهو يطلب منا أن نتعلم ذلك منه (متى ١١ : ٢٩) . وبالمثل في باقي الفضائل ... الله هو نور العالم (يوحنا : ٨ : ١٢) . بل هو النور الحقيقي . (يوحنا : ٩ : ٩) . وقد دعانا أيضاً أن نكون نوراً للعالم» (متى ٥ : ١٤) ، على اعتبار أننا صورته ومثاله .

وقال الرب «أنا هو الراعى الصالح» (يوحنا : ١٠ : ١١) . وفي نفس الوقت دعا البعض أن يكونوا رعاة (أف ٤ : ١١) . ومع أنه هو المعلم ، وكان يدعى هكذا ، إلا أنه أيضاً دعا البعض أن يكونوا معلمين (أف ٤ : ١١) (متى ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

وقال البعض أن الله خلق الإنسان على صورته في تجسده : كان يعرف طبعاً الصورة التي سيتخذها حينما سينزل لخلاصنا ، فخلقنا بهذه الصورة التي تجسد بها . وخلقنا على شبهه ومثاله ...

الله يريدنا أن نكون مثله ، صورته ، حتى في العمل . نسير في طريقه ، تكون لنا نفس مشيئته وارادته ، « كما في السماء كذلك على الأرض » (لوقا : ١١ : ٢) . نتكلم كما لو كان الله هو المتكلم على أفواهنا . ننطق بكلامه هو « لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم » (متى ١٠ : ٢٠) . وفي تصرفاتنا « كما سلك ذاك ، نسلك نحن أيضاً » (١ يوحنا : ٢ : ٦) . ونعمل عمله . وفي كل ما نعمله ، نسأل أنفسنا أولاً : لو كان السيد المسيح في مكاننا ، لكان يعمل هذا ... وفي كل حياتنا ، كل من يرانا يقول : حقاً هؤلاء هم أولاد الله ، هم يشبهون أباهم ، كابناء حقيقيين له ...

إن رسالة أولاد الله هي أن يحملوا صورة الله في أشخاصهم إلى العالم . كل من يراهم يعرف الله ويحبه ، لأنه أحب صورته .

كل من يراهم في محبتهم وهدوئهم وشخصياتهم المتكاملة وأمثلتهم الحية ، يجد أباهم الذى في السموات . السيد المسيح صعد إلى السماء ... ولكنه ترك صورته في تلاميذه ، يحملها جيل إلى جيل ، مع تعاليمه .

ولعل البعض يسأل : كيف يكون الإنسان على صورة الله ، بينما الله وحده غير محدود ؟! فهل الإنسان على صورته في هذا أيضاً ؟!

والاجابة هي أن الإنسان محدود بلا شك . ولا يمكن أن يكون مثل الله غير محدود . ومع ذلك فإن الله الذى خلقه على صورته ، وضع في داخله الاشتياق إلى كل ما هو غير محدود . ومن هنا كان الطموح عند الإنسان ، والنمو أيضاً وعدم الاكتفاء . فهو باستمرار ينسى ما هو وراء ، ويمتد إلى ما هو قدام ، يسعى نحو الغرض ، يسعى لعله يدرك (في ٣ : ١٢ - ١٤) ..

وطبعاً الإنسان الذى على صورة الله ، يكون له الطموح الروحى والنمو الروحى ، وليس الطموح فى الماديات والعالميات .

والسؤال الثانى : كيف يكون الإنسان على صورة الله ، والله خالق ؟!

طبعاً الله هو الوحيد الخالق . ولكن أيضاً وهب الإنسان موهبة الابداع والفكر الخلاق ، الذى يقدم باستمرار شيئاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل .. ولكن الفرق هو أن الله يخلق من العدم . أما الإنسان فيستخدم ما خلقه الله ليكون منه شيئاً جديداً .

أستطيع أيضاً أن أقول أننا صورة الله فى التثليث والتوحيد

الإنسان ذات لها عقل وروح ، والذات والعقل والروح كيان واحد . وهو فى ذلك صورة الله ، الذى هو ذات وعقل وروح ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، كائن واحد .

أخيراً أقول أننا مادنا صورة الله ، ينبغى أن نحفظ بهذه الصورة ، ونجاهد ألا نكون صورة للعالم .

إننى أعجب من الذين يريدون أن يقلدوا أهل العالم فى كل شئ ، حتى يقال عنهم إنهم عصريون ، وليسوا متخلفين . وينبغى أن نكون حكماء فى هذا الأمر ، لأن القديس بولس الرسول يقول :

« لا تشاكلوا أهل هذا الدهر... » (روم ١٢ : ٢) .

أى لا تصيروا شكله ، لأن شكلكم أسمى من العالم بكثير ، أنتم صورة الله . وفى هذا

يقول القديس يوحنا الرسول « بهذا أولاد الله ظاهرون » (١ يوحنا : ٣ : ١٠) . إذن لا يليق
بالإنسان الروحي أن يقلد أهل العالم ، بل يكون قدوة لهم ، نوراً للعالم يرون فيه صورة الله ،
ويحبون صورته ...

الإنسان الروحي يقارن نفسه بالصورة الإلهية ، و يسأل ذاته باستمرار: أين أنا الآن ؟
وإلى أين وصلت .

وفي الأبدية السعيدة توجد صورة واحدة ، وهي الله ومن هم على صورته . أما الذين ليسوا
على صورته ، فيطرحون في الظلمة الخارجية .

إنكم يا أختي ، لم تخلقوا لتكونوا مجرد تراب ورماد . فقد خلقكم الله ليعطيكم مجده .
ليكون جمالكم كاملاً ببهائه الذي جعله عليكم » (حزقيال : ١٦ : ١٤) .

والقديس بولس الرسول ، إذ أراد أن يوضح هذه الصورة ، قال في عبارة تحتاج هي
الأخرى إلى توضيح « لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل : ٣ :
٢٧) . فما معنى عبارة « لبستم المسيح » ؟

أتراني أقف أمامها مفسراً ، أم أقف في دهش وذهول ؟ أمام صورة الله ...





الانسان الروحى :

يَجْعَلُ اللهُ الْأَوْلَادَ

فِي كُلِّ هَتَمَاتِهِ

الشواهد: (أش ٤٤: ٦؛ رؤ ١٧: ٨، ١٧؛ رؤ ٢١: ٦؛ رؤ ٢٢: ١٣).
إن الله هو الأول دائماً . وهو أيضاً قال عن نفسه « أنا هو الأول والآخر »
(أش ٢٢: ١٣) .

وكما كان الله الأول ، اهتم بأوائل الأشياء ، وطلبها وبذلك وضع لنا وصية
البكور، في تقديمها ومباركتها ...

فقال « قدس لي كل بكر ، كل فاتح رحم ، إنه لي » (خر ١٣: ٢) . وطلب
البكور أيضاً في البهائم والأغنام (خر ١٣: ١٢ ، ١٥) . وأيضاً أبقار الغلات ، والثمار
(خر ٣٣: ١٦) . وكان يقدم لله أول حزمة من الحصيد (لا ٢٣: ١٠) . وكانت
قطاف باكورة الثمار، أول سنة تعطى للرب . بل حتى باكورات الجز أيضاً (حز ٢٠:
٤٠) حينما يجزون صوف الغنم وكذلك أوائل كل الباكورات .

ولم يطلب الله الأبقار فقط ، وإنما باركهم أيضاً ...

كل شيء له هو مبارك ، بل هو مقدس . لذلك قال « قدس لي كل بكر » . وكان
الله يبارك البكر، له البركة ، وله البكورية ، وله نصيب اثنين من اخوته . وله رئاسة
العائلة بعد أبيه ، وله الكهنوت أيضاً « قبل نظام الكهنوت الهاروني » .

كان شعور كل إنسان يقدم البكور ، أن الله في الأول ...

خيرات أرضه ، ونتاج غنمه وبهائمه ، بل أول ثمر البطن ، كله لله ، وليس له .
وكان يفرح بأن يكون الله أول من يأخذ .

وهكذا إذا نظرنا إلى أول وصية ، نجدها للرب ...

بل ليست الوصية الأولى فقط ، بل الوصايا الأربع الأول ، كل وصايا اللوح
الأول ، كانت خاصة بالرب . أما وصايا اللوح الثاني فهي خاصة بالعلاقات البشرية ،

لأن الله أولاً .

كذلك المحبة موجهة لله أولاً ثم للناس فيما بعد ...

الوصية الأولى والأهم هي هذه « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى » (مر ١٢ : ٢٨ - ٣٠) .

والثانية هي « تحب قريبك كنفسك » فالله أولاً ...

ولأن المحبة هي لله أولاً ، لذلك قال الرب « من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني ، فلا يستحقني . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني ، فلا يستحقني » (متى ١٠ : ٣٧) .

حتى النفس لا تكون أولاً ، بل الله ...

وهكذا قال أنه من أجل الله ينبغي أن تنكر ذاتك وتتبعه . بل قال أكثر من هذا « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يمجدها » (متى ١٠ : ٣٩) .

الإنسان الروحي يجعل الله باستمرار هو الأول في حياته وفي إهتماماته :

ولا يسمح لأية إهتمامات أن تعوقه عن محبة الله ، أو أن تحظى بالأولوية في حياته .

قال السيد المسيح لمرثا « أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد » (١ كو ١٠ : ٤١) .

أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح ، واهتمت به .

وأنت يا أخى بماذا تهتم ؟ ما هي الأولويات في حياتك ؟ حسب أولوياتك ، يكون حماسك ويكون عملك ، وتكون إرادتك .

إن الناس يختلفون في إهتمامهم ، كما اختلفت مريم ومرثا . كان إهتمام مريم بمحبته ، والجلوس عند قدميه والاستماع إليه .

وصارت احدهما مثلاً للخدمة ، والأخرى مثلاً للتأمل .

وقليلون - مثل القديس بولس الرسول - من جمعوا بين الأمرين. الرعاية اهتماموا بالخدمة، والرهبان بحياة التأمل.

وحسب اهتمام كل واحد، هكذا كانت حياته ...

* * *

فهل الله هو الأول في حياتك ؟

ولكى نفهم هذا السؤال نضع أمامنا قصة ابينا ابراهيم، الذى منحه الله إبناً فى شيخوخته. فلما فرح به قال له «خذ ابنك، وحيدك، الذى تحبه، اسحق، وقدمه لى محرقة ...» .

فماذا فعل أبونا ابراهيم ؟ لم يفكر اطلاقاً، بل جعل الله أولاً، ومشاعره هو كأب لاسحق اخيراً، وكذلك مشاعر سارة أم الصبى. الله هو الأول، نحبه ونطيعه. ثم اسحق يأتى فى محبته بعد ذلك، لا يتقدم الله اطلاقاً. الله يريه محرقة، فليكن أمر الله نافذاً ... وبنفذه بسرعة ورضى.

قصة أخرى هى قصة حنة أم صموئيل، التى رزقت به بعد عقمها سنوات، وبعد صلوات وبكاء. ولكنها جعلت الله أولاً. وقدمت هذا الطفل صموئيل لخدمة الرب فى الهيكل.

إنه درس لكل أم. تبخل على الله بتقديم ابنها لخدمته.

سواء طلبة الله للرهبنة أو طلبه للكهنوت ... الله أولاً، ومشاعر الأمومة ثانياً أو ثالثاً بل الواجب أن تقدم هذا الابن بفرح.

وهذا أيضاً درس لكل زوجة، يطلب زوجها للكهنوت.

لا يصح أن تقول: ستشغله الخدمة عنى وعن البيت!! بل يجب أن تقدمه للرب، وتقول: الله أولاً.

* * *

الإنسان الروحي يجعل الله أولاً فى الطاعة ..

ويقول مع الرسول «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥ : ٢٩).

وصايا الله أولاً ، وبعد ذلك كل ما يطلبه الناس ، وبعدئذ كل رغباتنا وطلباتنا الخاصة وكل طاعة للناس يجعلها الإنسان الروحي في نطاق طاعته لله . أما إن تعارضت معها ، فينبغي أن يطاع الله أولاً .

وإذ يجعل الله أولاً ، يضع ذاته أخيراً ، ولا ينظر إلى ذاته مطلقاً ...

انظروا إلى قصة يوحنا المعمدان ، الذي لما ظهر المسيح ، تخلى يوحنا عن كل خدمته ، وعن مجده ، وعن كرازته ، وعن تلاميذه أيضاً ، وسلم العروس للعريس ، ووقف من بعيد يفرح كصديق للعريس ، قائلاً : ينبغى أن هذا يزيد وأنا أنقص « (يو : ٣ : ٣٠) .

* * *

إن السيد المسيح كان كل اهتمامه بالآخرين وبملكوت الله ،

كان « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) « يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف في الشعب (مت ٤ : ٢٣) . يتحنن على الكل ، ويشبع كل حى من رضاه ... يبشر المساكين ، يعصب منكسرى القلوب ، ينادى للمسيبين بالعتق ، وللمأسورين بالاطلاق » (اش ٦١ : ١) .

وفي نفس الوقت لم يهتم بذاته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) .

لم يهتم المسيح بكرامته لما أغلقت احدى قرى السامرة أبوابها في وجهه ، وويخ تلميذه الذين طلبوا أن تنزل نار من السماء لتهلكها . وقال لهما « لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص » (لو ٩ : ٥١ - ٥٦) .

وحتى على الصليب كان كل اهتمامه بخلاص البشر وبالغفرة حتى لصالبيه ، وبالفردوس حتى للص كما اهتم بأمه القديسة العذراء وتلميذه القديس يوحنا .

وأنت ما هو اهتمامك الأول ؟ أهو ذاتك ؟!

* * *

الإنسان الروحي يخرج من دائرة الذات ، لكي يهتم بالآخرين ، ويهتم بهم بأسلوب روحى ...

اهتماماً من عمق القلب ، تصل فيه خدمته إلى مستويات عالية من العطاء
والبذل ، إلى حد بذل النفس أيضاً ، وبذل راحته من أجل راحة غيره .

أحياناً يكون كل اهتمام الإنسان أن يصل إلى غرض ما :

وربما لا يكون غرضاً روحياً ، وإنما هو لإثبات الذات ووجودها ، أو «لارتفاعها»
بطريقة ما ...

وفى سبيل هذا الوصول ، لا يهتم بالوسيلة ماذا تكون : روحية أو غير
روحية ... لا يهمه أن تكون حياً بشرية أو عالمية ، أو طرقاً خاطئة ... تركيز الاهتمام
كله فى الوصول إلى الغرض ، حتى لو ضيع هذا الإنسان نفسه ... مثلما فعل آخاب
الملك فى الحصول على حقل نابوت اليزرعيلى ، وما فعلته الملكة ايزابل فى سبيل أن يصل
زوجها إلى غرضه ، ولو بالجرمة ، والاتهام الباطل لنابوت ، وشهود الزور ... حتى نال
كلاهما عقوبة من الله تناسب ذنوبهما (١ مل ٢١) .

وبالمثل ما فعلته رفقة لكى ينال ابنها بركة أبيه . ومع أن الغرض هنا كان
روحياً ، إلا أن التركيز عليه أفقدهما الوسيلة الصالحة . فاستخدما أسلوب الخداع «
(تك ٢٧) .

وبالمثل قد يهتم خادم آخر أن يملأ عقول سامعيه بالمعلومات ، دون أن يضع
إهتمامه فى حياتهم الروحية كيف ينمون ... كل اهتمامه فى المعلومات لا فى
الروحيات !

أو أب كل اهتمامه أن يلحق أولاده كلاماً من الكتاب يحفظونه . ولا يهتم
بالتدريبات الروحية التى تعمق صلتهم بالله . والكتاب يقول «افعلوا هذه ، ولا تتركوا
تلك» (مت ٢٣ : ٢٣) .

إنسان آخر فى الخدمة ، يهتم كيف تمتلئ الكنيسة بالناس هذا هو كل هدفه ، ولا
يهتم بأن يصل هؤلاء الناس إلى الله . وربما يلجأ إلى وسائل عالمية !!

مثلما تلجأ بعض الطوائف إلى منح المعونات المالية والاجتماعية لجذب بعض

المحتاجين إليهم ، ويخرجونهم بذلك من كنائسهم !! الاهتمام كله ليس في الملكوت ،
إنما في أن يزيد عددهم ولو على حساب كنائس أخرى .

* * *

ولعلنا بعد كل هذا ، نسأل بأي شيء يجب أن نهتم ؟

إن ربنا يسوع المسيح يقول في العظة على الجبل :

« اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره » (مت ٦ : ٣٣) .

هناك مشكلة نجدها في انفاقات ومشروعات بعض الكنائس ...

غالبية المال قد تنفقه على البناء والتعمير، أو على تجميل الكنيسة وتزيينها بالديكور
وبالأ يقونات وبالنجف الغالى . ولا يعطى مجلس الكنيسة ولا كهنتها نفس الاهتمام
لخدمة الفقراء والحالات المحتاجة من أجل الأحياء المجاورة المحتاجة إلى رعاية
روحية ، ولا حتى الاهتمام بالخدمة الروحية في نفس الكنيسة .. للأسف كل الإهتمام
مركز في البناء والديكور...

* * *

نفس الوضع في عناية الأسرة بالطفل ...

يقول الأب والأم ان إهتمامها الأول هو تربية أطفالهما ورعاية مستقبلهم . وحسناً
يقولون . ولكن أى نوع من التربية يهتمون به ؟ إنهم يهتمون بصحة أولادهم ، وأكلهم
وشربهم ولبسهم ، وأيضاً تعليمهم واعدادهم لوظيفة لائقة . ثم بعد ذلك بتزويجهم ..
ويقول الأب بعد ذلك ، وتقول الأم كذلك : « أشكرك يارب ، إنى أديت رسالتى نحو
أبنائى . الآن ضميرى استراح من جهتهم » .

ومع ذلك لا يضعون اهتمامهم الأول بتربيتهم الروحية ومصيرهم
الأبدى. !!

لا يعطونهم الغذاء الروحى اليومى ، مثلما يعطونهم غذاءهم الجسدى . وإن سألتهم
عن واجبهم فى ذلك ، ربما يجيبون « إننا أرسلناهم إلى مدارس الأحد » .. دون متابعة
لما اخذوه أو حفظوه من دروس ، ودون اضافة شيء خلال الأسبوع . كأن الأب غير
مستول عن معلومات ابنه الدينية ، وعن تربيته روحياً !! وكأن الأم غير مستولة ، وهى

التي استلمت ابنها من المعمودية كاشبينة له تتعهد بالعبادة الروحية، والتعليم
الديني، وبالتدريب على الفضائل...

* * *

وفي الخدمة الاجتماعية، قد نجد نفس الظاهرة.

اهتمامنا الأول أو الوحيد هو في العناية بالفقراء مادياً، سواء في المساعدات
المادية، أو مشاكل التعطل أو المرض أو الاسكان... وما إلى ذلك. ويندر أن يعطى
اهتمام حقيقي بروحيات هؤلاء المحتاجين... وإن عقد لهم اجتماع روحي، قد يكون
شكلياً... لا اهتمام فيه بربط هؤلاء الناس بالله، وبالاطمئنان على حياتهم الروحية،
وعلى تناولهم واعترافاتهم وتوبتهم...

* * *

نفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الصلاة في مجال الخدمة، وفي حياة كثير من
الخدام... إنهم يهتمون بتحضير الدرس، أكثر من اهتمامهم بتحضير أنفسهم روحياً...
يهتمون بمواعيد الخدمة، واجتماعاتها، وبالصور والهدايا، والمكتبة والنادي، وبالافتقار
وبالأنشطة... ونادراً ما يهتمون على نفس القياس بصلواتهم! فلا نجد اجتماعات
الصلاة، مثل اجتماعات الشبان والشابات.

النشاط يأخذ الاهتمام الأول، وليس الصلاة.

ولو دخلنا في التفاصيل، لوجدنا أيضاً العمل الروحي لا يأخذ الاهتمام الأول...
فالنادي مثلاً: قد نهتم بمكانه، وترتيبه، وما توجد فيه من ألعاب ومن أنشطة رياضية
وتسلية. وقد نهتم بتنظيم الكارنيهات والمواعيد، والمسابقات، وفرق التمثيل
والكورال... وفي كل ذلك قد لا يوجد الاشراف الروحي الكامل. ونجد النوادي في
ضوضائها وفي اخطائها، ولا تعطى الصورة الروحية المرجوة، وربما لا تختلف عن
النوادي العادية لعدم وجود المشرف الروحي...

لماذا؟ الجواب الصريح... لأننا لم نضع الله في قمة اهتمامنا.

* * *

وأنت مثلاً حينما تستيقظ كل يوم، بماذا يكون اهتمامك؟

هل تهتم بحياتك اليومية، تغسل وجهك، تفرغ، تعد ملابسك، تستعد للذهاب

إلى عملك؟ أم اهتمامك الأول كيف نبدأ اليوم مع الرب، بالصلاة والقراءة والتأمل...؟ حسب اهتمامك سيكون تصرفك...

البعض يعتذر أحياناً ويقول: لم يكن لدى وقت للصلاة...! وأنا دائماً أرفض هذا العذر، ولا اعتبره السبب الحقيقي، وأقول:

لو وضعت الصلاة والتأمل في قمة اهتمامك، لأمكنك أن تجد لهما وقتاً... لذلك اجعل الله له الأولوية. في كل شيء...

* * *

في الراحة مثلاً: لا تفضل راحتك الجسدية، على عملك الروحي مع الله، سواء في الصلاة أو الخدمة. لا تستسلم للنوم أو للاسترخاء، وإنما ينبغي أن تضحي براحتك من أجل الرب.

كذلك في الصوم، لا تقل «صحتي» لا تقل: احتياجي إلى البروتينات، والاحماض الأمينية الرئيسية، وإنما قل: الله أولاً.

هكذا ليكن الله أولاً، في موضوع العطاء والعشور...

لا تهتم بكل إنفاقك الأخرى، وتضع الله في آخر القائمة، إن بقي له شيء، كان بها. وإن لم يبق شيء، نعتذر للرب، أو نؤجل حقوقه. ذلك لأن الله ليس هو الأول.

* * *

كذلك، ليكن الله في أول كل عمل، وكل يوم.

أول شخص تكلمه في كل يوم، هو الله. وكل عمل تعمله، تضع فيه الله أولاً. تصلي في دخولك، وفي خروجك، وفي أكلك وشربك، وفي عملك، تكلم الله أولاً...

إن وضعت الله في الأول، لن تخطيء إليه:

ذلك لأنك تضعه فوق رغباتك العالمية، وفوق كل لذة أرضية. ويكون الله أمامك باستمرار، والعالم خلفك...

الإنسان يخطيء لأنه لم يضع الله أمامه، ولم يسبق فيتذكره قبل كل سقوط. ولم يحسب حساباً لمشاعره.

اجعل الله الأول ، من جهة الوقت ، ومن جهة الأهمية ، ومن جهة الرغبات ،
ومن جهة الحب والاشتياق ، ومن جهة الطاعة أيضاً... ليكن الأول في كل شيء .
وحينما يقول الرب « يا إبني أعطني قلبك » إنما يقصد أن تكون له هذه الأولوية
في حياتك ومشاعرك واهتماماتك . حتى إن تعارض معه شيء ، تقول في داخلك
« ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » وخسارة نفسه ما هي إلا
حرمانها من الله ...

* * *

إن الإنسان الروحي ليس فقط يجعل الله أولاً وقبل كل شيء . بل تكون
علاقته بالله هي كل شيء في حياته ...

ويقول مع الرسول « لى الحياة هي المسيح » (في ١ : ٢١) . ويقول أيضاً
« لأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فيّ » (غل ٢ : ٢٠) .
وأخيراً لست أريد أن أثقل عليك بنصائح كثيرة . إنما أقول لك نصيحة واحدة ،
إن نفذتها تكون قد نفذت جميع الوصايا ، وهي :
اجعل الله في بدء اهتماماتك ، ولا تعش مستقلاً عنه أو غريباً عنه ، ابدأ به
يومك ، وابدأ به كل عمل .





الإنسان الروحي :

من صفاته : العُمق

العمق فى الصلاة

لقد تأثرت جداً من المزمور الذى تضرع فيه داود النبى (مز ١٣٠) والذى نبدأ به صلاة النوم، ونقول فى أوله :

من الأعماق صرخت إليك يارب . يارب استمع صوتى .

من الأعماق صرخت : من عمق القلب والعاطفة . من عمق الاستغاثة ، مثلما نقول فى المزمور الكبير « من عمق قلبى طلبتك » (مز ١١٩) . من عمق الإيمان والثقة بأنك ستستجيب . نعم من الأعماق صرخت : من عمق تعبى واحتياجى ، من عمق ضعفى وعجزى وعدم قدرتى ... من عمق الهاوية التى أنا فيها ...

إنها صلاة عميقة ، كصلاة يونان وهو فى بطن الخوت .

نعم ، من الأعماق صرخت إليك ، لأنه لا يوجد غيرك مخلص ومنقذ ... تماماً كصلاة الشعب مثلاً ، قبل نقل الجبل المقطم ... صلاة يتوقف عليها مستقبل الكنيسة كلها ...

أو لعلها كصلاة فى قلب دانيال ، وهم يلقونه فى جب الأسود ... أو صلاة فى قلب الثلاثة فتية ، وهم يلقونهم فى أتون النار ... من عمق القلب . من عمق الاحتياج ... مثل صوت غريق ، وهو ينادى قارب النجاة ... ليسرع فى الوصول قبل أن يغرق ...

كصلاة إيليا ، وهو يطلب نزول الماء على محرقة (١ مل ١٨) ... أو صلاة الشعب وهو يطوف حول أسوار أريحا (يش ٦) .

ليس المهم طول الصلاة ، أو انتقاء الفاظها ، إنما عمق المشاعر فيها ...

صلاة الفريسي كانت أطول من صلاة العشار . ولكن العشار « نزل إلى بيته مبرراً دون ذلك » (لو ١٨ : ١٤) . لماذا ؟ لأنها كانت صلاة من العمق : من عمق الاتضاع

والانسحاق، والشعور بالندم والحزى ... وقف من بعيد، ولم يجرؤ أن يرفع نظره إلى فوق ... وكانت ألفاظه القليلة كافية . لأن الرب نظر إلى أعماقه ...

ومثل صلاة العشار، كانت صلاة اللص اليمين .

صلاة قصيرة ، ولكنها عميقة . صلاة إنسان في ساعاته الأخيرة ، وهو على حافة الموت . ومن أعماقه يتطلع إلى أبعده كيف يكون ، فيطلب من الرب أن يذكره . يقول ذلك وهو في عمق الانسحاق ، وقد قال لزميله من قبل «أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا » (لوقا ٢٣ : ٤١) ... حقاً إنها صلاة مصيرية ، لذلك قيلت بعمق ... واستجيبت .

جملة واحدة يقولها إنسان بعمق «يارب ارحم» مثلاً . فيتقدم واحد من الأربعة والعشرين قسيساً ، فيأخذ هذه الصلاة في مجمرته الذهبية ، ويصعد بها إلى عرش الله كرائحة بخور مع صلوات القديسين (رؤ ٥ : ٨) . وإنسان آخر يقول هذه الصلاة عشرات المرات ، ولا تصل واحدة منها ، كأنه لم يكن يصلي !!

* * *

كيف نميز إذن الصلاة التي بعمق ؟

إنها صلاة فيها شعور صلة بالله . صلاة بعاطفة ، بفهم ، بتأمل ، بتركيز ... بحرارة ، بشعور ، بحب ... صلاة باتضاع بانسحاق ... بإيمان ، بثقة ، برجاء . صلاة بروح ، وليست مجرد ألفاظ ... ليس المهم فيها مقياس الطول ، بل مقياس العمق . لأن الكتب والفريسيين وأمثالهم ، كانوا لعله يطيلون صلواتهم !! (مت ٢٣ : ١٤) .

إن بولس كان يحب أن يقول خمس كلمات بفهم ، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلا معنى (١كو١٤) ... هكذا ينبغي أن نكون في صلواتنا ، ونحرص أن تخرج من أعماقنا ... وإن اجتمع الطول مع العمق ، يكون أفضل جداً .

أهمية العمق

ما أجمل قول المرتل في المزمور :

« كل مجد ابنة الملك من داخل » (مز ٤٥) .

على الرغم من أنها «مشملة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأعمال كثيرة» ولكن كل مجدها في عمقها... في داخلها، في قلبها.

صدقوني، إن عملاً واحداً يعمل الإنسان بعمق، ربما توزن به حياته كلها. ويبقى هذا العمل، ويسجل في التاريخ، من أجل عمقه. وسأضرب لذلك مثلاً:

عَمَقُ الْعَطَاءِ

خذوا العمق الذي أخذ به ابراهيم ابنه، ليقدمه محرقة:

كان في تقدمته في عمق المحبة لله... كان يحب الله أكثر بكثير من ابنه، وحيدته، الذي تحبه نفسه، ابن المواعيد، الذي ناله بعد صبر سنوات طويلة... وفي تقدمته أيضاً كان في عمق الطاعة لله، وفي عمق التسليم للإرادة الإلهية. بل أيضاً كان في عمق الإيمان، لأنه كان يؤمن أنه على الرغم من تقدمته، لا بد سيأتيه منه نسل مثل رمل البحر...

وفي تقدمته اسحق، كان ابراهيم في عمق العطاء.

لا يوجد عطاء أعمق من هذا، أن يقدم ابنه الوحيد، ابن المواعيد. وكمثال لعمق العطاء أيضاً الأرملة التي قدمت فلسين. لذلك مدحها الرب، وقال إنها أعطت أكثر من الجميع، ليس لمقدار عطائها، إنما لعمقه، لأنها أعطت من أعوازاها (مر ١٢: ٤١-٤٤).

لعله من أمثلة عمق العطاء أيضاً ما قدمته أرملة صيدا لإيليا النبي. كل ما قدمته هو «ملء كف دقيق، وقليل من الزيت في الكوز» (١مل ١٧: ١٢). ولكن عمق هذه التقدمة، كان في أنها كل ما كانت تملكه في وقت المجاعة... لتأكله هي وابنتها، ثم تموت... ولكنها فضلت النبي على نفسها وعلى ابنها...

وعمق العطاء نراه أيضاً في أمثلة أخرى:

مثل الذي يقدم عشور أمواله، وهو في منتهى العوز والحاجة، أو يقدم بكور مرتب كان ينتظره منذ زمن ليسدد ديونه... أو خادم يقدم وقته للخدمة، في أهم أيام

الامتحانات ، وهو في حاجة إلى كل دقيقة ... أو الذي يقدم أحد أعضاء جسده ، لينقله إلى مريض محتاج إليه حياً في هذا المريض وإشفاقاً عليه ، أو الذي يستدين ليعطى إنساناً معوزاً ...

العمق في الكرازة

إن المسيحية بدأ تاريخها بالعمق في العمل الكرازي ، الذي تركز في اثني عشر رسولاً ، بعضهم من جهال العالم والمزدري وغير الموجود (١كو١ : ٢٧ ، ٢٨) . ولكنهم بكل جدية وأمانة والتزام ، دخلوا في الخدمة ، بكل جهد ، وتحملوا الجلد والسجن والإضطهاد ، لكي يوصلوا كلمة الله إلى كل أحد . وهكذا الذين « ليس لهم صوت ولا إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » (مز ١٩) .

ويعبر بولس الرسول عن عمق هذا العمل الكرازي واحتماله فيقول :

« في كل شيء نظهر أنفسنا لله ، في صبر كثير ، في شدائد في ضرورات في ضيقات ، في ضربات في سجون في اضطهادات ، في أتعاب ، في أسهار في أصوام ... كمضلين ... كمجهولين ... كمائتين ... كحزاني » (٢كو٦ : ٤ - ١٠) .

وعمقهم ظهر في غيرتهم المقدسة التي لم تكن تهدأ .

يعملون من أجل الرب في كل وقت ، مناسب وغير مناسب (٢تى٤ : ٢) . حتى في السجن (أع ١٦) ... بولس كتب بعض رسائله وهو في السجن ... بل حتى أثناء محاكمتهم أيضاً ، مثلما وقف بولس أمام فيليكس الوالي (أع ٢٤) وأمام أغريباس الملك (أع ٢٥) وكانوا يتكلمون بكلمة الله بكل مجاهرة (أع ٢٨ : ٣١) .

يذكرنا هذا بالمبشرين الذين نقلوا الإيمان إلى بلاد شعبيها من أكلة لحوم البشر ...

هنا يبدو العمق في محبة الله وملكوته ، والعمق في خدمة الكلمة ...

العمق في الخدمة

بعض الخدام يقيسون خدمتهم بمقاييس خاطئة ، لها المظهر الشكلي من الخارج وليس لها العمق . مثل من يقيس خدمته بكثرة عدد تلاميذه ، أو بكمية الدروس ونوعيتها ، وما يتلقاه التلاميذ من المعرفة الدينية . أو خادماً يقيم خدمته بارتقائه من خادم ابتدائي إلى خدمة ثانوى أو إعداد خدام ، أو بمظاهرات أخرى من تنظيمات في الخدمة ، وكراسات تحضير الدروس أو كراسات الافتقاد . وينسى الخادم في كل ذلك ما يتعلق بعمق الخدمة ، وعملها في قيادة التلاميذ إلى التوبة ، وإلى محبة الله .

وقد يوجد خادم بلا فصل ، وخدمته أكثر عمقاً .

كخادم يشتغل في العمل الفردى . وكل من يلتقى به يجذبه إلى محبة الله ، ويلهب قلبه بكلمات النعمة التي تخرج من فمه . وفي كل يوم يضم إلى الكنيسة أعضاء جدد ما كانوا يدخلون الكنيسة من قبل ...

أو أنه يخدم في حل المشاكل العائلية ، بكل تعب وعمق ومثابرة . وقد يقضى أيام طويلة ويسهر ويقنع ، لكي يدخل سلام الله إلى البيت . ولا أحد من كبار الخدام في الكنيسة يعرف عن خدمته شيئاً ...

وأعرف خادم كان يعمل معنا منذ أكثر من أربعين عاماً ، كنا نسمى فصله (فصل الشواذ) ، لأنه كان يجذب الأولاد المتسكعين في الشوارع ، أو في المقاهى وأمام دور اللهو ، ويحوّطهم ليس فقط إلى تلاميذ ثابتين في الكنيسة ، بل أن بعضهم صاروا خداماً ...

ومن أمثلة الخدمة العميقة ، قصة فيلبس مع الخصى الحبشى ...

فيلبس ، وهو سائر في الطريق ، يرى مركبة الخصى وهو يقرأ سفر اشعياء ، فيبدأ أن يشرح له في عمق ، حتى يجذبه إلى الإيمان ، وإذ يعلن الخصى إيمانه من كل قلبه ، ينزل الإثنان فيعمده ... هل أخذت هذه الخدمة ساعة أو أكثر أو أقل . لكنها كانت عميقة ومثمرة ...

مثالها أيضاً خدمة المعمدان واسطفانوس الشماس .

في عمق شديد خدم المعمدان حوالي ستة أشهر أو أكثر بقليل . وفي خلال تلك المدة القصيرة ، مهد الطريق أمام الرب ، بشعب مستعد ، قاده المعمدان إلى التوبة وعمودية التوبة ... حتى أن الرب قال : لم تلد النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان ، وقال إنه أعظم من نبي (مت ١١ : ١١ ، ٩) .

كذلك اسطفانوس الشماس ، كانت خدمته قصيرة ، ولكن عميقة جداً . سيرته بدأت في (أع ٦) واستشهاده في (أع ٧) . واستطاع في تلك الفترة القصيرة أن يجعل جماهير كثيرة تنضم إلى الإيمان ، وأفصح كثيراً من المجامع . ولم يستطيعوا أن يقاوموا القوة ، ولا الروح الذي كان يتكلم به (أع ٦ : ١٠) .

* * *
إن الكلمة العميقة تستطيع أن تأتي بثمر كثير .

عظة واحدة بعمق عمل الروح القدس فيها استطاعت أن تضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف تعمّدوا معاً في يوم الخميس ...

إنسان يكلمك كلمة فتلمس قلبك ، ولا تفارق ذهنك مطلقاً ، تتمشى معك في الطريق ، وتصاحبك في نومك وفي صحوك . وتعمل فيك عملاً كثيراً . إنها كلمة خرجت من العمق ، ووصلت إلى العمق . وكان لها تأثيرها وفعاليتها وقوتها . وأصبحت تعمل عملاً عميقاً مثلها ...

* * *

نتقل إلى نقطة أخرى وهي العمق في العبادة :

العمق في العبادة

كثيرون يهتمهم المقياس الطويل في الصوم مثلاً ، وفي الصلاة وعدد المزامير ، وفي المطانيات ، دون أن يهتموا بالعمق في العبادة . وقد يصوم الإنسان أربعين يوماً أو خمسة وخسين ، وربما يشتد على نفسه من جهة الطعام . ولكن بغير عمق في العمل الروحي ، في الانتصار على النفس ، في ضبط الإرادة والحواس ، والفكر أثناء الصوم . وكان الصوم مظهر خارجي ، وفي الداخل في الأعماق ، لا شيء على الإطلاق . ويخرج من الصوم

بنفس الطباع والأخطاء . أما الذى يصوم بعمق روحى ، وتصوم نفسه مع جسده ، ويصحب صومه بانسحاق القلب والتوبة والخشوع والتدريبات الروحية ، فهذا يأتى بشمر كثير .

كذلك المطانيات ، فى عمقها لا فى عددها .

إنسان تلتصق بالتراب نفسه ، وليست مجرد رأسه تنحنى ، دون أن تنحنى كبرياؤه من الداخل .

* * *

ونفس الوضع فى القراءة وعمقها وتأثيرها .

ليس المهم أن تقرأ عدداً كبيراً من الاصحاحات ، وإنما ما تتركه هذه القراءة فى نفسك من عمق وتأثير .

إن آية واحدة سمعها الشاب أنطونيوس ، وأخذها بعمق ، أمكنها أن تغير حياته كلها ، وتنشئ منهجاً روحياً كبيراً اتبعه الآلاف من الملائكة الأرضيين والبشر السمايين . وامتد تأثيرها إلى أجيال طويلة سارت على نفس النهج ... فهل أنت تقرأ بنفس العمق الذى استمع به القديس أنطونيوس إلى تلك الآية .

إن الكتبة والفريسيين كانوا يقرأون كثيراً ، بل كانوا من علماء عصرهم بالكتاب . ولكن لم يكن لهم عمق ، لا فى الفهم ولا فى التطبيق . فلم يستفيدوا شيئاً ، بل أعتروا غيرهم .

انظر إلى داود النبى فى عمق قراءاته .

إنه يقول للرب « لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً » (مز ١١٩) . ويقول « اكشف عن عيني ، لأرى عجائب من شريعتك . وعمقه فى القراءة ، كان يجلب له الفرح واللذة ، كمن وجد غنائم كثيرة . ويكون كلام الله أحلى من العسل والشهد فى فمه (مز ١١٩) .

عَمَقُ التَّوْبَةِ

كثيرون تابوا ، ورجعوا كما كانوا ، لأن توبتهم لم تكن بعمق .

أما الذين تابوا بعمق ، فلم يعودوا إلى الخطية مرة أخرى .

كانت التوبة نقطة تحول مصيرية في حياتهم ، تدرجوا منها إلى النمو في حياة البر ، حتى وصلوا إلى درجات عالية من الكمال المسيحي ، مثل داود النبي في انسحاقه ودموعه .. وأوغسطينوس الذي ترهب وصار أسقفاً ، ودافع عن الإيمان المسيحي ، وله تأملات روحية عميقة جداً ... وموسى الأسود الذي نما في الحب والوداعة وخدمة الناس ، وصار من آباء البرية ... ومريم القبطية التي سمت في حياة الوحدة ، حتى صارت في مرتبة السواح ، وباركت القديس زوسيم القس .

* * *

الذين هم خطايا يكررونها في كل اعتراف ، لم يتوبوا بعد ...

والذين لا تصحب توبتهم مشاعر الانسحاق والندم ، والشعور بعدم الاستحقاق ، هؤلاء ليس لهم عمق في التوبة ، وما أسهل رجوعهم إلى الخطية . ومثلهم أولئك الذين في توبتهم يسرعون إلى حياة الفرح ، دون أن تنضج توبتهم وتثمر .

عَمَقَ الْإِيمَانَ

الإيمان العادي يدعيه الكل . ولكن ليس كل مؤمن عميق في إيمانه . بطرس الرسول آمن إلى حين ومشي مع المسيح على الماء . ثم ضعف إيمانه فسقط . ووبخه الرب قائلاً « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت » (متى ١٤ : ٣١) . الإيمان العميق لا يشك ولا يخاف ، بل يمكن أن ينقل الجبال (مت ١٧ : ٢٠) . بل أعظم ما قيل عن الإيمان العميق ، قول الرب :

كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) .

إيمان له قوته ، وله نصرته ، وله فاعليته حتى يشمل الحياة كلها .

العمق في الصداقة والحب

قد يوجد صديق لك ، تدوم صداقته عشرين عاماً ، ثم بسبب لفتة معينة ، أو وشاية ، أو خبر غير صحيح قد سمعه ، ينقلب ويتغير . وتقول له «عندى عليك أنك

تركت محبتك الأولى» (رؤ ٢ : ٤) . أما المحبة العميقة فيقول عنها الكتاب :

« مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة » (نش ٨ : ٧) .

« المحبة قوية كالموت » (نش ٨ : ٦) « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣ : ٨)
سواء كانت محبة نحو الله أو الناس .

عميقة مثل محبة الأم لرضيعها... مثل المحبة بين داود ويوناثان . محبة تتبع إلى الصليب ، مثل محبة يوحنا للمسيح . محبة « ليست بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٨) .

أعمق محبة هي التي تبذل ، حتى ذاتها .

كمحبة الرب على الصليب . أحب حتى بذل (يو ٣ : ١٦) .

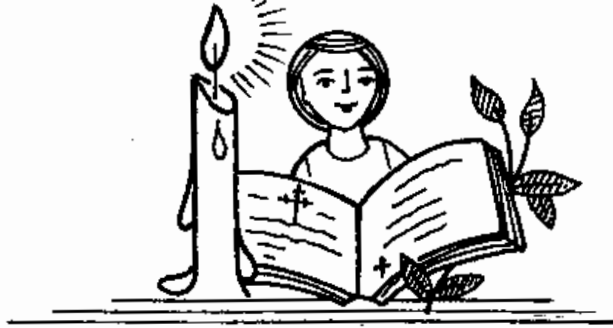
عَمَقُ الشَّخْصِيَّةِ

هناك أشخاص يتميزون بالعمق ، وآخرون بالسطحية .

فالشخصية العميقة ، لها عمق في التفكير والتدبير ، عمق في الذكاء والفهم . الشخص منهم له ذكاء شمولي ، يشمل كل شيء . إذا بحث موضوعاً ، يفكر فيه من جميع زواياه ، ويعمل حساباً لكل النتائج وردود الفعل . وإذا تكلم يتكلم بعمق ...

كذلك في العمل والمسئولية ، يتناول كل شيء بعمق ، مثل يوسف الصديق وهو وزير تموين لمصر . ومثل يوكايد في عمق تربيتها لابنها موسى النبي ...

فمثلاً التلميذ الذي يذاكر بعمق ، يذاكر بفهم وتركيز ، وبعقل منتبه ، لا ينسى . ليس المهم عدد ساعات مذاكرته ، إنما عمق الفهم والحفظ .





الانسان الروحاني :

قلبه مع الله

الإنسان الروحي ، حياته ليست مظهرية من الخارج ، ولا هي مجرد ممارسات يارسها ، ولا مجرد فروض ، ولا مجرد ناموس (أى وصايا تنفذ حرفياً) ، إنما حياته الروحية قبل كل شيء ، هي « حياة القلب مع الله » . لأن الرب يقول :

« يا ابني اعطني قلبك ، وتلاحظ عينك طرقى » (أم ٢٣ : ٢٦) .

المهم أن تعطينى قلبك . وإن أعطيتنى هذا القلب ، سوف تلاحظ عينك طرقى . ويقول الوحي الإلهى فى سفر الأمثال أيضاً « فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) ... حياة الإنسان الروحية كلها تخرج من هذا القلب . لذلك على الإنسان أن يهتم بقلبه ونقاوته . ومن أهميته قال الرب فى تطويباته فى العظة على الجبل :

« طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) .

حقاً ما أعظم مكافأة القلب النقى ... إنه يرى الله !! فليست الحياة الروحية كلاماً ، ولا مظهرية خارجية ... فإن المثل يقول فى الزمور « كل مجد ابنة الملك من داخل » على الرغم من أنها « مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأنواع كثيرة » (مز ٤٥ : ١٣) .

ولهذا نجد أن الرب قد قال من جهة وصاياه :

« ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك » (تث ٦ :

٦) .

وقال المثل فى ذلك « خبأت كلامك فى قلبى ، نكى لا أخطىء إليك » (مز ١١٩) . وحينما تكون وصية الله داخل القلب ، تكون مختلطة بالمشاعر والعواطف والأحاسيس . وتكون أيضاً مرتبطة بالمحبة التى فى القلب ، كما قال داود فى الزمور « أحببت وصاياك جداً » « ممحص قولك جداً . عبدك أحبه » (مز ١١٩) ... القلب هو

مركز المشاعر . والله يريد مشاعر قلبك ... يريد محبتك . ولذلك قال :

تحب الرب إهلك من كل قلبك ، ومن كل فكرك ... » (مت ٢٢ : ٣٧) .

وكذلك « تحب قريبك كنفسك » . وقال الرب عن هذه المحبة ، إنه بها « يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٤٠) . وعبارة « من كل قلبك » تعنى أنه لا يوجد في القلب أى شخص أو أى شىء ينافس الله في محبة القلب له . ولهذا قال الرب « من أحب أباً أو أمماً أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) ... كل القلب لله .
والله يطلب هذا ، فيقول في سفر النشيد :

« اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك » (نش ٨ : ٦) .

كخاتم على قلبك من جهة الحب ، وعلى ساعدك من جهة العمل . وهكذا يكون العمل الذى يقوم به الإنسان الروحى ، هو نتيجة طبيعية لمحبه الله وللناس ... وكلما كان القلب عميقاً في محبته ، فعلى هذا القدر يكون عمله لأجل الله قوياً ...

والقلب النقى يكون كلامه نقياً ، ويكون فكره أيضاً نقياً ، لأن الفكر يصدر عن القلب ، والكلام يصدر عن القلب . وقد قال الرب في ذلك ..

« الإنسان الصالح ، من كنز قلبه الصالح يخرج الإصلاح » (لو ٦ : ٤٥) .

« والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر » . إذن المهم هو القلب ، « لأن منه مخارج الحياة » . هو النبع الذى يخرج منه الفكر والكلام والعاطفة ، بل هو المؤثر على الحواس أيضاً ... إن البعض قد يدافع عن إنسان غضوب تخرج من فمه ألفاظ قاسية شديدة ، فيقول « على الرغم من غضبه ، فإن قلبه أبيض » ! كلا ، فالقلب الأبيض تخرج منه الفاظ بيضاء مثله . وقد قال الرب :

« من فضلة القلب يتكلم الفم » (لو ٦ : ٤٥) (مت ١٢ : ٣٤)

(مت ١٥ : ١٨) .

ولذلك فخطية اللسان هي خطية ثانية ، أو خطية تابعة . أما الخطية الأولى السابقة لها فهي في القلب ، القلب فيه نفاق ، تخرج منه ألفاظ نفاق . القلب فيه غضب ، تخرج منه ألفاظ غضب . القلب فيه حنو وعطف ... وهكذا مع باقى الأمور ... وهكذا يقول

المرتل في المزمور:

« فاض قلبي بكلام صالح » (مز ٤٥ : ١) .

هذا يكون مع الصالحين ، الذين قلوبهم وألسنتهم في مجرى واحد ، كما نقول في التسبحة « قلبي ولساني يسبحان القدوس . وعكس ذلك المراءون الذين قلوبهم غير ألسنتهم ! أولئك الذين وبخهم الرب قائلاً « .. كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟! » (مت ١٢ : ٣٤) .

هذا المرثي الذي يتكلم بغير ما في قلبه ، قد تكشفه نظرات عينيه . فإن العين كثيراً ما تكون مرآة للقلب ، تظهر فيها أحاسيسه كلها ... وقد تكشفه ملامح وجهه ، أو نبرات صوته .

* * *

والإنسان الروحي بسيط القلب ، لا يضمّر غير ما يظهر !

هو إنسان صريح . ما يقوله بلسانه هو نفس الذي في قلبه . إذا امتدح إنساناً ، فهو يثق به هكذا في قلبه . وإن اعتذر لإنسان عن خطأ ، يكون هذا الاعتذار صادراً حقاً من قلبه ... بينما غيره قد يعتذر ، ولا يكون اعتذاره مقبولاً ، لأنه لم يصدر من القلب ! وقد يقول لشخص « الله يسامحك » ، وهو يقصد « الله يجازيك حسب عملك !! » ...

إن الله أعلم بما في القلب ، فهو وازن القلوب (أم ٢١ : ٢) .

وقد قال الكتاب عن الله إنه « فاحص القلوب والكلى » (أر ١١ : ٢٠) « هو يعرف خفيات القلب » (مز ٤٤ : ٢١) « الرب يعرف أفكار الإنسان » (مز ٩٤ : ١١) . وقيل « القلب أخدع من كل شيء ، وهو نجس ، من يعرفه؟! أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طريقه ... » (أر ١٧ : ٩) ...

أما الإنسان الروحي ، فقلبه مستقيم أمام الله .

والرب يعرف القلوب المستقيمة ، والقلوب الملتوية .

ويقول الكتاب « نور أشرق للصدّيقين ، وفرح للمستقيمي القلب » (مز ٩٧ : ١١) . ويقول « كراهة الرب ملتوو القلب » (أم ١١ : ٢٠) . والمستقيمون بقلوبهم يقول عنهم الكتاب إنهم « يدعون الرب من قلب نقي » (٢ تي ٢ : ٢٢) . وعن هذا القلب يقول داود النبي في مزمور التوبة :

« قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي » (مز ٥١ : ١٠).

* * *

وهذه النقطة تنقلنا إلى التوبة وعلاقتها بالقلب ...

التوبة الحقيقية ليست هي مجرد ترك الخطية بالفعل ، إنما ترك الخطية من القلب .
أى أن القلب لم يعد يجيها . وكمال التوبة هو كراهية الخطية . وإذا كره الإنسان
الخطية ، فلن يعود إليها مرة أخرى . وهكذا تصبح توبته هي خط فاصل بين حياة
بعيدة عن الله ، وحياة جديدة تشناق إلى الله . وعن هذه التوبة القلبية قال أحد
القديسين « إن التوبة هي استبدال شهوة بشهوة » أى يترك الإنسان شهوة العالم ،
وتصبح كل شهوته هي الحياة مع الله . وهكذا قال الرب في التوبة :

« ارجعوا إليّ بكل قلوبكم » (يوء ٢ : ١٢) .

« مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، وارجعوا إلى الرب إلهكم » (يوء ٢ : ١٣) . فالتوبة
هي اشتياق للرجوع إلى الله ، واستجابة لصوته ولعمل نعمته في القلب . أما الإنسان
الذى لا يستجيب لصوت الله ، فهو إنسان قاسي القلب . وفي ذلك يقول الرسول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ٨ ، ١٥) .

ويكرر ذلك في (عب ٤ : ٧) . وهذا نفس ما قيل قديماً في المزمور « اليوم إن
سمعت صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (مز ٩٥ : ٧ ، ٨) . إذن فالله ينظر إلى عدم
التوبة ، من خلال القلب الراض ، قبل العمل العاصي . ولذلك فهو في قيادتنا إلى
التوبة ، يعدنا بتغيير هذا القلب . فإن تغير ، يتغير السلوك طبقاً لذلك . وهكذا يقول الرب :

« اعطيكم قلباً جديداً ، واجعل روحاً جديدة في داخلكم » (حز ٣٦ :

٢٦) .

« وانزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم » . فهو يعتبر التوبة تبدأ من
القلب . والقلب التائب هو قلب حجر ، قلب صخر ، قلب قاس ، كما كان قلب
فرعون قلباً قاسياً .

ويكرر الرب نفس الكلام في سفر ارمياء النبي فيقول « وأعطيهم قلباً ليعرفوني
أنى أنا الرب ، فيكونوا لى شعباً ، وأنا أكون لهم إلهاً . لأنهم يرجعون إليّ بكل

قلوبهم» (أر ٢٤ : ٧).

* * *

ورجوع الإنسان معناه أن إرادة قلبه تتحد مع إرادة الله .

الله يعمل في قلبه ، وهو يرجع بقلبه إلى الله . وهكذا يقول الرب في سفر يوثيل النبي « ارجعوا إليّ بكل قلوبكم» (يوه ٢ : ١٢) . ويقول في سفر حزقيال النبي « اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها . واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة» (حز ١٨ : ٣١) . وعن نتائج هذا القلب الجديد ، يقول القديس بولس الرسول «..تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢ : ٢) . فإن القلب إذا تغير من الداخل ، تتغير أفكاره أيضاً . لأن الأفكار الشريرة تخرج من القلب ، كما قال الرب (مت ١٥ : ١٩) . إذن لا بد من تغيير القلب .

عيب الكثيرين أنهم يظنون التوبة مجرد الاعتراف بالخطايا ، ويستبقون خطية

محبوبة في القلب .

وبسبب هذه الخطية المحبوبة يرتدون عن توبتهم ، ويسقطون مراراً كثيرة ، لأن القلب ليس كله لله ، ولأنهم لم يرجعوا إلى الله بكل قلوبهم ... ولم تتجدد أذهانهم ، إذ لا يزال الفكر متعلقاً بالخطية ، كالقلب أيضاً ... هؤلاء توبتهم من الخارج وليس من الداخل . وينظر الله إلى الداخل ويقول «يا ابني اعطني قلبك» ... حنانيا وسفيرا وضعوا المال تحت أقدام الرسل . ولكن لم يضعوا الله في قلوبهم . كانت في قلوبهم محبة المال ، ولو بعض المال (أع ٥ : ١ - ٤) .

* * *

كثيراً من ندعو أولادنا إلى الحشمة في ملابسهم ، دون أن ندخل الحشمة إلى

قلوبهم !

بينما لو دخل الله إلى قلوبهم ، لاقتنعوا بالحشمة قلباً وفكراً . وحينئذ تأتي الحشمة في الملابس والزينة كعمل تلقائي طبيعي ، دون ضغط من الخارج ، يكون فيه القلب مشتاقاً إلى غير ذلك !

ينبغي أن نسمو عن مستوى الأعمال الظاهرة ، إلى مشاعر القلب من

الداخل .

يوجد ابن قد يطيع أباه خوفاً أو لمجرد فضيلة الخضوع ، بينما قلبه متمرد من الداخل

على أوامر أبيه ، ولم يخضع بعد قلباً ولا فكراً... وقد يدفع إنسان العشور، وقلبه غير مستريح . فهو قد دفعها من جيبيه ، وليس من قلبه ...

أما الإنسان الروحي إذا أعطى ، يعطى من قلبه ، برضى وسرور، حسب قول الكتاب « المعطى بسرور يحبه الرب » .

وقد يصوم إنسان عن الطعام بفمه ، وقلبه غير زاهد في هذا الطعام ، وهو يتحایل على الطعام بألوان وطرق شتى ، فيبحث عن المسلى الصيامي ، والجبنة الصيامي ، والشكولاته الصيامي . كما يبحث عن طريقة الطهي التي تجعل الطعام الصيامي شهياً ... !! أين جوهر الصوم هنا ؟ وما علاقته بالقلب !؟

وقد يضرب إنسان مطانية بجسده ، بينما قلبه لم ينحن مثل انحناءة رأسه . ولا نكون في مطانياته روح الندم ، ولا روح الخشوع ، ولا روح التوبة . ولذلك حينما يتعذر لغيره بمطانية ، لا تكون مقبولة منه ... وقد يعترف إنسان بخطاياها ، وقلبه غير نادم عليها !

وقد يصمت إنسان عن الكلام بلسانه ، ويكون في فكره كلام كثير ! وقد يتكلم إنسان بكلام إتضاع ، ولا يكون قلبه متضعاً ، وقد تكون كلماته ألين من الزيت ، وهي سهام (مز ٥٥ : ٢١) . وفي كل ذلك يقول الرب « يا ابني اعطني قلبك » .

* * *

الإنسان الروحي يعطى القلب لله ، لأن القلب فيه كل المشاعر والروحيات . خذوا الإيمان مثلاً : فرق كبير بين المؤمن اسماً ، وبين المؤمن من أعماق القلب ، الذي يظهر إيمانه في كل أعماله (يع ٢ : ١٨) ... المؤمن الذي يرى الله أمامه في كل حين . ووجود الله بالنسبة إليه ، ليس مجرد عقيدة ، بل هو حياة يحيها ويمسها ...

والغيرة المقدسة ليست مجرد عمل أو كلام ، بل من القلب تصدر . والوداعة والاتضاع وباقي الفضائل ، ليست هي مجرد أعمال ظاهرية . فهناك فرق كبير بين المتواضع بلسانه ، والمتواضع بقلبه المقتنع في داخله بأنه خاطيء وضعيف ، ولولا نعمة الله التي تسنده لسقط كغيره ...

* * *

والقلب أيضاً هو مصدر الأحلام والظنون والأفكار والشكوك ... وهو أيضاً مصدر كل ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

المحبة مثلاً ، والفرح ، والسلام ... كلها صادرة من القلب ... وطول الأناة والالطف والصلاح والتعفف ... كلها صادرة عن القلب ، وإلا فإنها تفقد معناها وما فيها من بر...

الصلاح ليس قبوراً مبيضة من الداخل (مت ٢٣ : ٢٧) ، وإنما هو صلاح القلب .
الطهارة ليست مجرد الهرب من الخطية ، إنما هي نقاوة قلب ...

الإنسان الروحى فى كل عمل يعملهُ ، يدرك أن الله ناظر إلى قلبه وإلى نيته وقصده .

ومن كنز قلبه الطاهر، يخرج كل عمل طاهر. حيث يكون كنزه، يكون قلبه أيضاً (مت ٦ : ٢١) . وكنزه الوحيد هو الله ... وهو فى كل حين يقول للرب « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (مز ٥٧ : ١) . حتى إن نام ، تقول نفسه لله « أنا نائمة ، وقلبى مستقيظ » (نش ٥ : ٢) .

الإنسان الروحى فى صلواته ، تكون صلواته خارجة من قلبه .

وليس مثل أولئك الذين قال عنهم الرب « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (أش ٣٩ : ١٢) (مت ١٥ : ٨) ... إنما قلبه متصل بالله تماماً . وهو يتكلم ويشعر بوجوده فى حضرة الله ، وأنه يكلم الله . ويقول « قلبى ولسانى يسبحان القدوس » ويردد مع داود قوله فى المزمور :

« من كل قلبى طلبتكَ » (مز ١١٩) .

حتى فى القداس ، وفى التسبحة ، لا تكون صلواته مجرد لحن ، أو مجرد الفاظ يرددها ، أو تلاوة ، إنما هى مشاعر قلب انسكب أمام الله ... فى انسحاق ، فى خشوع ، فى إيمان ، فى حب ، فى فهم فى تأمل ، فى حرارة والتهاب قلب .

ويتقدم واحد من الأربعة والعشرين قسيساً ، ويأخذ صلواته فى مجمرته الذهبية ، و يصعد بها إلى فوق .



الإنسان الروحي :

إنسان قوي

الإنسان الروحي هو إنسان قوى . ونقصد قوة الروح ... كما أن القوة غير العنف .
هو إنسان قوى ، لأنه صورة الله ومثاله (تك ١ : ٢٧) ، والله قوى . وهو
كابن لله ، من المفروض أن يكون قوياً في الروح ...

الإنسان الروحي هو هيكل للروح القدس (١ كو ٦ : ١٩) . والروح القدس ساكن
فيه (١ كو ٣ : ١٦) . وهكذا ينال قوة من الروح الذى يعمل فيه بقوة ... ويتحقق فيه
وعد السيد المسيح الذى قال :

« ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) .

وقد قال عنها إنها قوة من الأعالى « (لو ٢٤ : ٤٩) . وظهرت هذه القوة في كرازة
الآباء الرسل . وهكذا ورد في سفر أعمال الرسل « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون
الشهادة بقيامة الرب يسوع . ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤ : ٣٣) .
وبذلك أيضاً تحقق قول الرب « إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت ، حتى يروا
ملكوت الله قد أتى بقوة » (مر ٩ : ١) .

قوة الإنسان الروحي هي من الله نفسه :

كما قال داود النبي في المزمور « قوتى وتسبحتى هو الرب . وقد صار لى خلاصاً »
(مز ١١٨ : ١٤) . وكما قال القديس بولس الرسول « تقووا في الرب وفي شدة
قوته ... » (أف ٦ : ١٠) . وقال أيضاً « أستطيع كل شيء في المسيح الذى يقوينى »
(في ٤ : ١٣) . وعبارة « أستطيع كل شيء » تدل على مدى القوة التى يحصل عليها
الإنسان الروحي في المسيح يسوع ... حتى أن الرب يقول :

« كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

ومادام كل شيء مستطاعاً له ، إذاً لا يجوز أن يقع إنسان روحي في اليأس أو

الإنهيار أو صغر النفس . لأنه بإيمانه يصير قوياً في الداخل ، قوى النفس قوى الروح .
لا يضعف أبداً ، ولا يقلق ولا يضطرب ، ولا يقف عاجزاً . إنه قوى بالله الذى يعمل
فيه ، الله الذى يقويه ...

* * *

هذه القوة تنطبق على الافراد والجماعات :

تنطبق على الإنسان الروحي كمؤمن ، وعلى الكنيسة كجماعة مؤمنين . وهكذا
ورد في سفر النشيد عن نخت سليمان الذى يرمز إلى الكنيسة «نخت سليمان حوله
ستون جباراً من جابرة اسرائيل . كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب . كل رجل
سيفه على فخذه من هول الليل» (نش ٣ : ٧ ، ٨) . وفي سفر النشيد أيضاً من أوصاف
القوة التى وصفت بها الكنيسة والنفس البشرية :

«شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون» (نش ١ : ٩) .

الفرس - وأيضاً الفرسان - رمز إلى القوة (أش ٣١ : ١) والفرس فى مركبات
فرعون هو «فرس معد ليوم الحرب» (أم ٢١ : ٣١) . ولم يكن فرعون يختار لمركباته
إلا أقوى الأفراس وأشدها . وبهذا التشبيه يصف الرب بالقوة كنيسته التى يحبها ...

ولعل هذا التشبيه دليل على أن سفر النشيد له رموزه الروحية ، وليس مجرد أغنيات
متبادلة بين حبيب وحبيته كما يتهمه البعض !! لأنه لا توجد فتاة تقبل أن يصفها
حبيبها بفرس فى مركبات فرعون . وبنفس المنطق نتحدث عن قول الرب فى سفر
النشيد عن حبيته الكنيسة بأنها :

«مرهبة كجيش بألوية» (نش ٦ : ٤) .

وكلمة ألوية هى جمع لواء من لواءات الجيش . واللواء يضم عدداً كبيراً من
الكتائب والسرايا والأليات . وقد تكرر وصف الكنيسة أو النفس البشرية بأنها مرهبة
كجيش بألوية فى نفس الاصحاح من سفر النشيد (نش ٦ : ١٠) . وطبعاً من
المستحيل أن تقبل حبيبة أن يصفها حبيبها بأنها مرهبة ..! وأنها مرهبة كجيش من
عدة لواءات ..! إذن الحديث رمزى عن الكنيسة أو النفس البشرية .

* * *

هذه هي النفس التي عاشت مع الله ، وأخذت من قوته قوة حياتها .

فالإنسان الروحي تأخذ روحه قوة من الروح القدس الساكن فيه . إنه عضو في جماعة الغالبين المنتصرين ، الذين يحاربون حروب الرب بقوة . ويدعوهم الكتاب المقدس بأنهم «جبابرة بأس» .

نقرأ في سفر القضاة أن ملاك الرب خاطب جدعون بقوله «الرب معك يا جبار البأس» (قض ٦ : ١٢) . وداود النبي قيل عنه إنه يحسن الضرب بالعود وأنه جبار بأس وفصيح والرب معه (١ صم ١٦ : ١٨) ... وقيل عن البنين الصالحين إنهم «كسهام بيد جبار» (مز ١٢٨ : ٤) . وقيل أيضاً عن رجال يشوع الذين دخل بهم أرض الموعد إنهم كانوا جبابرة بأس (يش ٨ : ٣) ... كل هذه وغيرها رموز للذين يدخلون الحروب الروحية ضد «أجناد الشر الروحية» . إنه الأقوياء في الروح يحملون سلاح الله الكامل ، ودرع الإيمان ، وترس البر ، وخوذة الخلاص وسيف الروح (أف ٦ : ١١ - ١٧) .

* * *

وقد ضرب الكتاب أمثلة كثيرة من أولئك الأقوياء .

مثال ذلك ايليا النبي ، الذي طهر البلاد من كل أنبياء البعل وأنبياء السواري (١ مل ١٨ : ١٩ ، ٤٠) ، وكذلك يوحنا المعمدان الذي قال عنه الملاك الميشر به إنه «يتقدم أمام الرب بروح إيليا وقوته ... لكي يهيء للرب شعباً مستعداً» (لو ١ : ١٧) . واسطفانوس الشماس الذي كان مملوءاً من الروح القدس والإيمان . وقد وقف أمامه ثلاثة مجامع يحاورونه «ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به» (أع ٦ : ٩ ، ١٠) .

وقد سرد بولس أسماء سلسلة من هؤلاء الأقوياء .

وقد ختمها بقوله «وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت عن ... الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا برأ ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء في الحروب ، هزموا جيوش غرباء ... عُذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكي ينالوا قيامة أفضل ... وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب ١١ : ٣٢ - ٣٨) .

وشرح لنا تاريخ الكنيسة أمثلة كثيرة من الأقوياء .

أمثال أولئك الشهداء ، الذين كانوا أقوياء في إيمانهم ، أقوياء في احتمالمهم ، أقوياء أيضاً في العجائب والآيات التي أجراها الله على أيديهم ... وهناك أمثلة أخرى من أبطال الإيمان الذين وقفوا بكل قوة ضد البدع والهرطقات ، ودافعوا عن الإيمان بقوة في الفهم وقوة في الاقناع ، وفي الصمود . ومن أمثلة أولئك القديس أثناسيوس الرسولى ، الذى وقف ضد الهرطقة الأريوسية ، واحتمل العزل والنفى والمؤامرات والاتهامات . وقيل له « العالم كله ضدك يا أثناسيوس » فقال « وأنا ضد العالم » . لذلك أسموه :
Athanasius Contramondum أى أثناسيوس ضد العالم

* * *

لقد خلق الإنسان قوياً . له سلطان :

وقال الله « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، واخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على وجه الأرض » (تك ١ : ٢٨ ، ٢٦) . ولكن الإنسان فقد قوته الطبيعية حينما أخطأ ، وبدأ يشعر بالخوف ... وعاد الله يقوى الإنسان بعمل النعمة فيه ، بقوة الروح القدس ... ويقويه بوعوده ، وبأنه معه ...

* * *

الإنسان الروحى يذكركنا بالأرواح ، بالملائكة .

أولئك الذين قال عنهم داود النبى « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة » (مز ١٠٣ : ٢٠) . هؤلاء الملائكة الذين قال دانيال النبى عن واحد منهم « إلهى أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود » (د ٦١ : ٢٢) . وقيل فى سفر الملوك : ملاك الرب خرج وضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفاً (مل ١٩ : ٣٥ ، ٣٦) . قوة الملائكة مصدرها أنهم أرواح قرييون من روح الله . يتشبه بهم كل من يسلك بطريقة روحية ، ويدخل فى شركة الروح القدس ، ويعمل الله فيه .

لذلك فالإنسان الروحى الذى يعمل فيه روح الله ، لابد أن يكون قوياً .

داود النبى الذى حلّ عليه روح الرب (صم ١٦ : ١٣) كان قوياً . وكان أقوى من شاوول الملك . وكان حينما يتعب شاوول من الروح الشرير ، يهدئه داود بوعده ،

ويذهب عنه الروح الرديء (١ صم ١٦ : ٢٣) ، لأن روح الله الذى فى داود هو الذى يطرده... بل كان داود أقوى من الجيش كله الذى خاف من جليات . أما داود فتقدم لمحاربة جليات وقال له « فى هذا اليوم يحبسك الرب فى يدي ... وتعلم كل الأرض أنه يوجد إله ... » (١ صم ١٧ : ٤٦) .

الإنسان الروحى لا يخاف ، لأن الله معه :

وهكذا قال داود النبى للرب راعيه « إن صرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز ٢٣ : ٤) . واستطاع أن يغنى أنشودته الجميلة « إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ٣) . وقال أيضاً « هؤلاء بركبات ، وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب نمو . هم عثروا وسفطوا ، ونحن قمنا واستقمنا » (مز ٢٠ : ٧) .

هنا قوة قلب الإنسان الروحى المستمدة من الله .

إنه لا يخاف ، لأن الله معه . الله الذى قال ليشوع « تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب » « لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك . تشدد وتشجع » (يش ١ : ٩ ، ٥) .

هو أيضاً الذى قال لبولس الرسول فى رؤيا بالليل « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . وهو أيضاً الذى قال لأرميا النبى « هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحاربونك ولا يقدرُونَ عليك ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك » (أرم ١٨ : ١٩) .

لذلك أنا أعجب ، حينما يضعف الخير ، ويقوى الشر أمامه !!

أعجب حينما أرى أهل العالم أقوىاء ، وهم شخصية وثقة ، ويجاهرون بآرائهم ، ويصلون إلى أغراضهم ، ولا يهتزون أمام العواصف ... بينما رجال الله يقفون كضعفاء ولا يصمدون ! كما لو كان الشر أقوى من الخير ! أو الشر هو الذى يغلب !! فلماذا هذا

الضعف؟! ولماذا لا يقف الخير صامداً، يعلن عن البر ويدعو إليه ، كما كان الرسل ،
« بكل مجاهرة وبلا مانع » (أع ٢٨ : ٣١) .

* * *

إن القوة الروحية ، ليست مطلقاً ضد الوداعة والتواضع .

كثيرون يحبون الوداعة ، ولكنهم يفهمونها بأسلوب خاطيء... الوداعة تتصف بالطيبة والهدوء . ولكنها لا تمنع مطلقاً أن يكون الإنسان قوياً في شخصيته ، ومع ذلك يكون وديعاً ومتواضعاً... وهنا التكامل والفضائل ، وليس التناقض...

والسيد المسيح كان مثلاً لهذا التكامل . فهو الذى قال « تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . وفى نفس الوقت كان قوياً في شخصيته ، قوياً في حوارهِ مع كل معارضيه من الكتبة والفريسيين والكهنة والشيوخ والصدوقيين . وكان يفهمهم ، وينشر رسالته في قوة...

وهو الذى قيل عنه « لبس الجلال . لبس القوة وتمتطق بها » (مز ٩٣ : ١) وقيل له أيضاً : « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . استله وانجح واملِك » (مز ٤٥ : ٣) ... له القوة والمجد .

إذن من الممكن أن يكون الإنسان وديعاً وقوياً . والمهم ما هو مفهوم القوة؟ وما هو أيضاً مفهوم الوداعة والتواضع؟

* * *

ما هو مفهوم القوة؟ وما الفرق بين القوة الزائفة والقوة الحقيقية؟

القوة هي قوة الروح في الداخل ، تعبر عن ذاتها في الخارج بأسلوب روحى . القوة ليست هي العنف . فالمسيحية ضد العنف . وليست هي حب السيطرة وإخضاع الآخرين . وليست هي التهور والاندفاع والجرأة على كل ما هو كبير... كتلميذ يتحدى معلمه ، أو ابن يتجرأ على أبيه... وليست القوة هي قوة شمشونية ، في الجسد والعضلات... ولا هي الاعتداد بالنفس بأسلوب خاطيء ، والافتخار بهزيمة الآخرين ، ولا هي استخدام السلطان في غير موضعه...

ولا هي الإدعاء باللسان ، كما قال بطرس « لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكرك »

«ولو اضطررت أن أموت معك ، لا أنكرك» (مت ٢٦ : ٣٣ ، ٣٥) ... ولما دخل إلى الواقع العملي ، لم تظهر هذه القوة !!

والقوة ينبغي أن تكون دائماً ومستمرة .

فما أسهل أن يظهر الإنسان قوياً في موقف معين . ثم ما يلبث أن يفقد قوته في موقف آخر . كما أثبت شمشون قوته في مواقف عديدة . ثم ضعف أخيراً أمام دليلة (قض ١٦) .

وما أكثر الأسباب التي يضعف بها الإنسان ويفقد قوته .

فقد يضعف الإنسان أمام رجاء من يحب ، أو يضعف أمام دموع البعض ... وقد يضعف أمام كثرة الأملحاح ، أو أمام ضغط عاطفي أو مادي ... وقد يضعف إذا ما اشتد الاغراء ، كما حدث مع داود النبي ... وعموماً يضعف في الخارج ، إذا ضعف من الداخل .

والإنسان الروحي يصمد أمام كل هذه الأسباب . وإن حدث أنه ضعف وسقط ، سرعان ما يقوم . ويردد ما قيل في سفر ميخا النبي «لا تشمتي بي يا عدوتي . فإنني إن سقطت أقوم» (مي ٧ : ٨) .

الإنسان الروحي ، قوته قوة روحية . وهذه القوة أسباب عديدة :

ما هي تلك الأسباب التي هي مصدر قوته ؟
وما هي أيضاً عناصر تلك القوة في روحه ونفسه وفكره ؟ وما مظاهرها في حياته وفي خدمته وفي فضائله ؟

مصادر القوة الروحية وأَسبابها ومظاهرها وعناصرها

مصادر القوة

لاشك أن مصدر القوة الروحية ، هو الله نفسه .

ولذلك يقول المرتل في المزمور « أحبك يا الله يا قوتي » (مز ١٨ : ١) ويقول « قوتي وتسبحتي هو الرب » (مز ١١٨ : ١٤) . ويقول أيضاً « الله ملجأ لنا وقوة » (مز ٤٦ : ١) . وكما يقول القديس بطرس الرسول عن القوة في الخدمة « إن كان أحد يخدم ، فكأنه من قوة يمنحها الله ، لكي يتمجد الله في كل شيء » (١ بط ٤ : ١١) . ويطرتم داود بقوة الله العاملة فيه فيقول « الله الذي ينطقني بالقوة ... الذي يعلم يدي القتال » (مز ١٨ : ٣٢ ، ٣٤) .

لذلك فإن كل قوة ، ليس الله مصدرها ، هي قوة باطلية ، ومصيرها إلى الزوال .

كقوة فرعون مثلاً ، وكقوة الشيطان ... وقوة آخاب الذي قتل نابوت اليزرعيلي ... وقوة مشورة أختوفل ..! ومثل قوة جليات ... وكل الأقوياء بدهائهم أو بكبريائهم .

أما الإنسان الروحي فقوته من الله العامل فيه . وعن هذا يقول القديس بولس الرسول : الأمر الذي لأجله أتعب أنا أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذي يعمل في « بقوة » (كو ١ : ٢٩) « بحسب القوة التي تعمل فينا » (أف ٣ : ٢٠) ... إنها قوة

الروح القدس .

■ مادامت القوة من الله ، فنحن نطلبها بالصلاة ، وننالها بالإيمان ونعمة الله .

الإنسان الروحي يقف أمام الله ضعيفاً ، يلتمس منه القوة يصلي قائلاً « اعطني يا الله قوتك » « فأنا بدونك لا أستطيع شيئاً » (يوحنا : ١٥ : ٥) . وبالصلاة يمنحه الله قوة ، مثل آخر صلاة صلاها شمشون ، واستجاب الرب له (قضا : ١٦ : ٢٨ ، ٣٠) .

والإيمان يمنح الإنسان قوة ، لأن كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) .

حتى إن أدركه ضعف في وقت ما ، فإن الإيمان يعيد إليه قوته . ألم يقل الرب « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل » (مت ١٧ : ٢٠) ... وإن شعر الإنسان الروحي أن إيمانه قد ضعف ، يصرخ إلى الرب قائلاً « أؤمن يا رب : فأعز ضعفي إيماني .. » (مر ٩ : ٢٤) . وهكذا نجد أن الإيمان والصلاة يعملان معاً في جلب القوة للإنسان . وبالصلاة يصارع الله مع الإنسان ، ولا يتركه حتى ينال منه القوة . يصلي وهو مؤمن أن القوة ستأتيه ...

■ وينال الإنسان قوة بعمل الروح القدس فيه .

وهكذا فإن الذي يشترك مع الروح القدس في العمل ، لا بد أن يكون قوياً ... فإن وجدت نفسك ضعيفاً في وقت ما ، راجع شركتك مع الروح القدس ... إن سبب فقد شمشون لقوته ، هو أن روح الرب فارقه (قضا : ١٦ : ٢٠) . تمسك إذن إلى أبعد حد ، بعمل الروح فيك . وهبىء نفسك بالقوة والقداسة ، حتى يكون هيكلك مستحقاً لسكنى روح الله فيك ... فتستمر قوياً .

■ والإنسان يحتفظ بقوته الروحية بثبات كلمة الله فيه .

طالما تضع وصية الله أمامك ، وتحب كلمة الله وتخبثها في قلبك ، وتردها بلسانك ، ستجد أن كلمة الله ستمنحك قوة ، وتمنحك استحياء من الخطية ، لأن « كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين » (عب ٤ : ١٢) . وما أجمل

قول القديس يوحنا الرسول للشباب « كتبت إليكم أيها الأحداث ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير » (١ يوحنا : ١٤) .

■ وينال الإنسان قوة من الله ، عن طريق الانضاع .

لأن « الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيمنحهم نعمة » (يع ٤ : ٦) .
المتكبر يظن أنه بقوته البشرية سينتصر ، فيعتمد على قوته فيفشل . أما المتواضع ، فإذا شعر بضعفه ، يعتمد على قوة الله ، فيمنحه الله هذه القوة « ليكون فخر القوة لله ، لا منا » (٢ كو ٤ : ٧) .

أنظروا كيف قال الشياطين للقديس مقاريوس الكبير « بتواضعك وحده تغلبنا » .
وكيف قال القديس الأنبا أنطونيوس : أبصرت فخاخ الشيطان مبسوطة على الأرض كلها . فقلت يارب من يفلت منها ؟ فقال : المتواضعون يفلتون منها ...
إن المتواضعين الذين يقفون أمام الله كضعفاء ، هم الذين قال عنهم الوحي الإلهي « اختار الله ضعفاء العالم ، ليخزي بهم الأقوياء » (١ كو ١ : ٢٧) « لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه » ...

المتواضع لا يخاف ، لأن الله معه . ولكن متى يخاف الإنسان بحق ؟ يخاف عندما يتعجرف قلبه ، ويظن أنه قوى ، وأنه قد ارتفع إلى السماء ، وجلس على عرش الله ، وأصبح الشيطان تحت قدميه !!

انظروا إلى قول القديس العظيم بولس الرسول « لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢ : ١٠) .

■ الإنسان الروحي يصير أيضاً قوياً ، بنقاوة القلب .

فالقلب النقي هو حصن لا ينال ، ومنه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) . والقلب النقي هو الذى ارتفع عن شهوات العالم . وفى هذا المجال ، ما أجمل قول القديس أوغسطينوس « جلست على قمة العالم ، حينما أحسست فى نفسى أنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً » .. حقاً إن القلب الزاهد هو قلب قوى ، لا توجد شهوة تغلبه ، ولا يوجد شيء يخيفه .

وبهذا الزهد وعدم الخوف جاءت قوة الشهداء وقوة الرهبان .

تعرض الشهداء لكل الإغراءات والتهديدات ، ولكل ألوان التعذيب ، وبقوا صامدين في قوة عجيبة ، لأنه لم تكن هناك أية شهوة في قلوبهم تستجيب للإغراءات ، ولا أى خوف تزعجه التهديدات ، ولم يكن فيهم خوف الموت أيضاً . فاحتفظوا بقوتهم أمام كل الملوك والولاة والقضاة . كانوا أقوى من مضطهديهم .

كذلك الرهبان ، لأنهم تجردوا من الشهوات ، أمكنهم أن ينتصروا على العالم ، وكانوا أقوياء في احتمال الوحدة وسكنى الجبال والبرارى ، بل وسكنى المقابر أيضاً . وكانوا أقوياء في حروب الشياطين . وكانوا أقوياء أيضاً في تأثيرهم الروحى على الآخرين . أمراء صاروا رهباناً ، لأنهم كانوا أقوى من شهوة الملك . القديس الأنبا أنطونيوس حاول الشياطين أن يخيفوه بكل المناظر المفزعة ، ولكنه كان أقوى منهم . وأمكنه أن يغلبهم باتضاعه وبإيمانه . والقديس مقاريوس لم يخف ، حينما بات في مقبرة وقد أسند رأسه على جمجمة ، وتحدث الشياطين معها . ولكن قلبه كان قوياً بالإيمان لا يخاف ...

■ هناك أيضاً أشخاص أقوياء بطبيعتهم .

شاء الله أن يولدوا هكذا ، بقلب قوى ، وعقل قوى ، وشخصية قوية ... مثال ذلك شمشون ويوحنا المعمدان وإيليا وداود .

نتنقل إلى نقطة أخرى وهى عناصر القوة :

عناصر القوة

١ - قوة الحب والبذل :

تحدث سفر النشيد عن قوة الحب فقال « المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ، والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٦ ، ٧) . وقال القديس بولس الرسول « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كور ١٣ : ٨) .

هذه هى المحبة الحقيقية ، التى ليست بالكلام واللسان ، بل بالعمل والحق (١ يو ٣ : ١٨) . ولعل من أعمقها محبة الأم لرضيعها ، ومحبة داود ليونathan (٢ صم ١ :

(٢٦). بل محبته لابنه أبشالوم الذى خانته، وكيف بكى عليه بمرارة لما سمع بموته (٢صم ١٨ : ٣٣).

وتظهر قوة المحبة فى البذل . وأقوى بذل هو بذل الذات .

ظهر هذا الأمر واضحاً فى سيرة الشهداء ، وكيف بذلوا كل شىء حتى الحياة ، من أجل محبتهم لله . وكذلك ظهرت قوة هذه المحبة فى حياة الآباء الرهبان والسواح ، الذين تركوا العالم وكل ما فيه . « وسكنوا الجبال والبرارى من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . كذلك محبة الآباء الرسل الذين من أجل محبتهم للرب وملكوته ، احتملوا الجلد والسجن والرجم والتشريد والموت أيضاً ... وقالوا للرب أيضاً « تركنا كل شىء وتبعناك » (مت ١٩ : ٢٧) . وفى ذلك يقول بولس الرسول أيضاً « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح » (فى ٣ : ٨) .

وقوة المحبة تظهر إن كانت من كل القلب .

وفى ذلك قال الكتاب « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك » (تث ٦ : ٥) (مت ٢٢ : ٣٧) . وعبارة « كل » تعنى أنه لا توجد محبة أخرى تنافس محبة الله فى قلبك . وفى ذلك قال السيد الرب « من أحب أباً أو أمأ أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى .. » (مت ١٠ : ٣٧) . بل من أحب حياته أكثر من الرب ، لا يستحقه . وفى ذلك قال « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته لأجلى يجدها » (مت ١٠ : ٣٩) .

المحبة تقود إلى البذل ، وقوة البذل لها أسباب .

يوجد بذل سببه الحب كما قيل « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد » (يوح ٣ : ١٦) . وكما بذل الشهداء لأجل محبتهم للرب . وهناك قوة فى البذل سببها الطاعة ، كما رفع أبونا ابراهيم السكين ليذبل ابنه وحيدته ذبيحة للرب . وتوجد قوة فى البذل سببها الزهد ، كآبائنا الرهبان .

* * *

■ ننتقل إلى قوة الإيمان :

قوة الإيمان تظهر فى أنه يصدق كل شىء . يؤمن أن الرب يمكن أن يشق طريقاً فى

البحر، وأن يفجر من الصخرة ماء، وأن يصنع المعجزات والعجائب... الإيمان الذي جعل بطرس يمشى على الماء (مت ١٤ : ٢٩). الإيمان بأن الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤)... الإيمان الذي يجعلك تقدم الحياة لأجل الرب، وتقدم عشورك وأنت تدفع من أعواذك... الإيمان الذي يقول «إن سرت في وادى ظل الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معي» (مز ٢٣)... الإيمان بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب» (رو ٨ : ٢٨)... الإيمان القوى بالأبدية الذي يجعل الإنسان يستعد لها بكل قوته...

■ من عناصر القوة أيضاً قوة الصلاة :

ولعل من أعمق صورها ، ما قيل في أيام الآباء الرسل « ولما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه ، وامتلاً الجميع من الروح القدس » (أع ٤ : ٣١). وأيضاً صلاة حنة أم صموئيل التي «صلت إلى الرب، وبكت بكاء، ونذرت نذراً... وأكثرت الصلاة، وكانت تتكلم في قلبها، وصوتها لم يسمع... حتى أن عالي ظنها سكرى» (١ صم ١ : ٩ - ١٣).

والصلاة القوية أيضاً : صلاة بإيمان، وبلجاجة، وبانسحاق، وحب، وخشوع. وهى صلاة بفهم وحرارة... يصلحها الإنسان الروحي، وقلبه متصل تماماً بالله، ويشعر بوجوده في حضرة الله..

وقد تكون صراعاً مع الله ، كما قيل عن أبينا يعقوب أنه «جاهد مع الله والناس وغلب» وأنه بقى في صراعه مع الله حتى مطلع الفجر، وأمسك بالله وقال له : لا أتركك حتى تباركنى (تك ٣٢ : ٢٤ - ٢٩).

■ من عناصر القوة أيضاً : قوة التوبة .

الإنسان الروحي إذا أخطأ وتاب ، تظهر قوة توبته في انسحاقه العميق ، وندمه ودموعه ، كما حدث مع داود النبي الذي قال «تعبت في تنهدى . أعوم في كل ليلة سريري ، وبدوعى أبل فراشى» (مز ٦). وتوبة الإنسان الروحي تظهر قوتها في

استمرارها ، وعدم عودته مطلقاً إلى حياة الخطية . بل أكثر من هذا يظل ينمو في الحياة الروحية سائراً نحو الكمال . ومن أمثلة ذلك توبة أوغسطينوس وموسى الأسود ، ومريم القبطية وبيلاجية . توبة تحولوا بها من خطاة إلى قديسين .

■ **قوة الإنسان الروحي تظهر في انتصاره على المحاربات الروحية وعلى الإغراءات .**

كما ظهرت قوة يوسف الصديق في انتصاره العجيب على اغراءات زوجة فوطيفار (تك ٣٩ : ٩) . وقوله في حزم عملي « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلى الله؟! » .

الإنسان الروحي لا تظهر قوته في انتصاره على غيره ، إنما في انتصاره على الخطية ، مهما كانت الحروب شديدة ، سواء من الشيطان ، أو من الناس الأشرار ، أو من أخوة كذبة (٢كو ١١ : ٢٦) . أما الذي يضعف ويسقط ، فينطبق عليه قول الكتاب «وزنت بالموازين ، فوجدت ناقصاً» (دا ٥١ : ٢٧) .

■ **الإنسان الروحي إذا أخطأ ، له القوة على الاعتراف بخطئه .**

كثيرون يجدون صعوبة بالغة في الاعتراف بأخطائهم ... أما القديس أوغسطينوس ، فقد نشر اعترافاته في كتاب قرأه كل أهل جيله . وما تلتته من أجيال ... والإنسان الروحي أيضاً ، إذا أحس أنه أساء إلى أحد ، تكون له القوة على الاعتذار إليه والاعتراف بإساءته ، دون محاولة للتبرير أو المجادلة ...

وإذا أحس أن رأيه مخطيء ، يكون قادراً بسهولة أن يتنازل عن رأيه ، بغير عناد كما يفعل البعض ...

■ **القوة في ضبط النفس :**

الإنسان الروحي قوى من الداخل . يستطيع أن يضبط نفسه ، كما قال الكتاب «مالك نفسه خير ممن يملك مدينة» (أم ١٦ : ٢٢) . فهو يضبط افكاره فلا تسرح فيما

لا يليق، متبعاً قول الرسول «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٥). يضبط أيضاً حواسه، فلا يخطيء بالنظر ولا بالسمع ولا باللمس. كذلك يضبط مشاعر قلبه وعواطفه. ويضبط لسانه أيضاً، فلا تخرج من فمه كلمة خاطئة، ولا كلمة زائدة. وفي ذلك قال القديس يعقوب الرسول «إن كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً» (يع ٣: ٢) هنا القوة الداخلية في ضبط النفس، وضبط الفكر والحواس والمشاعر، وضبط اللسان أيضاً.

الإنسان الروحي يضبط أيضاً غرائزه وانفعالاته، ويرتفع فوق مستوى الإثارة...

الإثارة الخارجية لا تثيره من الداخل، بل يكون أقوى منها. لا يفعل مثلاً إذا تعرض لإساءة ما، ولا يقاوم الشر بالشر (رو١٢: ١٧). ولا يرد على الكلمة الخاطئة بمثلاً. لا يغلبه الشر، بل يغلب الشر بالخير (رو١٢: ٢١). ويستطيع أن يسيطر على الغضب. ويكون قوياً في أعصابه، لا تفلت منه.

■ الإنسان الروحي يتميز بقوة الاحتمال :

يستطيع أن يحتمل الشدائد والضيقات. وإن أصابته تجربة، لا تهزه من الداخل، بل يصمد. ويمكنه أن يحتملها، كما فعل أيوب الصديق. كما يحتمل أيضاً أخطاء الآخرين. إن المخطيء هو الضعيف الذي لم يضبط نفسه. والمحتمل هو القوي. لأجل هذا قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء، ولا نرضى أنفسنا» (رو١٥: ١)... الشخص القوي من الداخل، يستطيع أن يغفر للمسيء أى له القدرة - ليس فقط على الاحتمال - بل على المغفرة، وعلى الإحسان إلى المسيئين (مت ٥: ٤٤).

الإنسان الضعيف يحتاج إلى من يحتمله. أما القوي فيحتمل غيره، يحتمل طباعه السيئة وأخطائه، والفاظه وتصرفاته... هنا تظهر القوة الروحية، في القدرة على تحويل الخد الآخر، ومشي الميل الثاني، والصبر على كل شيء...

■ الإنسان الروحي يتميز بقوة الشخصية :

إنه إنسان قوى في عقله ، في فهمه ، في قدرته على الاستيعاب وعلى الاستنتاج ، قوى في ذاكرته ، في سرعة بديهته ، في حكمته وحسن تصرفه . هو أيضاً قوى الإرادة ، قوى العزيمة ، قوى في حكمة تصرفه ، وحسن إدارته للأمور . وقوى أيضاً في أنه لا يهتز أمام أى تهديد أو تخويف . ينطبق عليه قول الكتاب « من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً » (زك : ٤ : ٧) .

تظهر قوته أيضاً في كل عمل يعمله ، وكل مسئولية يحملها .

هو إنسان قادر على تحمل المسئوليات ، مهما بدت كبيرة أو خطيرة ، ويقوم بعمله بكل جدية ، وبكل أمانة ودقة والتزام ، ويأتي بالنتائج المرجوة في انجاز سليم . وهو أيضاً حازم ، ولا يتردد . ومهما حدثت من عوائق ، لا يقلق ولا يضطرب ولا يخاف ... بل يقف كالجبل الراسخ ، واثقاً بأن كل مشكلة لها حل . واثقاً بالله الذى يعمل معه ويعمل به ...

له تأثير في المجتمع الذى يعيش فيه ، ربما يمتد إلى أجيال .

إن الروحيين الأقوياء لا يتأثرون بأخطاء البيئة التى يعيشون فيها « ولا يشاكلون أهل هذا الدهر » (رو ١٢ : ٢) . بل لهم القدرة على التأثير في المجتمع ، في فكره واتجاهه وروحياته ، كما فعل الآباء الأول ، حتى ليقال : عصر أثناسيوس ، عصر أنطونيوس ... يؤثرون بقوتهم ، أو بكتاباتهم التى يمتد تأثيرها إلى أجيال وأجيال ... ننتقل إلى نقطة أخرى وهى :

■ القوة في الكلمة والخدمة والكراسة :

الإنسان الروحي ، كل كلمة تخرج من فمه تكون قوية وفعالة ، ولا ترجع فارغة ، بل تعمل عمل الرب (أش : ٥٥ : ١١) . كلماته قوية في تأثيرها على الآخرين ، وخدمته ملتزمة ومثمرة . بولس الرسول ، وهو أسير في سلاسل أمام فيلكس الوالى ، حينما تحدث عن البر والدينونة والتعفف ، ارتعب فيلكس (أع : ٢٤ : ٢٥) . ولما تحدث أمام أغريباس الملك ، قال له أغريباس « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع : ٢٦ :

٢٨). و يعوزنا الوقت إن تحدثنا عن خدمة القديس بولس في قوتها وانتشارها . وكذلك قوة الخدمة في أيام الآباء الرسل ...

في قوة خدمة الآباء ، وقفت المسيحية العزلاء أمام الامبراطورية الرومانية بكل سلطتها وقسوتها .

وأمام اليهود بكل دسائسهم ومؤامرتهم . ووقفت أمام فلسفات العصر . وبعظة واحدة من القديس بطرس إنضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف ، نالوا نعمة العماد في نفس اليوم (أع ٢ : ٤١) . إنها قوة الروح القدس العاملة في الكلمة .

وبقوة خدمة الآباء « كان الرب في كل يوم يضم للكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧) « وكانت كلمة الله تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً .. » (أع ٦ : ٧) « والكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة ، كان لها سلام ، وكانت تبني ، وتسير في خوف الرب . وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (أع ٩ : ٣١) .

وعن قوة الخدمة والخدام ، قال بولس الرسول « كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين في عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

الإنسان الروحي قوى في خدمته ، قوى في عظاته ، قوى في المبادئ الروحية التي ينادى بها ، قوى في تأثيره الروحي ، قوى في ثماره ، حسب عمل الله الذي يعمل فيه بقوة (كو ١ : ٢٩) . إنه قوى في شهادته للرب ، يقول مع داود النبي « تكلمت بشهادتك قدام الملوك ولم أخز » (مز ١١٩) .



أنواع الضعف أسبابها وعلاجها

تحدثنا كثيراً عن القوة، وعن أن الإنسان الروحي ينبغي أن يتصف بالقوة... ومع ذلك لا ننكر أن هناك ضعفات .

حتى أن بعض الروحانيين - على الرغم من قوتهم العامة - توجد في حياتهم ضعفات ...

رأينا هذا في حياة إيليا النبي العظيم (امل ١٩)، وفي حياة داود النبي والملك (١صم ٢٥)، (٢صم ١١). وأيضاً رأينا هذا الضعف في حياة شمشون الجبار (قض ١٦)، وفي حياة سليمان الحكيم (امل ١١)، وفي حياة بطرس الرسول (مت ٢٦)، (غل ٢ : ١١) ... وغير هؤلاء كثيرون .

ما هي إذن أنواع الضعف؟ وكيف نتخلص منه؟ وما هي نظرتنا إلى الضعفاء، وما أسلوب معاملتنا لهم؟

أنواع من الضعف

١ - قد يوجد عند إنسان ضعف، لا ذنب له فيه .

مثال ذلك ضعف وصل إليه عن طريق الوراثة، سواء في جسده، أو في قواه العقلية .

وُلد بصحة ضعيفة ، أو في مستوى اجتماعي ضعيف ، أو شاء الله له هذا ، كما قال عن المولود أعمى « لا هذا أخطأ ولا أبواه ، ولكن لتظهر أعمال الله فيه » (يو : ٩ : ٣) .

ضعف الجسد قد يقاسى الإنسان الروحي منه أيضاً . وعن ذلك قال الرب لتلاميذه في بستان جثسيماني « أما الروح فنشيط . وأما الجسد فضعيف » (مت ٢٦ : ٤١) . وقد يقف ضعف الجسد عائقاً أمام بعض الممارسات الروحية . وعلى الإنسان الروحي ألا يتضايق من هذا ، وإنما يعمل ما يستطيعه على قدر ما يحتمل جسده . المهم أن تكون روحه قوية وصالحة ...

٢ - وقد يوجد إنسان أعصابه ضعيفة :

وهو من هذه الناحية ضعيف الاحتمال ، يثور ويغضب بسرعة ، ويحتاج إلى إنسان قوى ليحتمله ... كما قال الرسول « يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء » (رو ١٥ : ١) . إذن الإنسان القوى هو الذى يستطيع أن يحتمل . أما الغضوب الذى يخطئ إلى غيره في غضبه ، فهو الضعيف ...

على أن هذا الغضوب يلزمه أن يعالج الضعف الذى فيه ، أعنى الغضب .

وذلك بأن يبعد عن أسباب الغضب ، وعن المجاملات التى تجعله يقع في الترفزة . يمارس تداريب روحية في البعد عن الغضب . يقوى أعصابه من الناحية الجسدية . يتأنى في تصرفاته وفي ثورته ، ويفكر في النتائج السيئة للغضب ، قبل أن يغضب ... يقرأ كثيراً عن الودعاء والهادئين . ولا يترك نفسه إلى هذا الضعف . وليس مقبولاً منه أن يقول « طبعى هكذا » ! فالمفروض أن ينتصر على طبعه .

٣ - هناك نوع آخر من الناس ضعيف في إرادته .

ضعيف في تنفيذ ما يريده من الخير ، كما يقول الرسول بلسان هذا النوع « لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده ، إياه أفعل » « حينما أريد أن أفعل الحسنى ، أجد أن الشر حاضر عندي » (رو ٧ : ١٩ ، ٢١) ...

أو قد يكون هذا الإنسان ، من طبعه التردد . إرادته لا تستطيع أن تقرر ما ينبغي

أن يفعله . وإن قرر شيئاً ، لا يستطيع أن يثبت ، وتراوده أفكار أخرى .
على أن هناك تداريب كثيرة لتقوية الإرادة . ومنها أن يستشير أباً روحياً موثقاً
به ، وينفذ ولا يبطئ . ومنها تقوية الإرادة عن طريق الصوم ، وعن طريق التغصب ،
وعن طريق الفهم السليم والاعتناع القوى . وإن كان خاضعاً لعادة تسيطر عليه ،
يقاومها بكل قوته ولا يستسلم لها ، لأن هذا الاستسلام يزيد ضعفاً على ضعف ...

٤ - إنسان آخر يتعبه ضعف إيمانه :

له إيمان نظري . ولكن هذا الإيمان من الناحية العملية يضعف . وإن تعرض لمشكلة
ينهار أمامها ويخاف . ويدل خوفه على ضعف إيمانه في الله الذي يحفظه ويحميه . بينما
الإنسان القوى لا يضعف مطلقاً ، ولا ينهار ولا يخاف أمام المشاكل . لقد خاف بنو
إسرائيل أمام البحر الأحمر بسبب ضعف إيمانهم . أما موسى النبي فلم يخف ، بل كان
إيمانه قوياً ، وأدخل القوة في نفوس هؤلاء الضعفاء الخائفين . وقال لهم « لا تخافوا .
قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم ... الرب يقاتل عنكم ، وأنتم
تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

لذلك ، حاول أن تقوى إيمانك ...

اقرأ كثيراً عن الأشخاص الذين لهم إيمان قوى ... وقرأ عن تدخل الله في مشاكل
ومتاعب أولاده ، وعن آياته ومعجزاته . وإن طلبت من الله طلباً ، لا يضعف إيمانك إن
تأخرت استجابة صلاتك . بل ثق أن الله لا بد سيعمل ، ولا بد سيأتي لانقاذك ولو في
الهزيع الأخير من الليل .

في إحدى المرات ضعف إيمان بطرس الرسول ، وهو يمشي مع الرب فوق البحر ،
لأنه نظر إلى الأمواج الشديدة ، ولم ينظر إلى الرب ، فخاف وصرخ . فانقذه الرب
ووبخه بقوله « يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ » (مت ١٤ : ٣١) . وإن ضعف
إيمانك ، اصرخ إلى الرب مع ذلك الإنسان الذي قال :

« أو من يارب ، فأعن عدم إيماني » (مر ٩ : ٢٤) .

٥ - نوع آخر من الضعف هو ضعف النفسية .

ربما يوجد إنسان نفسيته ضعيفة ، من النوع الذى يسميه الكتاب «صغار النفوس» ... يمكن أن يقلق بسرعة ويضطرب وينهار، ويشك . إنه لا يستطيع أن يحتمل ، ويحتاج باستمرار إلى من يسنده . وقد يكون كبيراً فى السن ، ولكن له نفسية الصغار . فما هو موقفنا من امثال هذا النوع الضعيف ؟

موقفنا من الضعفاء

إن كنت أنت ضعيفاً ، فلا تيأس من ضعفك .

وإن رأيت شخصاً ضعيفاً ، فلا تحقر ضعفه ، هوذا الرسول يقول :

« شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع » (١ تس ٥ :

١٤) .

افتحوا طاقة من رجاء ، لتضىء على الذين يسيرون فى الظلمة خائفين ومضطربين . حدثوهم عن الرجاء وعن عمل الروح القدس ، وكيف أن الله يتدخل ولو فى آخر لحظة . إحكوا لهم قصص الذين سقطوا وقاموا ، وصاروا من المنتصرين الغالبين .

الإنسان الروحى القوى ، لا يفتخر على الضعيف ولا يستصغره ، ولا يشهر به ، بل على العكس يقويه ، يمنحه من القوة التى فيه ، التى أعطاه الرب إياها . يسند الضعفاء الذين سقطوا ، ويعطيهم رجاء فى التوبة ... ويذكرهم بأن «الصديق يسقط فى اليوم سبع مرات ويقوم» (أم ٢٤ : ١٦) .

إن الله نفسه يسند الضعفاء ، الذين كالأطفال . ويقول المزمور :

« حافظ الأطفال هو الرب » (مز ١١٦ : ٦) .

وفى بعض الترجمات يقال « يحفظ البسطاء » ... مهما كانوا صغار النفوس .

لقد قال الرب عن الزرع الذى يعطى ثمراً ثلاثين وستين ومائة ، إنه زرع جيد (مت ١٣ : ٢٣) . ونحن قد نعتبر أن الجيد هو الذى يعطى مائة ، وبالتجاوز الذى يعطى

ستين . ولكن حنان الله على الضعفاء ، اعتبر أن الذى يعطى ثلاثين فقط ، هو أيضاً
زرع جيد . يكفى أنه يعطى ثمراً ...

حقاً إنه إله الضعفاء ، وإله المساكين .

كان يزور العشارين والخطاة ، ويحضر ولائمهم ، ولم يحتقرهم مثلما احتقرهم
الكتبة والفريسيون . بل دعا واحداً منهم هو متى وجعله رسولاً من الاثنى عشر .
ودخل بيت زكا ، وقال : اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لابراهيم
(لوقا : ١٩ : ٩) . وبعد القيامة ظهر أولاً لمريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين
(مر : ١٦ : ٩) .

إن الله لم يقف ضد الضعفاء ، بل ضد المتكبرين .

لذلك يقول الكتاب إن «الله يقاوم المتكبرين» (يع : ٤ : ٦) . إنه هو «المقيم
المسكين من التراب ، والرافع البائس من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه»
(مز : ١١٢) . بل إن الرب يقول «إلى هذا أنظر إلى المسكين ، والمنسحق الروح ،
والمرتعد من كلامي» (اش : ٦٦ : ٢) ...

* * *

حقاً إن كل إنسان معرض للضعف .

وقد حكى لنا الكتاب سقطات للقديسين ، وضعفات للرسل والأنبياء . فالذى
يحتقر سقطة الضعيف ، ما اسهل أن تقوى عليه حروب العدو فيسقط . وما أعمق
نصيحة القديس بولس الرسول فى قوله «اذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم ،
والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد.» (عب : ١٣ : ٣) .

الإنسان الروحى لا يدين أخاه الضعيف ، بل يصلى لأجله .

يشفق عليه ، ويطلب له من الرب معونة . ويعرف أنه ليس كل إنسان يصل إلى
المستويات الروحىة العالية . وليس الكل قد نالوا دفعة كبيرة من النعمة . والمواهب
ليست واحدة ، «ونجم يمتاز عن نجم فى المجد» (١ كو : ١٥ : ٤١) .

معالجة الضعف

بعض نصائح نقولها للإنسان الضعيف الشاعر بضعفه :

١ - ابعد عن مجال الخطية التى تضعف ارادتك .

ابعد عن العثرات ، وعن كل الأسباب التى تقودك إلى الخطية ، والتى لا تقوى على مقاومتها . ابعد عن كل تأثير سىء . ولا تضع فى نفسك أنك أقوى من المحاربات . فقد قيل عن الخطية إنها « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوىاء » (أم ٧ : ٢٦) . مادمت ضعيفاً ، اعترف بضعفك ، وابحث عن السبب ، وتجنبه ...

ونصيحة الابتعاد عن أسباب الخطية ، تضعها لك الكنيسة فى أول صلاة باكر ، إذ تتلو المزمور الأول : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزين لم يجلس » .

٢ - اطلب القوة من الله . واجعل ضعفاتك مجالاً لصلواتك .

وكما قال المرتل فى المزمور « قوتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٧) . وقال أيضاً « لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء ... » (مز ١٢٣) . « إن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلاً سهر الحارس » (مز ١٢٦) . ويقول بولس الرسول « الجميع تركونى ... ولكن الرب وقف معى وقوانى » (٢تى ٤ : ١٦ ، ١٧) . اطلب إذن قوة من فوق . وقل « معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض » (مز ١٢٠) .

عمق صلاتك . فما أكثر الضعفاء الذين نالوا قوة بالصلاة ، وانتصروا وغنوا قائلين « الحرب للرب » (١صم ١٧ : ٤٧) ، « وليس لدى الرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل » (١صم ١٤ : ٦) .

٣ - مهما كنت ضعيفاً ، لا تيأس .

لا تفقد الأمل مطلقاً . لأن اليأس يحطم النفس ، ويجعلك تستسلم ليد العدو ،

وتستمر في الخطأ. كأن لا فائدة من الجهاد!! ضع أمامك أمثلة كانت أسوأ من حالتك، وخلصها الرب من خطاياها. وشجع نفسك وقل: إن الله الذي خلّص موسى الأسود، ومريم القبطية، وأوغسطينوس، ومريم المجدلية... لا بد سيخلصني أنا أيضاً... ولكن ليس معنى هذا، أن تركز إلى ضعفك وتستمر فيه، معتمداً على معونة إلهية لا بد ستصلك!! وإنما جاهد.

* * *

٤ - جاهد بكل ما عندك من قوة، مهما كانت ضئيلة.

واستمع إلى قول بولس الرسول وهو يوبخ العبرانيين قائلاً «لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢: ٤). كل ما كان يملكه داود من سلاح، هو مجرد حصة وضعها في مقلاعه، وتقدم إلى الصف، والرب هزم به جليات الجبار (اصم ١٧: ٤٨، ٤٩).

إن جهادك - مهما كنت ضعيفاً - يدل على رفضك للخطية، ورغبتك في التخلص منها. وهو في حد ذاته طلب إلى النعمة أن تتقدم.

* * *

٥ - ركز على مقاومة الخطايا الثابتة المتكررة.

لأنها هي نقط الضعف التي فيك. هذه التي تكررهما في كل اعتراف، وتشكو منها باستمرار. ركز على هذه بالذات، بتدريبات مستمرة لمقاومتها، وبأن تغضب نفسك على ذاتك، بل وتعاقب نفسك في كل سقوط، وتوبخها. طالباً معونة الرب.

* * *

٦ - تجديد الذهن، للوصول إلى فهم سليم.

يقول القديس بولس الرسول «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). وهذا يعني أن تتغير نظرتك إلى الأمور التي تخطيء فيها، بتجديد ذهنك. فكثيرون يسقطون بسبب فهم خاطيء لمعنى القوة، أو لمعنى الكرامة، أو بسبب فهم خاطيء لمعنى الحرية... إلخ. هؤلاء جميعاً يحتاجون إلى تجديد الذهن. يحتاجون إلى فهم سليم لحقيقة القوة والكرامة والحرية. وهذا الفهم الجديد والاقتناع به، يحفظهم من السقوط.

٧ - يزول ضعفك ، إذا دخلت محبة الله في قلبك :

أنت تضعف أمام الخطية، إذا كنت تحب الخطية أكثر مما تحب الله ووصاياه .
فإن دخلت محبة الله إلى قلبك ، ستطرد محبة الخطايا من داخلك ، وهكذا تصبح قوياً في
مقاومة كل إغراء... وصدق ذلك القديس الذي قال إن التوبة هي استبدال شهوة
بشهوة، أى أن شهوة الروح تحل محل شهوة الجسد . ومحبة الله تحل محل محبة العالم ...

اسلك إذن في كل الوسائط الروحية التي توصلك إلى محبة الله . وعاشر الذين
يحبونه ، واقرأ عن الذين أحبوه ، وتمثل بهم .

٨ - تذكر أن ضعفاء كثيرين ، صاروا أقوياء وقديسين .

بطرس الرسول الذى خاف وضعف أمام جارية، وانكر المسيح (مت ٢٦ : ٦٩ -
٧٥) . هو نفسه الذى وقف فى قوة أمام رئيس كهنة اليهود ، وقال له « ينبغى أن يطاع
الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) . وقال للرؤساء والشيوخ والكهنة « إن كان حقاً
أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله ، فاحكموا!! لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما
رأينا وسمعنا » (أع ٤ : ١٩ : ٢٠) .

وموسى الأسود الذى كان فى بداية رهبنته لا يستطيع مقاومة الأفكار، وقد ذهب
إلى أب اعترافه ١١ مرة فى ليلة واحدة... هو الذى صار القس موسى المرشد الروحى
لرهبان كثيرين ...

٩ - كلما ضعفت ، تذكر نعمة الله العاملة ...

النعمة القادرة أن تقويك ... لذلك تذكر قول القديس بولس الرسول « ولكن حيث
كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » (رو ٥ : ٢٠) ... تزداد النعمة لتحريك من
الخطية ... وتذكر أيضاً قول الرسول « لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى »
(٢ كو ١٢ : ١٠) ... ضعيف بذاتى ، ولكن قوى بنعمة الله العاملة معى ... التى
تقوينى .

١٠ - اعلم أن الله دائماً مع الضعفاء ...

لقد اختار ضعفاء العالم ، ليخزى بهم الأقوياء (١ كو ١ : ٢٧) ... فى هؤلاء تظهر
قوته . ولذلك أتذكر أننى كتبت مرة فى مذكراتى « قال الشيطان لله : اترك لى يارب
الأقوياء ، فإننى كفيل بهم . أما الضعفاء فلا أقدر عليهم . إذ فى شعورهم بضعفهم
يلجأون إليك ، ويحاربونى بقوتك ... » .



الإنسان الروحي:

لا يعتمد

على ذراعك البشري

كما بالغ البعض في أهمية النعمة ، حتى أهملوا جانب الجهاد والعمل ، كذلك بالغ البعض في أهمية العمل والجهاد ، حتى تجاهلوا أهمية يد الله في حياتهم ! واعتمدوا في روحياتهم على ذراعهم البشرى .

أما الإنسان الروحي فيؤمن في أعماقه بخطورة الاعتماد على ذراعه البشرى . إنه يبذل كل جهده ، ولكنه لا يعتمد على جهده ، بل على عمل الله فيه . وكما قال المرتل في الزمور:

إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناؤون وإن لم يحرس الرب المدينة ، فباطل هو سهر الحراس .

حقاً إن كل عمل يعمله الإنسان وحده ، دون أن يشترك الله فيه ، لابد سيكون مصيره إلى المجد الباطل وافتخار الذات . أما العمل الذى تشعر أن الله هو الذى عمل فيك ، وهو بنعمته قد منحك القوة لاتمامه ، وأنت كنت مجرد أداة في يديه الإلهيتين ... فإن هذا العمل هو الذى يكون لتمجيد الله وتسبيحه وشكره .
وتختفى الذات في هذا العمل الإلهي ، ويظهر الله وحده ...

لذلك عليك أن تدخل الله في عملك ، لأنه يقول « بدونى لا تقدر أن تعملوا شيئاً » . إياك أن تعمل وحدك ، وبدون الله ! وإلا فإنك ستنسب النجاح إلى عزيمتك ، وإلى قوة إرادتك ، وإلى ذكائك ومقدرتك ، وإلى برك وتقواك وشدة مقاومتك للخطية ، وإلى نجاحك في تداريك ... وهكذا تتركز حول ذاتك ويختفى الله !!

لاشك أن هناك أعمالاً يعملها الله كلها ، دون أى تدخل للعامل البشرى فيها ، وسنضرب لذلك أمثلة :

+ معجزات اقامة الموتى : واضح فيها أن الميت لم يقم ذاته ، وإنما الرب قد أقامه ،

لا دخل للقوة البشرية هنا . وأنت أيضاً ميت بالخطية ، وقد أقامك المسيح .. ومثال آخر الامراض المستعصية التي كانت ترمز للخطية، مثل مرض الأبرص ، وصاحب اليد اليابسة ، والمفلوج ، والأشل ، والمقعد ، والأعمى . كلهم قد شفاهم الرب بغير ذراعهم البشرى . لذلك فالإنسان الروحي يقول :
« اعتبرنى يارب مثل هذا الميت ، الذى لا يقدر على إقامة نفسه ، ومثل الأبرص الذى لا يستطيع تطهير ذاته » .

أنت يارب الذى تقدر أن تقيم الميت ، وتشفى الأبرص . أنت يارب قد عملت مع كثيرين كانوا فاقدى القدرة ، ولم يقووا على تخليص نفوسهم ، وأنت قد خلصتهم . مثال ذلك أبونا أسحق ... لقد وضع على الحطب فوق المذبح ، وأعدت النار ، وارتفعت السكين فوقه . ولكنك أنت الذى تدخلت فى اللحظة الحاسمة ، وأنقذت اسحق .

* * *

الإنسان الروحي يذكر أيضاً مثال العاقر . التى لم تستطع من ذاتها أن تنجب ولكنها بنعمة الله صارت مثمرة أكثر من الجميع (أش ٥٤) . ويقول للرب :
أنت الذى فتحت رحمة المعلق ، وقلت لها فى رفق « ترمنى أيتها العاقر التى لم تلد ... لأنك تتمدين إلى اليمين وإلى اليسار . ويرث نسلك معاً ، ويعمر مدناً خربة ... لحظظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك » (اش ٥٤) .
نعم إن نفسك قد تكون عاقراً ، لم تنجب من ذاتها فضيلة واحدة . ولكنها بالروح القدس سيكون لها بنون كثيرون ، وبارك الله بنيتها فيها .

ولكنها بدون روح الرب ، لن تنجب ، لن تثمر . إن « البنين ميراث من الرب » كما قال الكتاب . وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح رحم العاقر ، كما فعل مع سارة ، ورفقة وراهيل وحنة واليصابات .

اعتبر نفسك مثل « الميت الذى لا يقدر على القيامة من ذاته ، وكالأبرص الذى يحتاج إلى الرب لتطهيره ، وكالعاقر التى من ذاتها لا تلد ، بل الرب يفتح رحمها ، فاطلب الرب إذن من كل قلبك .

* * *

انظر إلى شمشون ، في اعتماده على قوته ، واعتماده على الرب ...

ما مصير قوته البشرية الجبارة ، التي استطاعت أن تخلع باب المدينة ، وتقتل الأسد ، وتخيف الناس ... لقد انتهى بها الأمر إلى الضياع . فقبض الأعداء على شمشون ، وفقأوا عينيه ، جعلوه يجر الطاحون كالحَيوان . ولكنه أخيراً عندما قال « يا سيدي الرب ، اذكرني ، وشددني هذه المرة فقط ، فأنتقم نقمة واحدة عن عيني » (قض ١٦ : ٢٨) ، عندئذ أعطاه الرب قوة ، فكان الذين أماتهم في تلك المرة ، أكثر من الذين أماتهم طول حياته ... لأن يد الرب عملت معه .

* * *

اطلب إذن تدخل الرب في حياتك . ولكن ليس معنى هذا أن تنام وتكسل ، وتطلب الرب . ولكن جاهد بكل قدرتك ، دون أن تعتمد على هذه القدرة وحدها ، لأنها بدون الرب لا تستطيع شيئاً ...
اعمل . ولكن لا تعمل وحدك . لا تعتمد على ذراعك البشرية ، وعلى قوتك وذكاائك وتقواك . اعرف أنك بدون الله لا يمكن أن تنجح . وإن نجحت ، يكون نجاحك فشلاً ، لأنه سيصير طعاماً للذاتية والمجد الباطل .

* * *

+ تعجبنى عبارة قالها بطرس الرسول ، عندما شفى الله على يديه الرجل المقعد عند باب الهيكل ، والتف الناس مندهشين حول بطرس ويوحنا ، حينئذ قال لهم بطرس :
« ما بالكم تتعجبون من هذا ؟ ولماذا تشخصون إلينا ، كأننا بقوتنا أو بتقوانا جعلنا هذا يمشي ؟ إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، إله آبائنا مجد فتاه يسوع ... » (أع ٣ : ١٢) .
+ لقد قال بطرس هذا الكلام ، لأنه جرب الذراع البشري من قبل ، ولم ينتفع شيئاً : على الأقل في حادثتين هامتين :

الأولى في صيد السمك : لقد سهر الليل كله ، بكل ما عنده من فن في الصيد ، ومن خبرة وقدرة . وكانت نتيجة ذلك قوله للرب :

« تعبنا الليل كله ، ولم نصطد شيئاً » .

ولكنه ، عندما دخل الرب في سفينته ، وعندما أرشده أين يلقي الشبكة وألقاها حسب مشيئته في الأعماق ، حينئذ أتت بصيد كثير ، حتى كادت تتحرق .

والخبرة الثانية التي اختبرها بطرس كانت في حادثة انكاره للمسيح . لقد اعتمد على ذاته كثيراً ، وعلى محبته للرب ، وعلى تصميماته : قال للرب : لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكرك ... ولو أدى الأمر أن أموت معك ...

ولكن بطرس المعتمد على ذاته ، أنكر المسيح أمام جارية ...

لم تنفعه نيته الطيبة ولا عزمته ، ولا مجرد محبته ، ولا تصميماته ، ولا حماسه التي قطع بها اذن العبد ...

ليته حول تصميماته إلى صلاة . ليته قال : اعطني يارب انا الضعيف قوة لكي لا أنكرك ، قوة استطيع بها - إذا ما غربلني الشيطان - أن أصمد ...

* * *

كثيرون يجاهدون بمفردهم ، يتعبون ، ويفكرون ، ويدبرون ، وخططون لحياتهم الروحية ، دون أن يعنوا بادخال الرب معهم .

سأضرب لكم أمثلة أراد الله بها اثبات فشل الذات في كافة مواهبها ونواحي قوتها .

شمشون الذي فقئت عيناه وهو مثال لفشل الذراع البشرى في القوة ، وسليمان الذي بخر للأصنام مثال لفشل الذراع البشرى في الحكمة ، وداود الذي زنى وقتل مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من كثرة مواهبه . وبطرس الرسول في إنكاره للسيد المسيح مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من حماسه وغيرته واخلاصه . وبطرس الذي سهر الليل كله ولم يصطد شيئاً مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من خبرته وفنه .

* * *

لذلك إذ عرفت فشل الذراع البشرى ، في كل قوته ، وحكمته ، ومواهبه ، وحماسه وغيرته ، وفنه وخبرته ... إن عرفت هذا ، لا تعش مستقلاً عن الله ، ولا تجاهد بغير معونته .

ادخل الله معك في الصغيرة والكبيرة ...

كثيرون يطلبون الله فقط في الأمور الخطيرة ، أما الأمور الصغيرة فيثقون بقوتهم فيها ، وفيها يفشلون ويسقطون . لهذا يهتم الشيطان بهذه الأمور الصغيرة ويركز عليها لیسقطهم بها .

ولذلك يحذر القديسون من شيطان يسمى « شيطان الأمور الصغيرة » .

من أجل هذا قال النشيد « خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم ». أما أنت فادخل الرب حتى في الصغائر. لا تثق بقوتك، مهما بدا لك الأمر تافهاً .

كثير من القديسين سقطوا في خطايا ظنوها « خطايا المبتدئين ». أما أنت فلا تحقر خطية معينة، ولا تظن أن هناك خطية تافهة لا تحتاج إلى معونة من الرب. اطلب الرب باستمرار ليعمل معك في كل أمر، صعباً كان أم سهلاً .

لا تقل هذا الأمر سهل ، اعمله بنفسى . وذلك أمر صعب ، احتاج فيه إلى معونة إلهية ، فالأمر السهل هو الذى يقف فيه الله معك ، وإلا صار صعباً . والأمر الصعب هو الذى تعمله وحدك بدون الله مهما بدا سهلاً .

* * *
تعجبنى قصة خيالية قيلت عن فلك نوح . كان فيه ثمانية أفراد : نوح وزوجته ، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث ... ولكن ...

قيل أن هناك تاسعاً كان في الفلك ، وكان يدير دفته ... ولولاه ما خلاص الفلك . هذا التاسع هو الله . نعم ، هل يعقل أن يكون نوح قد دخل الفلك دون أن يدخل الله معه !؟

لاشك أن العناية الإلهية هى التى تقودنا . بدونها لا يمكن لذراعنا البشرى أن يعمل ... نحن نفرس ، ونسقى . ولكن الله هو الذى ينمى . إذن ليس الغارس شيئاً ، ولا الساقى ، بل الله الذى ينمى . « (١ كو ٣ : ٧) .

لوط لو لم ينقذه الملاك ، لهلك فى سدوم ... لقد امسكا بيديه ، وكانا يدفعانه عندما يتوانى ، ويعجلان بخروجه ...

دانيال لو لم يرسل الله ملاكه ليسد أفواه الأسود ، لضاع فى الجب . ولولا ملاك الله لبقى بطرس فى السجن .

* * *

لذلك لا تركز تفكيرك فى ذاتك ، وفى مواهبك وقدرتك وفهمك ، وفى إرادتك وعزيمتك وتدابيرك ، وخبرتك وطهارتك . خف جداً لئلا تكون معتمداً على ذراع بشرى ...

جاهد ، ولكن ليس بمفردك .. واعمل ، ولا تعتمد على عملك . وفكر ، ولكن «على فهمك لا تعتمد» . انظر إلى لمبات الكهرباء : قد تكون قوية وجيدة ، ومن أجود الأصناف ، وكذلك أسلاكها جيدة ، وتوصيلاتها سليمة . ولكن إن لم يسر فيها التيار، فلن تضيء ، كذلك أنت ...

هناك آية أحب أن تضعها أمامك باستمرار ، كشعار وهي :

« إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البنائون . وإن لم يجرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحارس » (مز ١٢٧ : ١) .

صحيح يجب أن تعمل مع الله . هو يبنى . وأنت تناوله الطوب والحجارة والمونة ، أو أنت تكون حجراً صالحاً في يديه . ولكن لا تظن أنك أنت الذى تبنى حياتك ، وحدك ، بدونه ، استمع إلى بولس الرسول ، وهو يقول «أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى» .

إنه يستطيع كل شيء ، ولكن ليس وحده ، بل فى المسيح الذى يقويه . وإن لم يقوه المسيح ، لن يستطيع شيئاً .

لذلك نحن فى الترتيلة نقول له «امسك يدي وقدي» . قل له يارب أنا بدونك لا أستطيع شيئاً . قدنى ارشدنى . «علمنى يارب طرقك ، فهمنى سبلك» ، «افتح عينى الغلام ليرى» اعطنى القوة والمعونة . اعمل فى ضعفى .

* * *

كلمة جميلة قالها المسيح لتلاميذه الذين دربهم بنفسه :

« لا تبرحوا أورشليم ، حتى تلبسوا قوة من الأعلى » ...

وماذا عن كل خبراتنا ومعرفتنا وروحياتنا ؟ أو ماذا عن تلمذتنا الطويلة ، لك أنت ؟ ... لا تعتمدوا على ذواتكم . انتظروا موعد الأب انتظروا حتى تلبسوا قوة من الأعلى ... «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً ، حينئذ ، وليس قبل ...

هكذا أنت ، لا تعمل إلا بعد أن تنال قوة من فوق . اسع وراء هذه القوة ، بكل ضعفك ، بكل صلواتك وتصرفاتك ، وحينئذ تشهد له ...

إذن ليس بذراعك البشرى ، حتى لو كنت رسولاً ومن الاثنى عشر، بل بالقوة
التي تلبسها من الأعلى . ليس قوتك ، ولا بتقواك ، بل باسم يسوع المسيح ، يمكن لهذا
المقعد أن يمشي. إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البنائون .

كل خطية تقابلك ، قل لها « أنا آتيك باسم رب الجنود » مثلما قال داود
لجليات . ادخل إلى الرب في المعركة ، لأن الحرب للرب . تأكد أن الرب يحارب
معك . وإن لم تشعر به ، صارعته حتى الفجر، وقل له لا أتركك حتى تذهب معي .
وإن لم تذهب معي فلن أحارب ولن اذهب مثلما قال القائد باراق لدبورة النبية
(قض ٤ : ٨) .

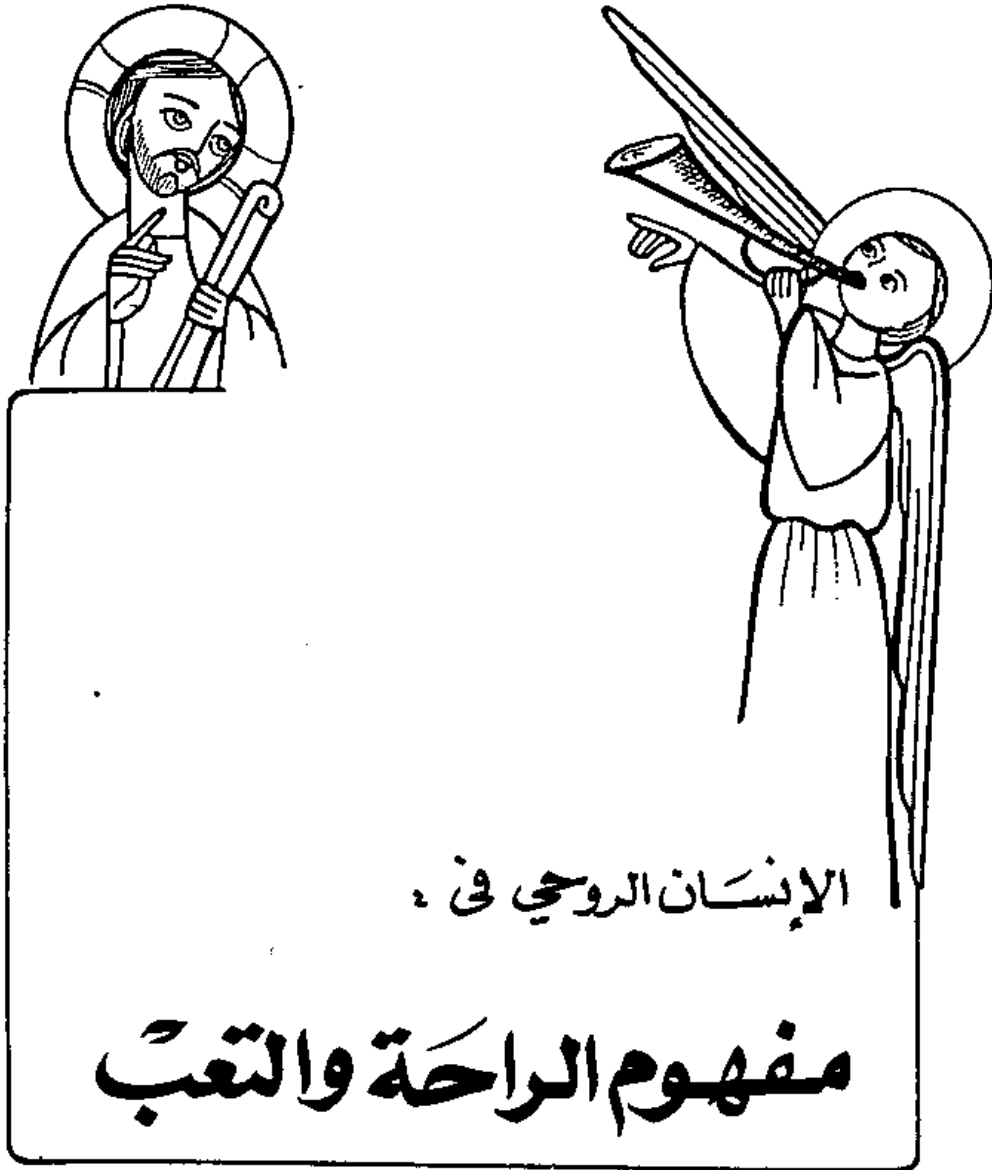
كن كالبيت المبني على الصخر ، «والصخرة كانت المسيح» ، حينئذ لا تسقط .
ولا تبني بيتك على ذاتك ، لأن ذاتك تراب ورماد والبيت المبني على التراب يكون
سقوطه عظيماً ...

ملائكة الكنائس السبع كانوا في يمين المسيح « (رؤ ٢) . في يمين الرب التي
صنعت قوة (مز ١١٧) . كن أنت أيضاً في يد الله . كن كالطفل الذي يسير في
الطريق مطمئناً ، لأن أباه ممسك بيده . قل له «لا تتركني يارب لذاتي ولذكائتي ،
امسك بيدي» . «آه يارب لو انفرد بي عقلي وذكائتي بعيداً عنك» إذن لكنت
هلكت !!

هوذا الرسول يقول «لا تستكبر، بل خف» (رو ١١ : ٢٠) . وإن خفت ، قل له
«إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شيئاً ، لأنك أنت معي . عصاك وعكازك
هما يعزيانني» (مز ٢٣) .

هذا هو الإنسان الروحي ، الذي يسير في طريقه المقدس ، معتمداً على قوة الله التي
تسنده ، والتي ترشده ، والتي تحميه ، والتي تعمل فيه ...

لا يعتمد اطلاقاً على ذراعه البشرى ... ولا أى ذراع بشرى ، بعيداً عن الله ...



الإنسان الروحي في :

مفهوم الراحة والتعب

هناك أنواع كثيرة من الراحة

راحة الجسد ، وراحة النفس ، وراحة الفكر ، وراحة الضمير ، وراحة الروح ... والراحة من المشاكل . وهناك راحة حقيقية ، وراحة زائفة ، أو خاطئة ... وقد يوجد إنسان ، راحته في هوية معينة ، في لون من الرياضة مثلاً ، أو في أحد الفنون كالرسم أو الموسيقى أو الشعر ، أو يجد راحته في القراءة ، أو في تسليية ما كحل الألغاز... وليس في هذا كله شيء خاطيء ، مادامت وسيلة سليمة . ولكنه مع ذلك ليس هو الراحة الحقيقية .

والبعض قد يجد راحته في المتعة مع الأصدقاء والأصحاب والمعارف ، بروح الأسرة الواحدة ، بأسلوب اجتماعي ، يتسامرون ويتسلون ، أو يتعاونون معاً في عمل عام . وهذا لون سليم من الراحة ، مادام لا خطأ فيه . ولكنه مستوى معين من الراحة ، يوجد ما هو أعلى منه .

وهناك راحة زائفة ، وراحة خاطئة :

لقد استراح آخاب الملك حينما استطاع أن يدبر مؤامرة ظالمة استولى بها على حقل نابوت اليزريعيلى ، وساعدته في ذلك زوجته ايزابل ، إذ أرادت أن تحقق له رغبته ، ولو بجملة من الخطايا... ولم يسترح الاثنان ، إذ أرسل الله ايليا النبي إلى آخاب ليقول له « في المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزريعيلى ، تلحس الكلام دمك أنت أيضاً » (١ مل ٢١ : ١٩) . وهكذا حدث لزوجته أيضاً (٢ مل ٩ : ٣٦) .

وقد يظن إنسان أنه يريح نفسه بالتدخين أو بالخمر :

أو بتعاطي بعض المخدرات . وقد يصل الأمر به في كل ذلك إلى الإدمان . وهولا

يدرى أن السجاير أو الخمر لا تحل له مشكلة، بل هي مشكلة أخرى تضاف إلى مشاكله. والمخدرات إنما تتيهه عن نفسه فينسى مشاكله إلى حين. ولكن هذه المشاكل تظل باقية بلا حل، تضاف إليها مشكلة أخطر وهي تعاطى المخدرات ...

وانسان آخر قد يرى راحته في تحقيق شهوة معينة :

كأن ينتقم لنفسه ممن أهانه أو اساء إليه، ويرد الكلمة بكلمتين، وعندئذ يستريح!! كذلك إن استطاع أن يهزم منافسه... وكلها راحة زائفة وخاطئة ...

كذلك قد يشعر براحة داخلية، من يحقق لنفسه شهوة في العظمة، أو القنية والامتلاك، أو شهوة جسدية، أو قضاء الوقت في لهو وعبث...!! أو ممارسة باقى عاداته الخاطئة... ويكون في كل ذلك قد أهلك نفسه ...

مادام الأمر هكذا، فلنبحث عن الراحة الحقيقية وكيف تكون :

أول ذكر للراحة في الكتاب المقدس هو الآية التي تقول : « فاستراح الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع و قدسه ، لأنه فيه استراح من كل عمله الذي عمل الله خالقاً » (تك ٢ : ٢ ، ٣) ... وهنا نجد راحة مصحوبة بالبركة والتقديس، وتقدم لنا مبدأ هاماً وهو:

الراحة المقدسة في إتمام عمل صالح :

لأن الله نظر إلى كل ما عمله، فإذا هو حسن جداً (تك ١ : ٢١)، فاستراح لذلك... وبنفس الوضع نجد راحة أخرى في إتمام عمل الفداء، حينما قال وهو على الصليب « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠). وأيضاً وجد راحته في قوله للآب :

« العمل الذي أعطيتني لأعمل، قد أكملته » (يو ١٧ : ٤) .

الإنسان الروحي يستريح في أعماقه من الداخل، حينما يمكنه أن يكمل كل عمل صالح يعهد به إليه، وحينما يكمل خدمته. مثلما قال القديس بولس الرسول : « إني الآن اسكب سكيناً، ووقت انحلالى قد حضر. جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل » (٢تى ٤ : ٦ - ٨) .

لقد استراح السيد المسيح ، حينما أكمل عمل الفداء ، وأصعد من الجحيم
الراقدين على رجاء ، وفتح لهم باب الفردوس . ثم هزم الموت بقيامته في فجر الأحد .

هَذَا نَقْدَسُ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَنَعْتَبِرُهُ يَوْمَ الرَّبِّ ، يَوْمَ الرَّاحَةِ الْحَقِيقِيَّةِ .

لأن فيه أراح الرب البشرية من عقوبة الخطية ، ومن الموت . وأصبح بقيامته
بأكورة الراقدين (١كو١٥ : ٢٠ ، ٢٣) ... وهناك نستريح في يوم الأحد... كان يوم
السبت هو اليوم الذي استراح فيه الله خالقاً . ويوم الأحد هو الذي استراح فيه فادياً
ومخلصاً ...

والراحة فيه ليست مجرد راحة الجسد ، إنما راحة الروح أيضاً .

فالإنسان الروحي يجد راحته في هذا اليوم ، في بيت الله ، في القداس الإلهي
بألحانه وبركاته ، وفي الاستماع إلى القراءات المقدسة والعظة ، وفي تناول من الأسرار
الإلهية . ويجد راحته فيما يقوم به من خدمة في يوم الرب هذا . وبهذا كله ترتاح
روحه ، ولا يشعر بتعب فيما يبذله من مجهود ... ويذكر ما قاله القديس يوحنا الرسول
في مقدمة سفر الرؤيا :

« كنت في الروح في يوم الرب » (رؤ١ : ١٠) .

لاشك أنه حينما كان في الروح ، كان يجد راحة قلبية ، تنسيه الضيقة ، والنفي في
جزيرة بطمس ، وترشحه لتلك الرؤيا الإلهية العجيبة التي رآها ...

الراحة في يوم الرب ، ليس معناها الكسل أو الخمول ، وليس معناها أن الإنسان
لا يعمل أى عمل على الإطلاق ، كما كان يفهم الفريسيون من وصية الرب (تث ٥ :
١٣ ، ١٤) . فوصية الرب كانت خاصة بالامتناع عن العمل العالمى ، وليس عن
العمل الروحى ... إذن كان يحل عمل الخير في السبوت (مت ١٢ : ١٢) .

أرواحنا تستريح في الله . والله يستريح في أرواحنا .

كما قال في الزمور « ههنا موضع راحتي إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى

اشتهيته» (مز ١٣٢ : ١٤). الله حقاً يستريح في القلب الطاهر. يستريح في قديسيه،
وأيضاً يتمجد فيهم (٢ تس ١ : ١٠). والإنسان الروحي كما يرتاح الله فيه،
كذلك :

* * *

الإنسان الروحي يجد راحته في إراحة الآخرين :

إنه يشعر بلذة وراحة ، كلما أراح غيره . يستريح قلبه وتستريح روحه في كل
عمل محبة يقوم به نحو الآخرين . يجد راحة قلبية ، حينما ينقذ مسكيناً ، أو يحسن إلى
فقير، أو يعطف على يتيم ، أو يحل مشكلة إنسان في ضيقة ، أو يعزى حزيناً ... ويجد
راحة في الخدمة الروحية التي يقوم بها ، مهما كلفته من مجهود ...

* * *

راحة الروح تجعله لا يشعر بتعب الجسد .

عامل الإطفاء مثلاً يخاطر بالقاء نفسه وسط النار والدخان ، ويشعر براحة كبيرة
كلما أنقذ إنسان من الحريق . وكذلك من يتعب لينقذ شخصاً من الغرق ... كذلك من
يبدل كل جهده ، ليرد خاطئاً عن طريق ضلاله ، فينقذ نفساً من الموت ، ويستر كثرة
من الخطايا» (يع ٥ : ٢٠). كل تعب في الافتقاد ، وفي الحوار والإقناع ، وفي احتمال
هذا الخاطئء ، كل هذا التعب لا يشعر به ، بل بالحري يجد فيه لذة إن أمكنه أن
يخلص نفسه . وبهذا يشعر براحة كبيرة .

* * *

لاشك أن أكبر راحة شعر بها المسيح ، كانت على الصليب .

وسط آلام الصלב المبرحة ، كان يشعر براحة لا يعبر عنها ، في تخلص البشرية
من حكم الموت ، وفي إرضاء العدل الإلهي ، وفي بذل نفسه كمحرقة وذبيحة خطية
لفداء البشر جميعاً ... راحة مؤسسة على الألم ، الذي احتمله بسبب الحب ...

ولعل نفس الراحة ، شعر بها الشهداء ، والقياس مع الفارق .

وسط عذاباتهم وآلامهم ، كانوا يشعرون براحة ، إذ هم على وشك الالتقاء بالرب
في الفردوس ، والتخلص من رباط الجسد والمادة ، والانطلاق إلى كورة الأحياء ومجمع
القديسين ...

وهكذا المعترفون أيضاً ، وكل من احتمل آلاماً لأجل المسيح . وهكذا قيل عن الآباء الرسل القديسين ، بعد جلدهم « وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٤١) .

وهكذا الأب والأم يشعران براحة في كل تعبهما من أجل تربية أولادهما .

مهما بذلا من جهد جسدى في العناية بهؤلاء الأطفال ، ومهما احتملا من تعب في سهر الليل ، وفي العناية بصحة هؤلاء الأطفال ونظافتهم ، وفي الاهتمام بتعليمهم والانفاق عليهم . في كل ذلك يشعران براحة . كما تشعر الأم براحة وهي تحمل جنيناً في أحشائها ، لأن الله وهبها ابناً ، مهما كانت متاعب الحمل والولادة ...

* * *

إن الراحة ليست هي مجرد راحة الجسد ،

إنما هي راحة الضمير أيضاً ...

والضمير يرتاح حينما يؤدي رسالته ، وحينما يقوم بواجبه ويكمله على أحسن وجه ، ولا يهتم إطلاقاً بتعب جسده في سبيل إكمال عمله ، وتحقيق هدفه الصالح . وكلما كانت آماله عالية ، كلما تعب بالأكثر ، ووجد راحة في تعب . وكما قال الشاعر :

كلما كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسادُ

بعكس ذلك الذى يستريح جسدياً ، ويتعب ضميره .

كالإنسان الذى يكسل ولا يذهب إلى الكنيسة أو إلى الخدمة ، بحجة حاجة جسده إلى الراحة . هذا الإنسان يستريح جسده ، ولكن ضميره يتعب . أو الخادم الذى يكسل في افتقاد مخدميه ، أو بحجة تعب الجسد يقصر في زيارة مريض ، أو في الذهاب لتعزية حزين ، هذا يريح جسده بينما يتعب ضميره .

كذلك التلميذ الذى لا يذاكر ، ويمتد جسده باللهو والراحة ، تتعب نفسيته فيما بعد حينما يفشل في امتحاناته ، ويتعب ضميره لتقصيره في واجباته ... وبالمثل كل إنسان يهمل عمله ، ويركن إلى الراحة ، فيفشل أو لا يحظى برضى رؤسائه ...

* * *

تعب الاحتمال أيضاً فيه راحة للروح .

تعب النفس في تحويل الخلد الآخر، وفي مشى الميل الثانى، وفي الصبر على من يخاصمك، ويأخذ ثوبك فتترك له الرداء أيضاً، وفي عدم مقاومة الشر (مت ٥ : ٣٩-٤١). كل هذه الألوان من الاحتمال، حتى إن تعبت فيها النفس، ولو في أول الطريق، إلا أن الضمير يرتاح لأنه نفذ الوصية .

كذلك الذى يسهر الليل فى الصلاة .

ويقوم فى نصف الليل، ليسبح الله على أحكام عدله . وتسبق عيناه وقت السحر، ليتلوفى جميع أقواله (مز ١١٩) ... هذا تجرد روحه بكل تعب الجسد . وكذلك تجرد راحة فى جهاده ومصارعته لقوى الشر الروحية (أف ٦)، والصبر إلى المنتهى حتى يخلص (مت ٢٤ : ١٣) .

ومع كل ذلك، لم يجرمنا الله من راحة الجسد .

فمنحنا يوم السبت (الأحد حالياً) لنستريح فيه، جسدياً وروحياً . لأن الله الذى خلق أجسادنا، يعرف أن هذا الجسد يحتاج إلى راحة يوم كل أسبوع . ولذلك قال الرب : « السبت إنما جعل لأجل الإنسان . وليس الإنسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) .

من حقلك إذن، بل من واجبك، أن تريح جسدك من الإرهاق، ومن المرض . وتعطيه حاجته من النوم . ولا تسبب له أمراضاً بإهمالك فى القواعد الصحية . وأيضاً تعطيه كفافه من الغذاء . ولكن ...

ولكن لا تكون راحة جسدك على حساب تعب روحك .

أنت « تقيت جسدك وتربيته » (أف ٥ : ٢٩) . ولكن فى نفس الوقت « تقمع جسدك وتستعبده » (١كو ٩ : ٢٧)، ولا تجعله يتمرّد على الروح ... تعطى الجسد غذاءه، ولا تعطيه شهواته . تعطيه النوم للراحة، ولكن توقظه للصلاة، لكي تستريح الروح أيضاً . وهكذا فإن الإنسان الروحي يحفظ ميزان الراحة بين الجسد والروح .

كثير من الناس يرهقون أجسادهم أزيد من احتمالهم ، فترهق أعصابهم أيضاً ، وقد يخطئون بسبب أعصابهم المرهقة ، وتتعب أرواحهم بذلك . والأمر يحتاج إلى حكمة وافرار .

وفي إراحة جسدك ، ابعده عن الأخطاء النفسية التي تتعبه .

فالغضب والنرفزة من أمراض النفس ، ويتعب الجسد أيضاً . وكذلك الاضطراب والقلق وحمل الهم والكآبة الزائدة ، كلها متاعب في النفس ، تسبب تعباً للجسد أيضاً وقد قال الرب في علاج ذلك « لا تهتموا بما للغد ، فإن الغد يهتم بما لنفسه » (مت ١٦ : ٣٤) ... لذلك فالإنسان الروحي ، الذي يكون قلبه مرتاحاً ونفسه في سلام ، بحياة الإيمان والتسليم ... هذا أيضاً براحة روحه يريح جسده أيضاً من أمراض كثيرة ...

والإنسان الذي يتعب نفسه بالصراع الداخلي ، يتعب جسده أيضاً .

فحالة الانقسام الداخلي التي يعانيتها ، وما يصاحبها من أفكار ضاغطة وافكار متناقضة ، هذا يتعب جسده بالتوتر الفكري . وكذلك الذي يرهقه الحزن المفرط ، يتعب نفسه يتعب جسده أيضاً ... أما الإنسان الروحي ، الذي تسير روحه وأفكاره ومشاعره في خط واحد ، ويرتاح روحاً ونفساً ، هذا يرتاح جسده أيضاً .

الإنسان الروحي ، كما يريح نفسه وجسده ، كذلك بالأكثر يريح روحه .

يريحها من الخطايا ، ومن العادات السيئة والطباع الرديئة . ويريحها من الشهوات ومن الاستسلام للاغراءات ، ويريحها من مقاومة الجسد لها ، الجسد الذي يشتهي ضد الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . ويريحها بالانتصار على حروب الشياطين ، ومقاومتهم راسخاً في الإيمان (١ بط ٥ : ٩) . ويريح روحه أيضاً بمنحها الغذاء الروحي الذي يقويها ويقربها إلى الله ويعمق محبته فيها ...

ويريح روحه ، بأن لا يعمل شيئاً يتعب ضميره .

وتستريح روحه في طاعة الله . ويستريح الله بطاعته .

إن الله يستريح في القلوب المؤمنة به ، المحبة له ، التي تصنع مشيئته ، وتتم ارادته ، كالملائكة « الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه » (مز ١٠٣ : ٢٠) .

الإنسان الروحي ، تستريح روحه في شركة الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) . فلا يعمل عملاً إلا إذا كان روح الله يشترك معه فيه . الروح تستريح حينما تقول لله في كل عمل « لتكن مشيئتك » . فبهذا تريح وتستريح . ما أجل ما قيل عن موسى النبي إنه صنع كل شيء حسب المثال الذي أراه الرب على الجبل (عب ٨ : ٥) .

نتقل إلى النقطة الأخيرة ، وهي كيف يتسريح الإنسان :

إذا استراح الإنسان من الداخل ، يتسريح من الخارج أيضاً . وإن تعب داخله ، لابد أن يظهر عليه هذا التعب من الخارج ... نظرته إلى الأمور هي التي تتعبه . لذلك قال القديس بولس الرسول « تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » (روم ١٢ : ٢) .

يجب أن يقتنع الإنسان بفعل الخير ، فتصير تصرفاته خيرة .

يجب أن يستريح قلبه تماماً للسلوك بالروح . ولا توجد شهوة خاطئة تتعب الإرادة . وكما قال القديس ذهبي الفم « لا يستطيع أحد أن يؤذى إنسان ، ما لم يؤذ هذا الإنسان نفسه » . الإنسان المستريح في الداخل لا يتعبه أي سبب من الخارج . وهو أيضاً لا يتعب أحداً . بعكس الإنسان غير الروحي ، الذي طبعه النكد ، ونفسيته غير مستريحة ، فأقل الأسباب تتعبه ، ويستقبلها هو بتعب .

التعب في داخله ، وليس بسبب الأسباب الخارجية .

لأن الروحيين أحاطت بهم من الخارج أسباب متعبة كثيرة ، ومع ذلك لم يتعبوا .

لا تجعل راحتك على تعب الآخرين

ما أكثر الخطايا التي يقع فيها من يبني راحته على تعب الآخرين . وسنضرب لذلك أمثلة عديدة منها :

١ - من يجد لذته في التهكم والضحك على غيره .

يتخذة مجالاً للسخرية والتفكه والتسلية، غير مبال بجرح مشاعره، ومشاركة الناس له في جعل هذا الإنسان اضحوكة لهم... وبخاصة إن كان لا يستطيع الدفاع عن نفسه، أو يحتشم من ذلك، لأن الذي يتندر عليه أكبر منه سناً أو مقاماً . هذا الساخر هو إنسان يجد راحته في تعب غيره نفسياً...

٢ - مثال آخر: من يقيم حفلة ساهرة صاخبة بميكروفونات تنقل الصوت عالياً عبر عدة شوارع ...

ويستمر على ذلك إلى ما بعد منتصف الليل في صخب وهو وغناء وضوضاء . ولا يبالي في كل ذلك بشعور غيره ولا بمصلحته . المحتاج إلى نوم، لا يستطيع أن ينام . والتلميذ لا يستطيع أن يذاكر . والمريض يزعجه الصوت، وربما يكون قد تناول حبوباً منومة تفقد مفعولها . والباقون يفقدون حريتهم في الكلام وفي القراءة وفي الاستمتاع بوقتهم . ولكن صاحب الحفلة مسرور بحفلته، غير عابئ بتأثيرها على غيره .

ومثل ذلك من يفتح راديو أو ترانزستور في أتوبيس أو قطار . هو يريد أن يسمع ولا يهمله غيره ...

٣ - كذلك من يدخن سيجارة ، وبجواره من يكره رائحتها ...

ينفخ دخانها في وجهه ، أو فيما حوله . وقد يكون بجواره من يكاد يختنق من رائحة الدخان . وبخاصة لو كان ذلك في مكان مغلق ، في حجرة ، أو أتوبيس ، أو طائرة... هو يريد أن يتمتع بمزاجه الخاص ، ولا يعبأ بتعب غيره . وقد يفعل ذلك دون أن يستأذنه وحتى لو استأذن يكون ذلك اجراء شكلياً . وما أكثر ما تتعب الزوجات من أزواجهن المدخنين... يدخل تحت بند التدخين أيضاً المصانع التي تعكر الجو بدخانها ، وتؤذى صحة الناس لكي يكسب أصحابها مالاً... وكذلك العربات التي تنفث في سيرها دخاناً...

٤ - وبالمثل من يتعب غيره بمكالمات تليفونية قد تطول ...

يطلب غيرد تليفونياً في أى وقت . وقد يكون نائماً ، أو على مائدة الطعام ، أو عنده ضيوف ، أو يكون منشغلاً بعمل هام يجب أن يقوم به . ويظل هذا الإنسان يتكلم ويتكلم ، دون أن يسأل هل الذى يسمعه لديه وقت لسماعه أم لا . بينما اللياقة تقتضى أن يسأل... ! وقد يكون صوته عالياً يسمعه الذين حول السامع ، وربما يعرفون به أسراراً ما كان يجوز أن يسمعوها !

٥ - وبنفس الوضع : الحكم على بعض الزيارات :

إنسان يزوره غيره على غير موعد ، دون أن يعرف هل هذا القريب أو الصديق مستعد لاستقباله أم لا ! ولكنه يدخل ويجلس ويتكلم . وقد تطول الجلسة ، وصاحب البيت ينجل من أن يقول له أنه منشغل ، أو كان على وشك الخروج لمهمة معينة أو موعد مع آخرين ! ويكون هذا الضيف جالساً في بيت صاحبه . إنما هو جالس على أعصابه... وما أصعب مثل هذه الزيارات إن كانت خلال أيام الإمتحانات ، ويعلو فيها الصوت ، وانطلبة محتاجون إلى هدوء... ومع ذلك فهؤلاء الضيوف يحاولون أن يجدوا راحتهم ، ولو على تعب غيرهم .

٦ - وعلى نفس القياس : بعض الرحلات إلى الأديرة والمتوحدين :

كل ما يريده أصحاب الرحلات أن يتمتعوا بالدير ، دون أن يضعوا في ذهنهم

راحة الرهبان أو هدوء الدير . وقد يكون في الرحلة أطفال يصيحون ويجرون ويلعبون . وقد يرتفع صوت أعضاء الرحلة ، وقد يتجولون في الدير بغير نظام . وأحياناً تكون في الدير عدة رحلات بعدة أتوبيسات مع عربات خاصة . ويجتمع في الدير مئات ، وتسود الضوضاء أرجاء هذا المكان المقدس ، وأصحاب الرحلة سعداء !! لا يفكرون في تعب الرهبان الذين تركوا العالم إلتماساً للهدوء ! وتزيد المشكلة إن أصر بعض أعضاء الرحلة على زيارة المتوحدين ... إنهم يريدون راحتهم ، ولا يفكرون في طقس الحياة التي يعيشها غيرهم ...

معروفة قصة البابا ثاوفيلس الذي أراد زيارة القديس الأنبا أرسانيوس المتوحد . فلما عرف أن ذلك يؤدي وحدته ، امتنع عن ذلك ...

* * *

٧ - هناك أيضاً أشخاص يريدون أن يتكلموا ، وربما في موضوعات لا يستريح لها سامعوه ...

وقد يقصون أسرار أناس آخرين ، أو مشاكل معينة ، أو أخطاء قد حدثت ، أو يفتحون أذهان سامعيهم لمعرفة أمور جديدة عليهم من الخير لهم أن لا يسمعوها ... ولكنهم يريدون أن يتكلموا ، ولو اتعبوا السامعين ، ولو صبوا في آذانهم معلومات مؤذية ، ولو أتلفوا أفكارهم . وقد يحاول السامع أن يهرب ، ولكنهم يضغطون بالكلام ، لأنهم يجدون لذتهم في الحديث ، شاء السامع أن يسمع أو لم يشأ !! هذا بالإضافة إلى اضاءة وقته ...

* * *

٨ - في كل مرة تضغط على غيرك ، تيقن تماماً أنك تبحث عن راحتك على حساب تعبته ...

وقد يكون هذا الضغط على إرادته ، لكي ينفذ ما لا يريد . وقد يستخدم فيه أحياناً الإلحاح المتعب الذي يشكل ضغطاً على أعصابه وعلى أذنيه ... وقد يكون الضغط مباشرة أو عن طريق وسطاء . أو يكون ضغطاً على ضميره بتهديده بالالتجاء إلى أخطاء يشارك في مسئوليتها ... المهم أن يصل الشخص إلى تحقيق غرضه بالضغط أو الضغوط ، ولا

يهمه مطلقاً شعور من يضغط عليه ، ولا تعب أعصابه ، وتعب ضميره ، وتعب فكره ،
وتعب إرادته ، والوقت الذي تستغرقه الضغوط ...

* * *

٩ - هناك أشخاص يستريحون نفسياً بالشكوى والبكاء ، ويشركون غيرهم في
سماع مشاكلهم ومتاعبهم وأحزانهم ...

ولو حدث ذلك مرة أو في بعض مناسبات ، لكان ممكناً الاحتمال بالمشاركة
الاجتماعية «بكاء مع الباكين» (رو ١٢ : ١٥) . ولكن ماذا عن أشخاص تعودوا
الشكوى والبكاء والتكد ... ما أن يقابلوا صديقاً ، حتى يفتح ريكوردر الشكوى
والبكاء والحزن واليأس والتعب ، إلى غير نهاية ومهما حاول السامع أن يخفف عنهم ،
لا يستطيع ، ويزداد الأنين والتعب ، وربما لغير سبب ، أو لسبب تافه ، أو بحديث
متكرر ، وبلا نتيجة ! المهم أنهم يريدون أن ينفسوا عن أنفسهم ، ولو تعب سامعهم ..
ليتك حينما تتكلم ، أن تنظر إلى ملامح سامعك ... هل تعب ؟ هل ضجر ؟ ممكن أن
تكمل كلامك أم لا .

ما أكثر الذين يفقدون أصدقاءهم ومعارفهم ، بداومة الشكوى والبكاء .

* * *

١٠ - نقطة أخرى هي موضوع العثرات :

إنسانة تقف طويلاً أمام المرآة قبل أن تخرج . ولا تفارق المرآة حتى ترضى تماماً
عن نفسها ، إنها صارت في منتهى الفتنة . كل من يراها يعجب بها . ولا يهتمها في
كل ذلك أنها تعثر غيرها أو لا تعثر . المهم راحتها النفسية في أن تكون موضع
الإعجاب ، ولو تعب الذين يعجبون بها . نصيحتي لك : لا تجعل المرآة تقودك ... بل
اهتمى أن لا تكوني عثرة لأحد ...

١١ - يشابه هذا بعض المتزينات في الحفلات :

إنسانة تريد أن تكون الأولى في إحدى الحفلات . وقد تحضر حفلة عرس ، وتحاول
أن تكون أجمل وأشيك من العروس نفسها !! تلبس ملابس فوق مستوى الكل ، وتتحلى
بحلى لا تتحلى بها امرأة أخرى . تريد أن تجذب انتباه الكل ، ولو ألغت وجود غيرها ،

ولو أتعبت باقى النساء وشعرن بصغر نفس وبضآلتهن إلى جوارها ! هذه أيضاً تبحث عن راحتها بتعب الأخريات . وإن ناقشتها ترد قائلة «إنها حفلة ، ويجب أن أحتفظ بأناقتى» . نعم ولكن فى حدود المعقول . ودون إثارة الغيرة ، ودون الدخول فى مقارنات . البسى فى الحفلة ما يناسب مستوى المشتركات فى الحفلة ، بأناقة معقولة .

* * *

١٢ - ما أكثر المشاكل الزوجية ، التى سببها أيضاً من يجعل راحته على تعب غيره :

ومثال ذلك الزوجة التى تطلب من زوجها طلبات فوق طاقته المالية . فإما أن ترهقه مالياً ، أو تضطره إلى الإقراض أو إلى الديون . أو أن يقول ليس معى ! وأحياناً تخرجه بحظها العاثر فى أن تتزوج رجلاً ليس معه ما ينفقه عليها ! وهكذا تخرج شعوره ... ونفس الكلام ينطبق على الإبن الذى يطلب من أبويه ما هو فوق طاقتهم ، والمواطن الذى يطلب من الدولة ما هو فوق طاقتها ...

* * *

١٣ - مثال آخر : وهو المهاجر الذى يحضر إلى مصر ، ليطلب من الكنيسة أن تزوجه فى أيام الصوم :

وأحياناً فى الصوم الكبير !! وإن قيل له أن قوانين الكنيسة لا تسمح بإجراء سر الزواج فى الصوم ، يظل يضغط ويضغط ، ويقدم أعذاراً وتبريرات خاصة بالسفر وبالإجازات . وإن وجد أن هذه التبريرات غير مقبولة ، يحتج ويغضب ويصيح ويصر ، ويهدد بالزواج عند الطوائف الأخرى . المهم راحته فى أن يتزوج ، ولا يهتم بضمير الكاهن ، ولا بقوانين الكنيسة ، ولا بكسر الصوم . إنه يريد موافقة الكنيسة ، وليس بركتها . يريد راحته على تعب غيره ... !

* * *

١٤ - من الأشياء العجيبة أيضاً : من يريد أن يبنى مجده على هدم غيره ، ويظن بهذا أنه يظهر تفوقه !

حتى فى المحيط الكنسى ! كاتب يريد أن يحطم جميع البديهيات والمسلمات التى

يعرفها الكل ، محاولاً أن يثبت خطأها ، لكي يقدم رأياً جديداً ، كأنه يفهم أكثر من الكل . هو الوحيد الذى يفهم ، وكل ما ورثناه عن الأجيال هو خطأ فى خطأ إلى أن بعث الله ، ليقدم للناس المفاهيم السليمة ... من هنا نشأ المبتدعون الذين يبتدعون شيئاً جديداً ، لعله يبنى لهم مجداً ، بتقديم ما لم يصل إليه الغير . يحاول أن يظهر علمه ، بإعلان جهل الناس أو جهل الكل ، وقد يسأل غيره أحياناً أسئلة محرجة المقصود بها أن يظهر جهله . ثم يجيب هو عن الأسئلة ليظهر تفوقه ...

* * *

١٥ - ومثال ذلك من يخفى مواهب غيره ، لتظهر مواهبه هو :

لا يسمح لغيره بالظهور ، ليبقى وحده فى الصورة . كالأستاذ الذى لا يعطى المعيد فرصة ولا شهادة ، إلا بشق الأنفس . وفى نفس الاشكال يقع غالبية الناشئين ، فلا فرصة سهلة لكاتب ناشئ ، أو لمخترع ناشئ ، أو لفنان ناشئ ، لأن الكبار يريدون احتكار العبقرية ذاتها ! ويمجدون راحتهم فى أن يخلو الجو لهم ، ولو تعب كل الناشئين يحتكرون الجو ، ويحتقرون الغير...! يدخل فى ذلك أيضاً من يحتكر الكلام أثناء اجتماع ، ولا يعطى غيره فرصة لكي يتكلم !

* * *

١٦ - من أمثلة الراحة بتعب الآخرين : الزوج الغيار :

الذى من أجل غيرته على زوجته ، يكاد يجلسها فى البيت . لا يراها أحد ، ولا تتكلم مع أحد . ولا تضحك على فكاهة قالها الغير ، حتى إن كانت فكاهة تضحك الحجر ! وإلا يقيم الدنيا ويقعدها . لماذا تنبسطين فى الكلام ؟! كأنما اشترى عصفورة جميلة وجلسها فى قفص . حتى إن غنت داخل القفص ، يمنعها من الغناء ! وهكذا يضيق عليها تضيقاً يجعلها تكره الحياة بسببه . وإن جادلته أو عاتبته ، يقول لها « هذا هو الذى يريحنى » ! ولكنها راحة على تعب غيرك ، لا تقييم فيها أى اعتبار لشعور زوجتك ...

وبالمثل الزوجة الغيارة أو النكدية أو الكثيرة التحقيق مع زوجها ، والتي ترهقه بأسئلة واحراجات ، لكي تستريح هى ، مهما تعب هو ...

* * *

١٧ - تظهر الراحة على تعب الآخرين في موضوع الزحام :

كل شخص يريد أن يسبق غيره، أو يأخذ مكان غيره، أو يصل هو، ولا يهم أن يصل غيره أو لا يصل ! والعجيب أن ذلك قد يحدث أحياناً أثناء التناول من الأسرار المقدسة، وبخاصة أيام الأعياد والمناسبات . بينما التناول يليق به إنكار الذات وانسحاق النفس ، ولا يليق به بتاتا أن يبحث الإنسان عن راحته على تعب غيره، يشبه هذا أيضاً من يبحث عن الأماكن الأولى في الاجتماعات، أو يحجزها قبل مجيئه . وكذلك من يقف في اجتماع، ولو أخفى الرؤية عن غيره . ومن يوقف عربته في مكان، ولو عطلت المرور على غيره... العجيب أن الزحام قد يحدث أيضاً في الجلوس مع أب الإعتراف فقد يدخل معترف إليه . وهناك طابور طويل ينتظر . فلا يهمه كل هؤلاء، ويقضى ما يشاء من الوقت، ولو تعب المنتظرون . والعجيب أيضاً أنه لا يعترف بهذا أثناء جلسته مع أب الإعتراف !

١٨ - وموضوع الزحام يذكرنا بالمنافسات عموماً :

ومنها المنافسات في الوظائف والمناصب، حيث يريد أن يزيح شخصاً من مكانه ومركزه ليحل محله . أو يأخذ درجة أو علاوة بدلاً منه، ولو بتقديم شكوى ضده، أو اشاعة المذمة فيه . أو يتسبب في فشله ليضيعه . وفي مجال السياسة، حزب ينافس حزباً، ويكره الناس فيه ليأخذ مكانه . ويدخل في المنافسات أيضاً المضاربات في الأسواق . ونحن لا نقول إن كل منافسة خاطئة . بل نقصد المنافسات التي تلجأ إلى طرق خاطئة لأن تتعب غيرها أو تتخلص منه أو تحطمه...!

١٩ - وتدخل في موضوعنا أيضاً كل أنواع السرقة :

فالنشال يريد أن يأخذ ما في جيب غيره ليضعه في جيبه هو . وكذلك كل سرقة . ويدخل في هذا المجال الغش في التجارة . واحتكار الأسواق والمضاربات فيها، والربا الفاحش، والسوق السوداء، والهروب من الضرائب والجمارك . في كل هذا يبنى كل إنسان راحته على تعب غيره . ومثلها صاحب العمل الذي يبخر أجور عماله ليغتنى هو، وكأنه يسرق عرقهم وتعبهم . وكذلك الذي يطلب رشوة ليقضى عملاً مشروعاً .

إنها أيضاً سرقة وقد تكون بالإكراه، وهى راحة خاطئة بتعب الآخرين نضع مثال
آخاب الملك الذى أراد أن يعتصب حقل نابوت اليزرعيلى (١مل ٢١). كذلك كل
أنواع الظلم والتسخير.

وأيضاً من يسرق فكر غيره وينسبه إلى نفسه . ومن يترجم لمؤلف ، وينسب الفكر
لنفسه .

* * *

٢٠ - نذكر هنا أيضاً نظرية (كبش الفداء) :

حيث تقوم مثلاً سرقات فى شركة من كبار المسئولين فيها ، ويقدم موظف بسيط ،
أو مدير ، أو عضو مجلس إدارة منتدب ليحمل المسئولية كلها ، ويتبرأ المخطئون
الحقيقيون ، فينالون راحتهم بتعب غيرهم . كذلك محاولة النجاة من مسئولية أى خطأ
بالصاغة بآخر . ومن يتهم غيره لينجو هو .

* * *

٢١ - اغتصاب الفتيات واغراؤهن يدخل فى موضوعنا أيضاً :

إذ يجد شاب راحته الجنسية فى أن يضيع فتاة و يعتصبها . وحتى مجرد العلاقة التى
تشغل عقل الفتاة وعاطفتها ، وتضيع سمعتها ، لمجرد أن يجد الشاب متعته فى مصادقة
فتاة ، مهما أساء إليها بهذه الصداقة ! إنها راحة مبنية على تعب الآخرين .

* * *

٢٢ - يدخل فى هذا الأمر أيضاً الغضب والترفزة :

إنسان أعصابه تعبانه . ينفس عن ضيقه بأن يصب غضبه على الآخرين كلاماً أو
كتابة ، لكى يستريح هو ، مهما تعبوا هم . وما ذنبهم فى تعرضهم لأعصابه المرهقة .
وإن عاتبته يقول : لم استطع أن استريح إلا بعد أن قلت هذه الكلمة ! ولكنها راحة
خاطئة .

* * *

٢٣ - يدخل فى هذا الموضوع أيضاً : الحروب والاستعمار :

حيث تجد إحدى الدول راحتها فى تحطيم دولة أخرى ، أو فى حصارها اقتصادياً ،
أو فى استعمارها . وقد يفعل الأفراد مثل هذا فى حدودهم الضيقة .

٢٤ - نذكر أيضاً محبى الاستطلاع ومحبى معرفة أسرار الناس .

راحتهم هذه ما أكثر ما تتعب غيرهم ، سواء الذين يريدون معرفة أسرارهم ، أو الذين يلحون عليهم بالسؤال ، ليستخرجوا منهم المعلومات ، بالأسئلة المتواترة ، والإلحاح المتعب ، حتى يعصرونهم عصراً ليستخرجوا كل ما عندهم من معلومات بالضغط والإجراج .

* * *

ما معنى الراحة ؟

هؤلاء الذين يبحثون عن راحتهم بتعب غيرهم ، إنما يخطئون في فهم الراحة .
ويبحثون عن راحة مغشوشة :

فالراحة الحقيقية هى راحة الضمير ، وراحة الإنسان مع الله ، وكذلك الراحة الأبدية . أما الراحة التى يبحث عنها هؤلاء ، فهى راحة غير حقيقية . والإنسان الروحى يبذل نفسه من أجل غيره ، ويتعب ليريح الناس . كذلك يجب أن لا تكون الوسيلة إلى الراحة وسيلة خاطئة « وقد قيل ما عاش من عاش لنفسه فقط » . والكتاب يقول « قدموا بعضكم بعضاً فى الكرامة » (روم ١٢) . ويجب أن يبعد الإنسان عن الأنانية وحب الذات .

هناك استثناء واحد ، وهو العقوبة التى تستلزمها الرعاية ، لأجل راحة المجموع ، وتثبيت القيم والروحيات



التعب المقدس

والراحة فني إراحة الغير

الإنسان الروحي لا يهرب من التعب بحثاً عن الراحة ،
بل يفرح كثيراً بأن يتعب من أجل الله .

إنه يبحث أولاً عن راحة ضميره ، عن راحته في الرب ... أما راحة الجسد ، فيضعها
في آخر اهتماماته . ويفضل التعب إن كان فيه كسب روحي . ويرى راحته في هذا
التعب الذي يوصله إلى الله ، والذي يكون فيه بناء الملكوت .

وهنا نميز لوناً من التعب المقدس ، له أمثلة كثيرة في الكتاب :

منه التعب في الكرازة والتعليم ، وفي الخدمة عموماً ، والتعب في الجهاد الروحي .
والقديس بولس الرسول ، لما ظنه البعض أقل من باقي الرسل في درجة الرسولية ، قال
مدافعاً عن رسوليته « وأنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا ، بل نعمة الله العاملة
معي » (١ كو ١٥ : ١٠) . وقال « أهم خدام المسيح ؟ أقول كمختل العقل ، فأنا
أفضل : في الأتعاب أكثر ، في الضربات أوفر ، في السجون أكثر . في الميتات مراراً
عديدة » (٢ كو ١١ : ١٣) . وقال عن خدمته أيضاً « في تعب وكد ، بأسفار مراراً
كثيرة » .. فكان أهم ما افتخر به هو التعب . وقال عن مكافأة التعب :

« كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبته » (١ كو ٣ : ٨) .

وقد مدح الكهنة الذين « يتعبون في الكلمة والتعليم » ، وقال عنهم « فليحسبوا
أهلاً لكرامة أفضل » (١ تي ٥ : ١٧) . وقال لأهل تسالونيكي « نسألکم أيها الأخوة
أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم ، وأن تعتبروهم كثيراً
جداً في المحبة » (١ تس ٥ : ١٢) .

وفي رسالته إلى رومه ، ذكر أسماء نسوة قديسات تعبن في الخدمة :
فقال « سلموا على مريم التي تعبت من أجلنا كثيراً ... سلموا على تريفينا وتريفوسا

التابعيتين في الرب . سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب «
(رو ١٦ : ٦ ، ١٢) .

إن كل تعب يتعبه الإنسان من أجل الرب ، هو تعب محبوب لا يمكن أن ينساه
الله . وذلك كما قال الرسول :

« لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو
اسمه » (عب ٦ : ١٠) .

حسن أن تقول إنك تحب الله . ولكن محبتك له تظهر في تعبك من أجله ... والله
يكافئك على المحبة وعلى التعب . وهكذا قال الرسول « لم اسع باطلاً ، ولا تعبت
باطلاً » (في ٢ : ١٦) . وقال لأهل كورنثوس « كونوا راسخين غير مترعزين ، مكثرين
في عمل الرب كل حين . عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

* * *

إن الإنسان الذي يتعب ، يفرح بثمار تعبته .

مثال ذلك : الزارع الذي يتعب في حرث الأرض وزرعها وريها ، وتنظيفها من
الآفات ... إلى أن يأتي وقت الحصاد ، فيفرح ، ويعرف أن تعبته لم يكن باطلاً ، بل
كافأه الرب بالبركة حسب كل تعبته ...

إن كل تعب يتعبه الإنسان بهدف روحى ، وبأسلوب روحى ، من أجل الله ، هو
تعب محسوب له عند الله ، مسجل عنده . وهكذا قال الرب لملاك كنيسة أفسس :

« أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك » (رؤ ٢ : ٢) .

* * *

إنه أمر معزى أن الله يعرف كل تعبك ، ويكتبه لك في سفر الحياة ، ولا بد
سيكافئك عنه في الأبدية السعيدة ، وربما في هذه الحياة أيضاً . كما يسندك في تعبك
ويقويك . أو يقول لك كما قال للقديس بولا الطموهى في جهاده « كفك تعباً يا
حبيبي بولا » ... وهو يقول على الدوام :

« تعالوا إلّى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ :

٢٨) .

يربحنا بأن يرفع الأثقال عنا ، أو يعزينا عزاء روحياً في أتعابنا ، أو يقدم لنا وعوده الجميلة ، أو يعطينا لذة في التعب حتى نشتاق إلى تعب أكثر ، أو يذكرنا بأن كل عملنا لأجله سيتبعنا في الأبدية السعيدة ، كما قيل في تطويب المتقلين :

« ... لكى يستريحوا من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣) .

* * *

لذلك فالإنسان الروحي ، حينما يتعب من أجل الرب ، يشعر ببركة في هذا التعب . وإن كل تعب له إكليل ، فلا يركن إلى الراحة أبداً في هذه الحياة ، متذكراً قول الوحي في سفر الأمثال : « في كل تعب منفعة » (أم ١٤ : ٢٣) .

وكما قدم لنا الكتاب المقدس أمثلة للذين تعبوا لأجل الرب ...

* * *

كذلك قدم لنا تاريخ الكنيسة أمثلة من التعب المقدس .

القديس أثناسيوس الرسولى مثلاً ، كم تعب من أجل الإيمان ، وكم اضطهادات لاقاها من الأريوسيين الهرطقة ... وكم من اتهامات باطلة ، ومقاومات كثيرة صدرت ضده ، وبجامع حكمت عليه ، وشكاوى للإمبراطور ، وأحكام بالنفى .. ! حتى قيل له « العالم ضدك يا أثناسيوس » .. !! ولكنه احتمل كل هذا التعب في صبر وفي فرح ، لأجل حماية الإيمان ، آخذاً بركة هذا التعب ...

وبالمثل وأكثر : التعب الذى احتمله الشهداء .

من تهديدات ومحاكمات وسجن ، وألوان مرعبة من التعذيب ، وما ذاقوه من آلام فوق الوصف ... ولكنه كان تعباً مباركاً من أجل الرب ، نالوا عليه أكاليل ، واستحقوا بسببه الراحة الأبدية .

* * *

الإنسان الروحي يفرح بالتعب ، ويجد راحته فيه .

أى أنه يجد راحته الداخلية في هذا التعب الخارجى ، أو يجد راحة روحه في تعب جسده ، أو يجد الراحة الأبدية في هذا التعب الزمنى المؤقت ... فهو مستعد أن يتعب هنا ليستريح هناك .

إن القديس يوحنا المعمدان لاقى المتاعب في توبيخ هيرودس على أنه أخذ امرأة أخيه ، فسجن وقطعت رأسه... ولكنه أراح ضميره ليستريح في الأبدية . وأعطانا جيعاً مثلاً قوياً للشجاعة في الدفاع عن الحق .

* * *

لا ننسى أيضاً تعب الذين كانوا أمناء في الخدمة ، وقد وضعوا أمامهم قول الرب :
« كن أميناً إلى الموت ، فسأعطيك إكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) .

« إلى الموت » ... هل يوجد تعب أكثر من هذا؟! ولكنه تعبير عن محبة الإنسان لله ... انظر داود النبي وهو يقول :

« لا أصدع على سرير فراشي ، ولا أعطى لعيني نوماً ، ولا لأجفاني نعاساً ، ولا راحة لصدغي ، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب » (مز ١٣٢ : ٣ - ٥) ... إنه لا يسمح لنفسه بالراحة الجسدية ، إلا إذا تم واجبه وحقق مسؤوليته في خدمة الرب . وحينئذ يستريح روحاً وجسداً . ينام وهو مستريح من الداخل ...

* * *

الإنسان الروحي لا يهرب من التعب . فالذي يهرب من التعب ، إنما يهرب من الله ...

إنه يهرب من واجبه ومن مسؤوليته ، ويهرب من الأكاليل المعدة ...! بينما الذي يتعب ، إنما يظهر بالتعب مقدار محبته لله ، ومقدار إهتمامه بملكوت الله على الأرض ، وإهتمامه بخدمة الله في أشخاص أولاده ...

* * *

لذلك إن أردت أن تستريح في قلبك ، اعمل على راحة غيرك .

كل الذين أراحوا غيرهم ، شعروا بسعادة داخلية بسبب ذلك ، حتى في مجال الحياة الاجتماعية . وما أكثر الأمثلة على ذلك :

فالطبيب يجد راحة في ضميره وقلبه عندما يريح المريض الذي يعالجه ، ويبعد عنه الألم . ورسام الكاريكاتير يجد راحته في أن يفرح من يروا رسومه ويقرأوا فكاهاته . وهكذا كل فنان يجد راحته عندما يدخل فنه إلى قلوب الناس ويريحهم .

الشخص الذى يبحث عن راحته الشخصية ، قد يكون أنانياً .

أما الإنسان الروحى فيفكر دائماً فى راحة الآخرين . هناك نفوس يمكن أن نسميها نفوساً مريجة ، كل من يختلط بها يستريح . وهى مصدر راحة باستمرار . ونضرب لذلك أمثلة :

* * *

* مثال ذلك الأمومة والأبوة :

الأم تتعب جداً فى تربية ابنتها . وتتعب فى تجهيز ابنتها للزواج . وتفرح بزواجها لأنها استقرت فى حياتها . وعلى الرغم من أنها حرمت من عشرتها ، إلا أنها تشعر بسعادة لسعادتها وربما تبيع مجوهراتها وحليها لتجهيز ابنتها إذا لزم الأمر . وهكذا الأب فى تربية أبنائه وفى الاهتمام بتعليمهم ومستقبلهم . ويشعر إن رسالته فى الحياة هى أن يجلب كل وسائل الراحة والسعادة لابنائه . ولكل هذا نجد أن إلهنا الصالح لقب نفسه بالأب السماوى .

والمهم أن الأب والأم يريحان أبنائهما على أساس سليم .

* * *

* مثال آخر فى إراحة الآخرين ، هو الراعى وعمله لأجل رعيته .

إنه لا يعمل من أجل راحة نفسه ، بل يبذل كل جهده من أجل خرافه ، يأتى بها إلى المراعى الخضراء وإلى ماء الراحة ، ويحميها من كل اعتداء تتعرض له ومن كل خطر . ولهذا كله أقام الله رعاة لشعبه للاهتمام بهم ، ليرعوا رعية الله التى اقتناها بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) .

بل إن الرب نفسه شبه نفسه بالراعى ، وقال «أنا هو الراعى الصالح . والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠ : ١١) . وقال الرب فى العهد القديم ، فى سفر حزقيال النبى «أنا أرعى غنمى وأربضها - يقول السيد الرب - وأطلب الضال ، واسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح» (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) ... كله عطاء لراحة غنمه ...

* * *

* كل هذا يعطينا فكرة عن الراحة في العطاء .

الإنسان الروحي يجد سعادته في أن يعطى ، ويجد راحته في سعادة الذى هو يعطيه .
إن الرضيع يجد راحته في المرصعة التى ترضعه ، سواء كانت أمه أو غيرها .
والمرصعة تجد راحتها في راحته . وإذا ابتسم ، تشعر بسعادة كبيرة ... ما أكثر ما يُعمل
من أجل الطفولة . كلها راحة في العطاء ...

* * *

وما أكثر العاملين من أجل المجتمع في كافة المجالات ...

كرجال المطافئ ، ورجال الاسعاف ، ومتقضى الفرقى . ومثل جمعيات الصليب
الأحمر والهلال الأحمر... كلها تجد راحتها في راحة الآخرين . وتشعر بسعادة في انقاذ
الغير... وهكذا كل من يعمل في العمل الاجتماعى والعمل الانسانى .

الطبيب النفسانى يشعر بسعادة حينما يشفى مريضه من القلق أو الاضطراب أو
الخوف أو الوهم أو الشك ، مهما كلفه ذلك من جهد مضمنى بسبب تعامله مع شخص
غير طبيعى ...

كذلك العلماء الذين يسهرون ويكدون ، لكى يقدموا للناس مخترعات تريحهم في
حياتهم ، أو أدوية تنقذهم من المرض والألم .

فيا ليتك أنت أيضاً تجد راحتك في خدمة غيرك وإراحته ... وفي حل مشاكل
الآخرين أو إبعاد المشاكل عنهم .

* * *

الإنسان الروحي يجد راحته في الله ، مهما أحاطت به المشاكل .

إنه يضع الله بينه وبين المشاكل . فلا يفكر في المشكلة ، إنما في الله الذى يحلها .
وفي كل مشكلة تصادفه يقول «ربنا موجود» . وإيمانه بالله وتدخله لحل المشاكل ،
يمنحه راحة داخلية وسلاماً قلبياً مبنياً على الإيمان بالله وعمله .

أتذكر أننا في أواخر سنة ١٩٦٧ اضطررنا إلى نقل اجتماعنا إلى فناء الكلية
الإكليريكية في الهواء الطلق . فقال لى البعض «وماذا نفع من جهة المطر، إذا حلّ
فصل الشتاء؟ فقلت لهم : إله الشتاء هو الذى سيدبر الأمر» .

الإنسان الروحي يستريح في حياة التسليم التي يحيها .

يترك كل أموره لله ، لكي يدبرها . كما يقول الكتاب « إلقِ على الرب همك ، وهو يعولك » (مز ٥٥ : ٢٢) . وأيضاً « ملقين كل همكم عليه ، لأنه هو يعتنى بكم » (١ بط ٥ : ٧) . ويثيق بوعد الرب القائل « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) . فلماذا لا تلجأ إلى الله في كل مشاكلك ومتاعبك ، وهو يريحك ؟

الإنسان الروحي يجد راحته في الصلاة .

أو يجدها في آية معزية تفرح قلبه ، أو يجد راحته في تذكره لوعود الله . يكفيه مثلاً قوله الإلهي « تشدد وتشجع ... لا أهملك ولا أتركك » (يش ١ : ٥ ، ٦) أو « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) أو « هوذا على كفى نقشتك » (أش ٤٩ : ١٦) . فيفرح بكل هذا ، ويجد راحة في قلبه ، معتمداً على وعود الله .

ما أجل تلك العبارة التي كتبها القديس أوغسطينوس في اعترافاته قائلاً للرب :

« ستظل قلوبنا قلقة ، إلى أن تجد راحتها فيك » .

الإنسان البعيد عن الله يعيش في تعب ، لأن الراحة الحقيقية لا يجدها إلا في الله . ولذلك حسناً قال داود النبي « أما أنا فحسن لي الالتصاق بالرب » (مز ٧٣ : ٢٨) . وقال « الاتكال على الرب خير من الاتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء » (مز ١١٧) . « دفعت لأسقط ، والرب عضدني . يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتني » (مز ١١٧) .

كما يستريح الإنسان في حياة الإيمان ، يستريح في حياة الرجاء ...

الذي يفقد الرجاء ، يقع في اليأس ، ويقترب من الهلاك أو الضياع . أما الإنسان الروحي ، فيرى بالرجاء أن كل مشكلة لها حل ، وكل باب مغلق له مفتاح أو عدة

مفاتيح ، وكل سقطه لها قيام بعدها ...

المشاكل لها شكل هرمى . ترتفع حتى تصل إلى قمته ، ثم تنحدر نازلة على الجانب الآخر. هكذا كانت مشاكل يوسف الصديق ، ارتفعت حتى أوصلته إلى السجن ، ثم نزلت ووصل إلى المملكة . وبالمثل كانت تجربة أيوب : ارتفعت حتى فقد كل شيء ، ثم انتهت فنال البركة بالضعف (أى ٤٢ : ١٠) .

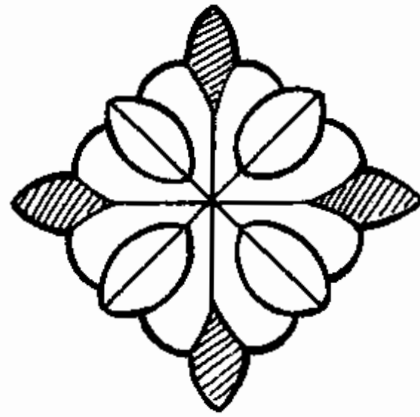
راحة الإنسان الروحى فى حياة التسليم والسلام ، وحياة الإيمان والرجاء .

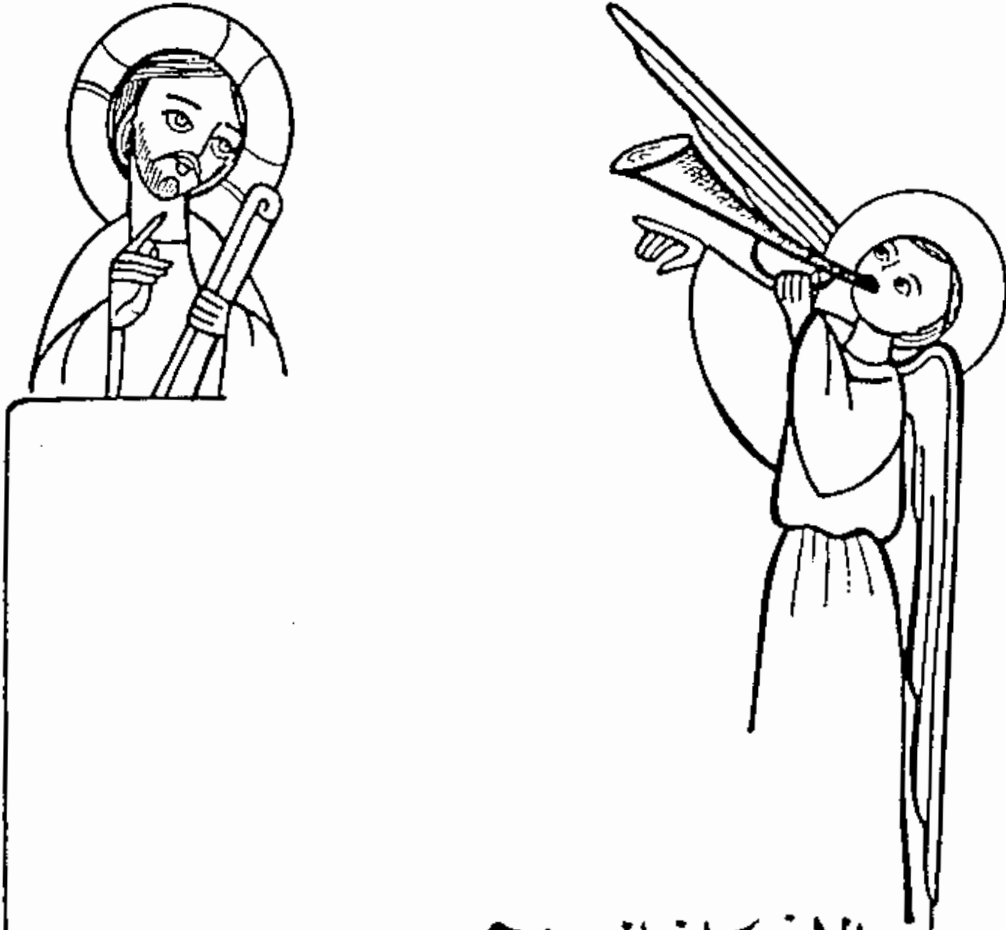
وثق أنك إذا استرحت فى الداخلى ، ستستريح من الخارج أيضاً .

وباستمرار لتكن وسائلك إلى الراحة وسائل روحية . لأن هناك إنساناً قد يقع فى مشكلة ، فيجد راحته فى كذبة تغطيها ، أو فى حيلة كلها خداع كما فعل داود لما سقط ... ! أو إنسان يتعب ، فيلجأ إلى حبوب مُسكِّنة ، لا تحل مشكلته أو تتيهه عنها ...

والراحة ليس معناها التوقف المطلق عن العمل ، إنما البعد عن الإرهاق .

فإذا تعبت من التفكير فى موضوع ما ، لا تستطيع أن توقف عقلك عن الفكر تماماً ، إنما تغير مجرى تفكيرك ، وتستبدل فكراً بفكر ، فتستريح .





الإنسان الروحي :

يحيى بالروح لا بالحرف

إنه يضع أمامه على الدوام قول الرسول :

« لا الحرف ، بل الروح . لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى » (٢كو ٣ : ٦) . وهذا المبدأ يشمل حياته كلها . فهو في كل وصايا الله .

يهتم بروح الوصية ، وليس بحرفيتها ...

إنه ليس فريسياً ولا ناموسياً ، ولكنه شخص روحى . فالفريسيون كانوا يتمسكون بحرفية الوصية ، كما فعلوا مع الرب فى وصية السبت مثلاً . حتى أنه حينما منح البصر للمولود أعمى ، وكان ذلك يوم سبت ، قالوا « هذا الإنسان ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت » (يوحنا ٩ : ١٦) . وقالوا للمولود أعمى « إعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء » (يوحنا ٩ : ٢٤) . ولما شفى السيد مريض بيت حسدا بعد مرضه ٣٨ عاماً ، يقول الكتاب إن اليهود « كانوا يطلبون أن يقتلوه ، لأنه فعل ذلك فى يوم سبت » (يوحنا ٩ : ١٦) .

إنه الحرف الذى يقتل ، لأنه يدل على عدم فهم لروحانية الوصية .

وسنحاول أن نتأمل بعض نقاط فى الحياة الروحية ، لنرى كيف يسلك الإنسان الروحى بالروح وليس بالحرف .

الصوم

كثيرون يصومون ، ويظنون أن الصوم هو فقط الطعام النباتى . ويحاولون أن يجهزوا لأنفسهم أطعمة نباتية شهية جداً فى أكلها ، ومغذية جداً فيما يضيفونه عليها من ألوان الطعام النادرة والغالية الثمن ... ! ويتساءلون عن السمن النباتى ، والجبنة النباتى ، واللبن النباتى ، والشيكولاته النباتى . وينسون قول دانيال النبى عن صومه :

« كنت نائماً ثلاثة أسابيع أيام ، لم آكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فمى لحم ولا خمر. ولم أذهن » (١٠١د : ٢ ، ٣) ...

وأحب أن أركز هنا على عبارة «لم آكل طعاماً شهياً» ... لأنه حيث يأكل الإنسان أطعمة شهية أثناء صومه ، كيف يمكنه أن يسيطر على رغبات الجسد ، وهو يعطيه ما يشتهي من الطعام؟!

الإنسان الروحي يدرك أن الصوم في حقيقته هو إذلال للجسد ، وانتصار على شهوة الطعام ، وارتفاع فوق مستوى المادة . فلا يعتبر أن الصوم هو مجرد الطعام النباتي ... إنما هو في صومه يهتم بعنصر المنع ، أى منع جسده عما يشتهي ، مهما كان ذلك طعاماً نباتياً صرفاً .

ولهذا كثيرون يصومون ولا يستفيدون ، لأنهم يسلكون في صومهم بطريقة حرفية شكلية .

ولم يدخلوا في روحانية الصوم ، ولا في روحانية الوصية الخاصة بالصوم والتقصد الإلهي منها !

وهكذا صاموا بالجسد ، وكانت أرواحهم مفطرة .

المطانيات

المطانيات هي السجود . فما هو المقصود بهذا السجود ؟

الإنسان الروحي لا يرى السجود مجرد انحناء الجسد . وإنما أيضاً انحناء الروح مع الجسد .

لذلك يقول مع المرتل في المزمور «أما أنا فبكثرة رحمتك ادخل إلى بيتك ، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك» ...

وعبارة «مخافتك» تدل على خشوع الروح أثناء السجود . وعبارة «بكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك» تعنى الشعور بعدم الاستحقاق . وهكذا يصبح الشماس أثناء القداس .

« اسجدوا لله بخوف ورعدة ... » .

هنا المشاعر الروحية تصحب حركة الجسد .

* * *

أحياناً تعتذر للإنسان وتضرب له مطانية ، فلا يقبلها منك إذ يشعر أنها عمل جسداني لا روح فيه .

وقد تقول بعد ذلك : ماذا أفعل له أكثر من هذا؟ لقد ضربت له مطانية ، وانحنيت برأسى إلى الأرض !!

يا أخى المهم أن تنحنى روحك ... لا تتمسك بحرفية المطانية دون روحها .

أما الإنسان الروحي ففي سجوده يقول مع داود النبي :

« لصقت بالتراب نفسي » (مز ١١٩ : ٢٥) .

وليس مجرد رأسى التى لصقت فى سجودها بالتراب .

النفس التى تلتصق بالتراب هى مقبولة أمام الله والناس .

* * *

قرأت لأحد الرهبان مقالاً فى عيد الغطاس ، شرح فيه كيف أن السيد المسيح انحنى أمام المعمدان ، لكى يكمل كل بر ، مع أن يوحنا المعمدان أقل من السيد المسيح بما لا يقاس ، وليس أهلاً أن ينحنى ويحل سيور حذائه ... ثم ختم مقاله بعبارة : « اعطنا يارب أن ننحنى أمام من هم أقل منا ... لكى نكمل كل بر » ... !!

إن كنت ترى أنهم أقل منك ، فما معنى الانحناء إذن؟! أهو حرفيات بغير روح؟ إننا نريد إنحناء الروح .

الصلاة

الصلاة حرفياً هى الحديث مع الله .

وهى روحياً : اتصال روح الإنسان بروح الله .

وقد يصلى إنسان ، أو يظن أنه يصلى ، بينما لا توجد هذه الصلة بينه وبين
الله !!

لذلك وبخ الله اليهود بقوله « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد
عنى بعيداً » (أش ٣٩ : ١٣) (متى ١٥ : ٨) .

إنها صلاة غير مقبولة ، لأن الله يريد القلب .

أتظن أنك تصلى ، لأنك تحرك شفيتك أمام الله ؟!

وقد يكون ذلك بلا فهم ، وبلا روح ، وبلا مشاعر : بلا حب ، بلا خشوع ، بلا
اتضاع ... !!

أتريد أن ترضى ضميرك من جهة الصلاة ؟! حتى لو كانت هكذا !! أم تصلى
بروحك ، وتصلى بذهنك ، تقصد كل كلمة تقولها في صلاتك ...

صدق ماراسحق عندما قال عن مثل هذه الصلاة :

قل لنفسك : أنا وقفت أمام الله لكى أعدّ ألفاظاً .

ذلك لأن كثيرين يهمهم أن يطيلوا الصلاة بغير فهم ، أو أنهم يتلون عدداً كبيراً
من المزامير، بسرعة لا تأمل فيها ، ولا يتابعون معنى الألفاظ أثناء صلاتهم !!

والمزامير كلها روحانية ، لكنهم يقتصرون على الحرف .

وبالمثل يرددون كلمات التسبحة فى الابصلمودية بسرعة عجيبة ، لا يتابعون فيها
المعنى ... وكذلك بالنسبة إلى كثير من الألحان ... المهم أمامهم هو الحرف وليس
الروح . والشعور بأن الإنسان أدى (قانونه) فى الصلاة ، واستراح ضميره بذلك ، بينما
لم تصعد هذه الصلاة إلى الله ، لأنه لم تكن هناك صلة ، ولم تشترك الروح فيها ولا
القلب ...

أما الإنسان الروحى فيقول مع الرسول «أصلى بالروح ، وأصلى بالذهن
أيضاً» (١ كور ١٤ : ١٥) .

« أرتل بالروح ، وارتل بالذهن أيضاً » ...

القُبلة المقدّسة

نسمع في القداس عبارة «قلّوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدّسة». والقبلة هي تعبير عميق عن الحب . وعبارة «مقدّسة» تعنى أنها تكون طاهرة وبغير رياء ...

ويسلم كل منا على من يجاوره ، رمزاً إلى سلامه مع الناس جميعاً ... فهل تقتصر على هذا الشكل أو هذا الحرف؟! بينما لا يكون سلام في قلوبنا مع الناس!!

يهودا الاسخريوطى قبل السيد المسيح .

بالحرف لا بالروح ، والحرف يقتل ... مظهر خارجي يدل على المحبة ، تحتفى وراءه خيانة ... لذلك تحرم الكنيسة التقبيل من أربعاء البصخة ، احتجاجاً على قبلة يهوذا الخائنة .

وأنت كلما تقابل أناساً تبدأ بالسلام .

أهى حرفية كلمة سلام ؟ أم هو سلام حقيقى بالمعنى الروحى ؟ ... ما أكثر ما تقول من كلام ، ومن تحيات ، ومن مجاملات ، بمجرد الحرف ، وبلا روح .

ماذا يفعل الإنسان الروحى إذن ؟ أيمتنع عن المجاملات ؟ كلا ، بل تكون بالروح والحق ...

تدل على الحب والتعاطف وحسن التعامل مع الناس وتوقيرهم ... يفعل هذا من كل القلب ، وتظهر مشاعره واضحة في ملامح وجهه ، وفي نظرات عينيه وفي حرارة ألفاظه . إنها بالروح لا بالحرف .

العطاء

الإنسان الروحى يعطى أولاً من قلبه ، بكامل حبه ، قبل أن يعطى من ماله ومن جيبه . عطاؤه هو مجرد تعبير عن مشاركته القلبية في احتياجات الناس ، وفي احتياجات الكنيسة .

ولكن بعض الناس قد يقدمون العطاء بغير مشاعر، لمجرد التنفيذ الحرفي للوصية ..!

وينسون قول الكتاب « المعطى المسرور يحبه الرب » (٢ كو ٩ : ٧) ... العطاء يبدأ من القلب ، وليس بمجرد اليد . والمعطى روحياً هو الذى يفرح حينما يعطى ، لأنه يشعر أنه اشترك فى اسعاد الناس ، أو أخذ بركة المساهمة فى احتياجات الكنيسة .

غير أن البعض يحاسبون الله حساباً عسيراً !!

يقتصرون على العشور ، إن دفعوها !! و يدققون فى حساباتهم جداً ، حتى لا يزيد العطاء عن العشور... وقد يدخلون فيها بعض واجباتهم الاجتماعية اللازمة نحو الأقرباء والمعارف ، وما اضطروا لدفعه من مناسبات معينة لبعض المشروعات ولشئون الخدمة .

ويظهر أن القلب غير مشترك فى العطاء ...

وأن محبة المحتاجين غير مرتبطة بالعطاء . بل قد يصحبه تحقيق شديد معهم ، وربما انتهاز للفقراء ، وربما شيء من التعالى والكبرياء ، وربما تأخير هذا العطاء فترة قد تطول .

ونظن أننا نعطى . وننسى عبارة « من يدك أعطيناك » (١ أى ٢٩ : ١٤) . وكأن العطاء مجرد ضريبة تدفعها .

الخدمة

أحياناً نأخذ من الخدمة حرفيتها أو شكليتها . ونظن أننا نساهم فى عمل الكنيسة ، دون أن ندخل إلى روح الخدمة . بل حتى من جهة الحرف ننسى المعنى الحرفى لكلمة خادم .

ونسى الاتضاع اللازم للخدمة .

وتصبح الخدمة مجالاً لإظهار الذات ، ويختلط بها حب السيطرة والنفوذ ، والتنافس بين الخدام ، الأمر الذى لا يتفق مطلقاً مع كلمة (خادم) . وكأننا فى الخدمة

نركز حول ذاتنا، وليس حول ملكوت المسيح الذى قال عنه يوحنا :

« ينبغي أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص » (يو ٣ : ٣٠) .

وتصبح الخدمة مجرد معلومات يلقيها خادِم مدارس الأحد ، أو مجرد أعمال إدارية ومالية يقوم بها مجلس الكنيسة ولجانته . أو مجرد أنشطة تقوم بها الهيئات العاملة فى الكنيسة ... وفى كل هذا ننسى روح الخدمة .

أما الإنسان الروحى فيخدم عن حب لله وملكوته . وحب للناس الذين يريد أن يوصلهم إلى الله وملكوت .

إنه يخدم بروح الخادِم ، و بروح الخدمة ، لكى يصلح المخدمين مع الله ، أو يعمق محبتهم له . ولذلك فخدمته تكون خدمة روحية ، وليست مجرد نشاط أو تعليم أو رسميات ، أو مراكز !

يَوْمَ الرَّبِّ

تقديس يوم الرب هو وصية قديمة ، نفذها اليهود حرفياً ، طاعة لقول الرب « أما اليوم السابع ففيه سبت للرب . لا تعمل فيه عملاً ما » (خر ٢٠ : ١٠) .
بالحرف هو أنك لا تعمل عملاً ما .

أما بالروح فهو سبت للرب ، أى راحة للرب . يستريح فيه الرب معك ، وتستريح أولاده أيضاً .

وهذا ما يفعله الإنسان الروحى ، حيث يجد راحته فى إراحة الناس ، وفى راحة قلبه مع الله وفى عمل الخير الذى يستريح به ضميره من نحو نفسه ومن نحو غيره . وبهذا يصبح اليوم سبباً أى راحة ، حسب مفهوم الكلمة لغوياً وروحياً ...

وهذه النقطة كانت موضع جدل بين السيد المسيح واليهود :

هل يحل فعل الخير فى السبت ؟ (مت ١٢ : ١٠ ، ١٢) .

وكانت اجابة الرب أنه يحل فعل الخير في السبت ، لأن فعل الخير يريح الناس .
وهذا هو روح الوصية ...

إذن لا تقتصر على الحرف ، الذى هو عدم عمل أى عمل من الأعمال ، حتى لو
كان خيراً...!

لأنك بهذا تريح روحك ، ولا تريح الناس .

الطقوس

الإنسان العادى ، السطحى غير العميق ، ربما لا يدرى الروحيات الكامنة فى كل
طقس من طقوس الكنيسة...

أما الإنسان الروحى ، فيدخل إلى أعماق هذه الطقوس ورموزها ، ويشترك
بروحه فيها ...

ويتابع بالروح تحركات الشماسة والآباء الكهنة .

فمثلاً حينما يحمل الكاهن الإنجيل فوق رأسه ، ويدور به حول المذبح ، يدرك
الإنسان الروحى أن هذه الدورة تشير إلى انتشار الإنجيل فى المسكونة كلها ... ويصلى
بقلبه من أجل هذا ...

وحينما يمسك الشماس شمعة أمام الإنجيل ، يتذكر الإنسان الروحى قول المرتل فى
المزمور: «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى» (مز ١١٩) . ويصلى إلى الله أن ينير
بصيرته بما يسمعه من كلامه المقدس .

وحينما يرفع رئيس الكهنة تاجه خشوعاً واحتراماً أثناء قراءة الإنجيل ، ينتقل
نفس الخشوع إلى قلب الإنسان الروحى وهو يسمع ...

وبصفة عامة تشترك روحه فى كل صلوات القداس وفى كل صلوات
الليتورجيات . ولا يقتصر فقط على الاشتراك بحواسه ، وإنما بقلبه أيضاً وروحه ، لأن
الروح هو الذى يحى ...

ونفس الوضع بالنسبة إلى الأعياد ...

الإنسان الروحي لا ينظر إلى العيد كمجرد يوم فرح ، انتهى الصوم فيه ، كما يفعل الكثيرون . إنما يدخل إلى روحانية المناسبة التي من أجلها نحتفل بالعيد ، ويتأملها ويعيش فيها . ففي عيد الميلاد ، يفرح لأنه البدء العملي لقصة الخلاص ، ويفرح بما فيها من اتضاع وحب ويفرح في عيد القيامة بما يحمل من الانتصار على الموت ، وفتح باب الفردوس ، ولأنه باكورة القيامة لنا جميعاً .

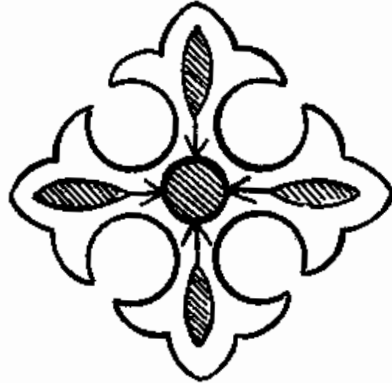
العقيدة

هى بالنسبة إلى الإنسان العادى ، ربما تكون مجرد لاهوتيات وأمور عقلية ربما تصبح معه موضع جدل مع الطوائف الأخرى . أما بالنسبة إلى الإنسان الروحي ، فهى إيمان يسرى في دمه ، وله تأثيره على روحياته .

فالمعمودية مثلاً ، إذ يؤمن أنها موت مع المسيح وقيامه (روم ٦ : ٤ : ٨) وفيها صلب للإنسان العتيق (روم ٦ : ٦ ، ٤) ، يحرص أن يحتفظ بصلب هذا الإنسان العتيق . واذ يعرف أن المعمودية ميلاد جديد (يوح ٣ : ٥) (تي ٣ : ٥) ، يتذكر قول الرسول إن المولود من الله لا يفعل خطية ... ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله (يوح ٣ : ٩) . فبيكت نفسه كلما أخطأ ، ويحاول أن يجيأ في فاعلية المعمودية ...

وهكذا مع باقى أسرار الكنيسة .

يدرك النعمة التي في كل سر ، ويجيأ فيها ...





الإنسان الروحي :

بَيْنَ الرُّوحِ
وَالنَّفْسِ وَالجَسَدِ

الإنسان الروحي يرتفع فوق مستوى الجسد والجسدانيات ، ولا يسلك حسب الجسد .

وفي ذلك قال القديس بولس الرسول « لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح ، (رو ٨ : ١) . وقال أيضاً « إن عثتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تقيمون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) . وشرح هذا الأمر بقوله « الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فيما للروح . لأن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله » (رو ٨ : ٥-٧) . وهنأياوجهنأ سؤال هام :

* * *

هل الجسد خطية ؟ والجواب : كلا . فلماذا ؟

* إن الجسد ليس شراً في ذاته ، وإلا ما كان الله قد خلقه . لأن الله لا يخلق الشر . بل إن الله بعدما خلق الإنسان بهذا الجسد ، « رأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً » (تك ١ : ٣١) .

* ولو كان الجسد شراً ، ما كان السيد المسيح له المجد قد لبس جسداً (يو ١ : ١٤) .

* وأيضاً لأن الجسد يمكنه أن يشترك في العبادة ويخدم الله . يركع ويسجد ، ويرفع نظره إلى فوق ، ويرفع يديه في الصلاة ، ويصوم ، ويتعب في الخدمة .

* وهكذا فعل كثير من القديسين . اشتركت أجسادهم مع أرواحهم في العمل الروحي ، وعاشوا وهم في الجسد حياة بارة . وكانت أجسادهم مقدسة .

* والجسد ليس شراً ، وإلا ما كان الله يقيمه ، ويمنحه نوعاً من التجلي ، فيصير جسداً روحانياً نورانياً سماوياً (١ كو ١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . يقام في مجد ...

* ولو كان الجسد شراً ، ما كنا نكرم اجساد ورفات القديسين . وما كانت تحدث معجزات من أجسادهم ، كما حدث مع عظام اليشع النبي (٢مل ١٣ : ٢١) .
إننا نكرم أجساد القديسين ، ونضع عظامهم في أديرتنا وكنائسنا ، ونحتفى بها ، ونفرح باقتنائها ، ونبخر لها ، وندهنها بالاطياب . وننال منها بركة .

* ولو كان الجسد شراً ، ما كان الرسول يقول : « مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله » (١كو ٦ : ٢٠) . إذن يمكن أن يكون الجسد أداة لتمجيد الله .

* الجسد أيضاً ليس شراً ، لأن الكتاب يقول « أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح ؟ ... أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم » (١كو ٦ : ١٥ ، ١٩) « هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو » (١كو ٣ : ١٦ ، ١٧) .

الجسد إذن ليس خطية ولا شراً . ولكن الخطية هي فى السلوك حسب الجسد ، فى شهواته ورغباته الأرضية . الخطية هي فى تغليب الجسد على الروح .

مادام الجسد إذن ليس شراً ، فلماذا الحديث عن الصراع بين الجسد والروح ؟ ولماذا إذن قول الرسول « اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد » (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) .

هنا لا يتحدث الرسول عن الجسد كما خلقه الله .

فآدم وحواء - قبل الخطية - كان لكل منهما جسد . وكانا يعيشان فى براءة كاملة « وكان كلاهما عريانين ، وهما لا ينجلان » (تك ٢ : ٢٥) . والأطفال الصغار والرضعان ، لهم أجساد وليست فيها شهوة للخطية ... إنما يتحدث الرسول عن الجسد الخاطيء .

الجسد إذن فى ذاته ليس شراً ، ولكن ...

الجسد من تركيب مادي . وقد يميل إلى المادة ويتفعل بها ، وينفصل عن سيطرة الروح ، ويقاومها .

وهنا يبدأ الصراع . وتبدأ الشهوة الخاطئة ...

على أن احتياج الجسد المادة ، بطريقة طبيعية غير شهوانية ، ليس في ذلك خطأ . فالجسد مثلاً يحتاج إلى أطعمة مادية وإلى ألوان من التغذية ، وليس في ذلك خطأ . بل الرسول يقول إن الإنسان « يقيت جسده ويربّه » (أف ٥ : ٢٩) . وقد طوب الرب المهتمين بالجوع والعطاش والعرايا ...

واعتبر اهتمامهم بهؤلاء ، كأنه موجه إليه شخصياً . فقال للذين عن يمينه في اليوم الأخير « تعالوا إلى يا مباركي أبي ... لأنني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ... عرياناً فكسوتوني » (مت ٢٥ : ٣٥ - ٣٦) ... وكلها أعمال موجهة إلى صالح الجسد ... هذا هو نصف الحقيقية . فما هو النصف الآخر ؟

الإنسان الروحي يردد قول الكتاب : أقمع جسدي وأستعبده (١ كو ٩ : ٢٧)
أى أقمع شهوته .

أن يعطى الجسد احتياجه الطبيعي من المادة ، وليس أكثر . فإن وصل الجسد إلى اشتهاؤ المادة والتعلق بها ، مما يخرج عن النطاق الروحي حينئذ فالإنسان الروحي يقمع الجسد ويستعبده ، أى يجعله عبداً للروح ، لا يتمرد عليها ، ولا يستقل عنها في تدبير ذاته .

ويصل الإنسان الروحي إلى ذلك عن طريق النسك والصوم وصلب الجسد .

وعن هذا الأمر يقول الرسول « ولكن الذين هم للمسيح يسوع ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) ... هؤلاء يقاومون « شهوة الجسد ، وشهوة العين » (١ يو ١٥ ، ١٦) هذه التي قال عنها الرسول إنها من محبة العالم ...

نحن لا نقتل الجسد ، فقتل الجسد خطيئة ، ولذلك لا نصلي على المنتحر ، إلا لو كان في حالة جنون لا يحاسب فيها عن أفعاله ... ولكننا نعمل على قتل شهوات الجسد الخاطئة . أى أننا نخضع شهوات الجسد ، لرغبة الروح في الالتصاق بالله .

وغرض النسك عند الإنسان الروحي ، هو منح فرصة للروح ، لتعمل عملها منطلقة من ثقل الجسد .

الإنسان الروحي يهتم بجسده، ولكن بأسلوب روحى. ويمتنع عن الاهتمام الذى يغذى شهوات الجسد، الذى حذر منه الرسول (رو ٨ : ٦، ٧).

وحيثما يقود الجسد فى حياة النسك، لا يكتفى بهذا الوضع السلبي، إنما من الناحية الإيجابية يجعل نسك الجسد فرصة لغذاء الروح. ويشرك الروح مع الجسد فى هذا النسك. فلا يكون مجرد زهد من الجسد، إنما أيضاً معه زهد النفس.

والإنسان الروحي يقيم توازناً فى اهتمامه بكل من الجسد والروح

ففيما يعطى الجسد غذاءه يعطى الروح أيضاً غذاءها، فكما يعطى الجسد طعاماً كل يوم، بوجبات متعددة، وعناصر غذائية متنوعة، كذلك يعطى الروح غذاءها من القراءة الروحية والتأمل والصلاة والألحان والترانيم، والتناول أيضاً.

وكما يعالج الجسد إذا مرض، يعالج الروح أيضاً من أمراضها، بل يلجأ إلى الوقاية بالأكثر. وكما يمنح الجسد نصيبه من الرياضة، كذلك يستخدم الرياضة الروحية. وكما يهتم الإنسان العادى بزينة جسده وهندامه وحسن ملابسه، كذلك يهتم الإنسان الروحي بزينة الروح الوديع الهادىء. ويجعل روحه تتزين بالفضائل وثمار الروح (غل ٥ : ٢٢، ٢٣).

الإنسان الروحي يجعل اهتمامه الأول بروحه وبأرواح الغير أيضاً.

ويتحاشى كل شيء يعطل طريق الروح، سواء من الخطأ بالنسبة إلى نفسه، أو العثرة بالنسبة إلى غيره... يهتم بسلامة روحه، وبالنمو فى الروح. ذلك لأن روحه هى نفخة الله فيه (تك ٢ : ٧)، بينما جسده من التراب... بالروح يصير مثل ملائكة الله فى السماء، وتصير له صلة مع الله ومحبة، وصلة مع العالم الروحاني من الملائكة والقديسين.

وباهتمامه بروحه يعود إلى الصورة الإلهية التى خلقه بها الله منذ البدء (تك ١ : ٢٧).

على شبه الله ومثاله (تك ١ : ٢٦) ما أروع هذا !

وباهتمامه بروحه ، انما يهتم أيضاً بأبديته ، تلك الأبدية التي لا يقاس بها أبداً
هذا العمر المادى على الأرض ... وباهتمامه بروحه أيضاً ، انما يدخل فى شركة الروح
القدس ويعمل مع الله ...

وهنا نسأل سؤالاً أساسياً : ما هى الحياة الروحية ؟ ونلخص هذه الحياة فى أمرين
اثنين :

١ - أن يخضع الجسد للروح .

٢ - أن تخضع روح الإنسان لروح الله .

فى هذين الأمرين الأساسيين تتلخص كل حياة الإنسان الروحية .

يخضع الجسد للروح ، فلا يقاومها ، ولا يشتهى ضد ما تشتهى الروح ، ولا يدخلها
فى صراع معه ، كما يحدث مع المبتدئين وغير الكاملين . هذا كله من الناحية السلبية .
أما من الناحية الإيجابية ، فيشترك الجسد مع الروح فى عملها الروحية . وبهذا يكافأ
الجسد مع الروح فى الحياة الأبدية ، لأنه اشترك مع الروح فى عمل البر . وسلك فى
حياة الروح ، فيستحق لذلك أن يصير جسداً روحانياً (١ كور ١٥) .

كذلك نقول إن روح الإنسان تخضع لروح الله ، لأن الروح البشرية وحدها
لها أخطاؤها .

فليست كل أخطاء الإنسان سببها الجسد ، بل هناك أخطاء للروح . والكتاب
يقول « قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح » (أم ١٦ : ١٨) . ونحن
نصلى فى الساعة الثالثة ونقول « طهرنا من دنس الجسد والروح ... » ونقول فى القداس
الإلهى طهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا .

والشيطان ، وهو روح ليس له جسد مادى ، له سقطاته وخطاياها المستمرة . فقد
وقع فى الكبرياء (اش ١٤ : ١٤) . وقد صار المقاوم والمتمرد ، وسماه الرب
« الكذاب وأبو الكذاب » (يوح ٨ : ٤٤) . ونقول فى القداس الإلهى « والموت الذى
دخل إلى العالم بحسد ابليس » . إذن وقع وهو روح فى خطية الجسد وطبعاً وقع فى

اعثار الآخرين وتضليلهم ... كل ذلك وهو روح . لذلك هو وشياطينه يسميهم الكتاب الأرواح الشريرة ، والأرواح النجسة .

الروح إذن يمكن أن تخطيء ، إذا انفصلت عن الله . تحتاج الروح إذن إلى شركة الروح القدس .

لذلك منحنا الله المسحة المقدسة (يو ١ : ٢٠ ، ٢٧) ، التي بها يسكن روح الله فينا ، ويكون معنا إلى الأبد ، ويرشدنا إلى كل الحق (يو ١٦ : ٣) . وعلّمنا كل شيء (يو ١٤ : ٢٦) وبيّكنا على الخطية (يو ١٦ : ٨) وباختصار فإن حياتنا الروحية كلها تتوقف على عمل الروح القدس فينا ، واستجابتنا لعمله ، واشتراكنا معه في العمل ...

الإنسان الروحي لا يعمل وحده ، إنما روح الله يعمل فيه ، ويعمل معه ، ويعمل به .

إنه أداة في يد الله ، وأداة طيبة . هو غصن في الكرمة (يو ١٥ : ١) تسرى فيه عصارة الكرمة ، ويأخذ منها حياة . والله يعمل فيه ، وبدون الله لا يستطيع أن يعمل شيئاً (يو ١٥ : ٥) .

سلوكه بالروح ، لا يعنى بروحه البشرية وحدها ، وإنما باشتراك روحه مع روح الله في العمل . وعلى هذا الأساس وحده ، يسمى انساناً روحياً .

روح الله هو الذى يوجهه ويرشده ، وهو الذى يمنحه الحرارة الروحية ، وهو الذى يمنحه المواهب والامكانيات التى يعمل بها ، ويهبه أيضاً القوة والقدرة .

والإنسان الروحي له الروح المطيعة ، لا يجزن روح الله ، ولا يقاومه ، ولا يطفىء الروح .

إنه لا يدعى لنفسه أنه عمل عملاً من ذاته . إنما يسجد أمام الله قائلاً : لتكن يارب مشيئتك . أنا من ذاتى لم أعمل شيئاً «فكل شيء بك كان . وبغيرك لم يكن شيء مما كان» (يو ١ : ٣) .

المستوى الروحي والمقارنة بالمستوى النفساني والمستوى الجسداني

الروحانية هي أولاً السلوك بالروح .

وقد ورد الكثير عن هذا الأمر في رسالة بولس الرسول إلى رومية إذ قال « لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) . وقال أيضاً « فإن الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فيما للروح (يهتمون) . لأن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله ... فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله .

* * *

إذن الروحانية هنا هي ارتفاع عن مستوى السلوك بالجسد .

هنا وأحب أن أقول لكم إن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر: الروح والنفس والجسد . وقد وضع القديس بولس هذا الأمر ، حينما قال في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي « إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام . ولتحفظ روحكم ونفوسكم وجسدكم كاملة بلا لوم ... » (١ تس ٥ : ٢٣) .

إذن الإنسان يتكون من روح ونفس وجسد . وهنا نقول إن الإنسان الروحاني لا يسلك حسب الجسد ولا حسب النفس . السلوك حسب الجسد واضح جداً للجميع ... كالإنسان الذي يسلك في شهوات الجسد كشهوة الزنى ، أو شهوة الطعام ، أو شهوة الملابس ... إلخ . ولكن ماذا إذن عن السلوك النفساني ؟ نقول أولاً :

* * *

لقد حارب الآباء الرسل السلوك النفساني وأدانوه .

فالقديس يهوذا الرسول يقول في رسالته «إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون سالكون بحسب شهوات فجورهم . هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم» (يه ١٨ : ١٩) . لاحظوا إذن قوله :

نفسانيون ، لا روح لهم .

هؤلاء «سالكون بحسب شهوات فجورهم» . ولعله يفهم من هذا أن شهوات الجسد تقودها عوامل نفسانية خاطئة ، بعيدة عن اتجاه الروح ...

والقديس يعقوب الرسول يفرق بين الحكمة الإلهية ، وحكمة أخرى يقول عنها إنها «ليست نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية» وإنها تسبب الغيرة المرة والتحزب والتشويش وكل أمر رديء (يع ٣ : ١٤ - ١٦) .. لاحظوا أن وصف نفسانية ارتبط أيضاً بعبارة «أرضية شيطانية» .. ما أصعب هذا الوصف ...

ربما هذا التفصيل غير مستخدم كثيراً . فالناس غالباً ما يتحدثون فقط عن السلوك الروحاني ، والسلوك الجسدي . ونادراً ما يتحدثون عن السلوك النفساني الممقوت ...

* * *

الإنسان النفساني تقوده النفس وغرائز النفس وعقلية النفس ومشاعرها بدون

روح .

وهذا أمر فيه أخطاء وخطايا كما سنرى .
والإنسان الجسداني تقوده شهوات الجسد ورغباته .
فماذا إذن عن الإنسان الروحاني ؟

* * *

الإنسان الروحاني يتصف بصفتين وهما :

١ - ينتصر على الجسد وعلى النفس ، ويسلك حسب الروح .

٢ - الصفة الثانية أن روحه تخضع لروح الله ...

يوجد إنسان في داخله صراع بين شهوات الجسد وشهوات الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . أما الروحاني فقد خضع فيه الجسد تماماً للروح . ولكن هذا وحده لا يكفي ،

لأن أخطاء الإنسان ليس سببها فقط شهوات الجسد . فهو قد يخطيء بروحه وحدها ...
ولا تتعجبوا من هذا فالشيطان روح ، ومع ذلك فقد أخطأ . فهو روح متمردة وروح
شريرة .

والكتاب يتحدث كثيراً عن الأرواح الشريرة .

والسيد المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً على اخراج الأرواح الشريرة ، أى أرواح
الشياطين . إذن ممكن أن الأرواح لا تخطيء . وممكن أن الإنسان يخطيء بروحه ...
أما الإنسان الروحي ، فإنه لا يخطيء بروحه ، لأن روحه خاضعة تماماً لروح الله ...

* * *

إذن الإنسان الروحي : نفسه وجسده يخضعان لروحه ، وروحه تخضع لروح
الله .

ولذلك نقرأ في الرسالة إلى رومية عبارة جميلة جداً وهي «لأن كل الذين ينقادون
بروح الله ، فأؤلئك هم أولاد الله» (رو ٨ : ١٤) . هؤلاء هم الروحانيون ، الخاضعون
لروح الله . الذين يقودهم روح الله ، وهم طائعون لقيادة روح الله . ولكي تنقاد بروح
الله ينبغي أن يكون روح الله ساكناً فيك .

من أجل هذا ، جعل الله روحه يسكن فينا .

فقال الكتاب «أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم»
(١ كو ٣ : ١٦) . وروح الله الذي يعطى روحك معرفة ، ويعطيها إرشاداً . يقودها
في الطريق .. يوبخها على خطية ، ويحثها على الخير ، ويذكرها بكل ما قاله الرب
ويعلمها كل شيء (يو ١٤ : ٢٦) .

لذلك الكنيسة تمنحك المسحة المقدسة ، مسحة الروح .

وعن هذه المسحة تحدث القديس يوحنا الحبيب مرتين في رسالته الأولى ، فقال
«وأما أنتم فلکم مسحة من القدس وتعلمون كل شيء» «وأما أنتم فالمسحة التي
أخذتموها منه ، ثابتة فيكم» (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) . ونحن ننال هذه المسحة في سر
الميراث المقدس . وكانوا ينالونها في بداية العصر الرسولي بوضع اليد .

* * *

إذن تعتمد على قيادة روح الله لك، وليس على الحكمة البشرية وحدها...
الحكمة البشرية وحدها هي جهالة عند الله (١ كو ٣ : ١٩). وقد شرح
القديس بولس الرسول هذا الأمر بعمق شديد وتفصيل، في رسالته الأولى إلى
أهل كورنثوس، في الاصحاح الثاني...

أمثلة للمستويات الثلاثة

الشهوة

هناك شهوات للجسد والنفس والروح .
شهوة الجسد هي الخطيئة كشهوة الحواس ، وشهوة الزنى ، وشهوة البطن .
وشهوة النفس أحياناً تكون نوعاً من حب الذات وحب النفس . ولنضرب
مثالاً في كل ذلك بسليمان الحكيم :
لقد سلك في هذه الشهوات فقال « مهما إشتهته عيناي ، لم أمنعه عنهما »
(جا ٢ : ١) . وشرح تفاصيل ذلك فقال « بنيت لنفسى بيوتاً . غرست لنفسى كروماً .
عملت لنفسى جنات وفراديس ، وغرست فيها اشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسى
برك مياه . قنيت عبيداً وجواري ... جمعت لنفسى فضة وذهباً ... اتخذت لنفسى مغنين
ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيده وسيدات » (جا ٢ : ٤ - ٨) .
هنا شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وشهوات باقى الحواس ... هذه هي شهوة
الجسد ، ووجدتها باطللة وقبض الريح .
وماذا إذن عن شهوات النفس ؟ يقول « لم أمنع قلبى من كل فرح . لأن قلبى
فرح بكل تعبى . وهذا كان نصيبى من كل تعبى ... » ... وهنا نقول :
فرح سليمان بكل غناه وشهوات جسده كان فرحاً نفسانياً .
ولم يكن فرحاً روحياً على الاطلاق . فما هو الفرح الروحى ؟

الفرح

الفرح النفساني ، هو فرح بشهوات الجسد ، كما فرح سليمان بكل متعه وغناه .
أما فرح الروح فهو الذي يقول عنه الكتاب :

« افرحوا في الرب كل حين ... » (في ٤ : ٤) .

تقرأ عن فرح سليمان في (جا ٢) . فلا تجد إسم الرب اطلاقاً .. ! إنه فرح بالجنات والفراديس ، والشجر ، والبقر ، والذهب ، والفضة ، والسيدات والمغنيات ... وليس بروحه وصله روحه بالله . إنه مجرد فرح نفساني ، باطل وقبض الريح ... لهذا نحن نفرق في أمور الفرحة بين تعبيرات عديدة مثل اللذة (وهي خاصة بالجسد والحواس) ، والسرور ، والفرح (وبعضها خاص بالنفس والآخر بالروح) .

الفرح بالرب هو فرح روحاني :

تفرح لأنك عرفت الله ، تفرح لأن لك صلة بالله وعشرة ، تفرح بسكنى روح الله فيك وارشاده لك . تفرح لأنك نلت مذاقة الملكوت ، تفرح لانتصار روحك التي حررها الله (يو ٨ : ٣٦) . تفرح لأنك استطعت أن توصل الناس إلى الله .

تلاميذ المسيح وقعوا أحياناً في الفرحة النفساني .

إنه فرح ليس من نوع فرح سليمان ، بل هو نوع أرقى منه ، ولكنه مرفوض أيضاً .
رجع السبعون إلى الرب فرحين ، بعد إرساليتهم التبشيرية ، وقالوا له «حتى الشياطين يارب تخضع لنا باسمك» (لو ١٠ : ١٧) فوبخهم الرب على هذا الفرحة النفساني ، وقال لهم «لا تفرحوا بهذا ، إن الأرواح تخضع لكم . بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت في السموات» (لو ١٠ : ٢٠) . وهكذا فرق الرب بين نوعين من الفرحة : نوع وبخ عليه ، ونوع دعا إليه .

مثال آخر وهو فرح البعض بموهبة الألسن وما يشابهها .

إنه فرح بشيء يجده أمام الناس ويرفع شأنه !! يريد أن يتعظم على حساب

مواهب الله... وكان الأفضل أن يهتم بنقاوة قلبه وامتلاء القلب بشمار الروح . وفي ذلك قال الرسول « لو كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ، وليس له محبة ، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن » (١ كور ١٣) .

* * * إذن افرح بشمار الروح ، أكثر مما تفرح بالمواهب .

ثمار الروح التي هي « محبة وفرح وسلام ، وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف » (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . وهذه توصلك إلى الملكوت بينما المواهب والآيات والرؤى ربما لا توصل... ! يقول السيد الرب :

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم « يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحيثأذ أصرح لهم : إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

قيل عن القديس يوحنا المعمدان ، إنه لم يصنع آية واحدة (يو ١٠ : ٤١) . ومع ذلك شهد له الرب إنه أعظم من ولدته النساء (يو ١١ : ١١) . وفى التبشير بمولده قيل عنه إنه « من بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) . فلا تفرح إذن بالآيات .

القديس بولس الرسول خاف من كثرة الرؤى والاستعلانات .

لأنها خطيرة ، ربما ترفع قلبه . ولذلك قال « ولثلا أرتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى لثلا أرتفع » (٢ كور ١٢ : ٧) . وصلى ثلاث مرات أن يرفع الله عنه هذه الضربة ، ولم تقبل صلاته فى ذلك ...

* * *

أم يعقوب ويوحنا الرسولين وقعت فى الفرح النفسانى الباطل .

فجاءت إلى السيد الرب تطلب إليه أن يجلس أحد إبنيه عن يمينه ، والآخر عن يساره فى ملكوته (متى ٢٠ : ٢٠ ، ٢١) . ولكن الرب لم يشأ أن يكون لها فرح بالعظمة ، بل أن يكون لإبنيه فرح بالألم . فقال لهما « لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها » (متى ٢٠ : ٢٢) .

واستجاب الرب لطلبه هذه القديسة ، فكان ابنها أول الشهداء من الرسل الاثنى عشر (أع ١٢ : ٢) ، وجلس مع الرب عن يمينه ...

* * *

حقاً إن الفرح بالألم هو جزء من الفرح الروحي .

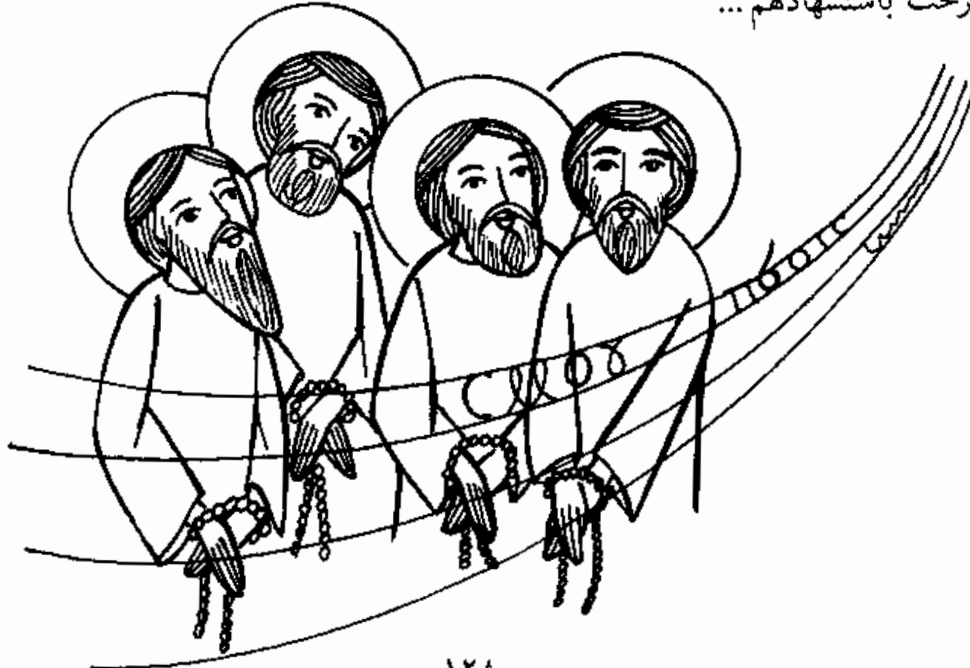
ولذلك بعدما سجنوا التلاميذ وجلدوهم ، يقول الكتاب عنهم « وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٤١) .

ويقول القديس بولس الرسول « لذلك أُسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات لأجل المسيح » (٢ كو ١٢ : ١٠) ... وهكذا كان سرور الشهداء والمعترفين القديسين بملاقاة العذابات والموت . إنه فرح روحاني .

* * *

إن الذي يفرح بأن ينال موهبة المعجزات والآيات ، هو ما يزال في مستوى الفرح النفساني . أما الفرح الروحاني ، فهو الفرح بالرب وليس بمواهبه ، وما تجلبه المواهب من عظمة ...

* ولعل من الأمثلة البارزة تلك القديسة العظيمة التي ذبحوا أبناءها الخمسة على حجرها وهي تشجعهم على الاستشهاد ، لكي يفرحوا مع الرب في ملكوته . وهي أيضاً فرحت باستشهادهم ...





الإنسان الروحي ،

من صفاته : ضيِّط النفس

من ضمن الصفات الأساسية التي يتصف بها الإنسان الروحي « ضبط النفس » .

فهو لا يترك نفسه تخضع لرغبات الجسد وشهواته بل كلما اشتتت نفسه شهوة خاطئة ، يخضعها بكل حزم لقيادة الروح . وكما يقول الكتاب :
« مالك روحه خير ممن يملك مدينة » (أم ١٦ : ٣٢) .

يملك نفسه أو يضبطها ، أى لا يعطيها كل ما تريد . بل يقف ضدها ، عملاً بقول السيد الرب « من يحب نفسه يهلكها . ومن يبغض نفسه في هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية » (يوحنا ١٢ : ٢٥) .

إن ضبط النفس يشمل بلا شك عناصر كثيرة :

- ١- ضبط اللسان .
- ٢- ضبط الفكر .
- ٣- ضبط القلب ، بضبط الرغبات والشهوات .
- ٤- ضبط الأعصاب .
- ٥- ضبط البطن من جهة الأكل .

والذى يحكم نفسه ، يجعلها خاضعة لقيم ومبادئ ، وأنظمة وقوانين . لأن الذى لا يحكم نفسه ، إنما يسلمها فى الواقع إلى الضياع ...
والذى يضبط نفسه ، يحبها المحبة الحقيقية ...

لأن الذى يدلل نفسه ، يضيعها ويضيع غيرها معها . أما الذى يكون حازماً مع نفسه ، فإنه بهذا الحزم يتقدها ، وينقذ غيرها منها ، ويحفظها فى علاقة طيبة مع الله ...
وينظم اهتماماته وعلاقاته هكذا : الله أولاً ، الناس ثانياً ، نفسه أخيراً ...

ضبط اللسان

الإنسان الروحي لا يتكلم بكل ما يأتى على فكره من كلام وأفكار . بل يزن كل كلمة قبل أن يقولها . وميزانه لا يقتصر فقط على كنه الكلمة هل هى فى حد ذاتها

خطأ أم صواب ...

إنما يهمه أيضاً تأثير الكلمة على الآخرين ، وردود فعلها ، ونتائج ذلك ...

فالذى يعرف نتائج أخطاء اللسان ، وأى نار يحرق ، وكيف يندس الجسم كله (يع ٣ : ٥ ، ٦) ... هذا الإنسان يحترس جداً قبل أن يتكلم ، ويقول :

« ضع يارب حافظاً لقمى ، وباباً حصيناً لشفتى » (مز ١٤١ : ٣) .

إنه يعرف أن الكلمة التى تخرج من فمه ، لا يمكن أن ترجع مرة أخرى ، لأنها قد وصلت إلى آذان السامعين وحُسبت عليه ، مهما حاول أن يسحبها أو يعتذر عنها أو يحاول إصلاح نتائجها .. ! بل أصبحت سبباً للدينونة ، حسب قول الرب إنه « بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان » (مت ١٢ : ٣٧) .

ضَبْطُ الْفِكْرِ

الإنسان الروحى ، كما يضبط لسانه ، يضبط فكره أيضاً . فلا يترك عقله يسرح فى أى فكر ، ولا يقبل أى فكر خاطئ يأتى إليه ، بل يطرده بسرعة ، ولا يتساهل أبداً معه ...

كذلك لا يقبل الأفكار التى تبدو بسيطة فى أولها ، ثم تتدرج إلى ما لا يليق ... إنه يكون حازماً مع هذه الأفكار التى تلبس ثياب الحملان وهى ذئاب خاطفة ... ويقول فى داخله عن الشيطان ، مثلما قال الرسول « نحن لا نجهل أفكاره » (٢ كو ٢ : ١١) .

وإن خدعه فكر ثم اكتشفه ، يوقفه بسرعة .

لأن التمشى مع الفكر الخاطئ خيانة للرب ، وإعطاء الفكر لأن يثبت أقدامه ، ويكبر ويتطور ، إلى أن يؤثر على القلب ، ويتحول إلى شهوة فيه . فالأفضل التخلص منه من بادىء الأمر .

والإنسان الروحى لا يكتفى بضبط الفكر ومنعه من الخطأ ، إنما بالأكثر يشغل عقله بأفكار روحية نقية . حتى إذا جاء الشيطان ليحاربه بفكر ردىء ، يجد عقله منشغلاً

بتأمل روحى وغير متفرغ له ... ويستطيع الجواروحى الذى فى عقله ، أن يمنع أى فكر خاطيء من الاقتراب إليه ... كحصن حصين ...

ضَبْطُ الحَوَاسِ

لما كانت الحواس هى أبواب للفكر...، لذلك فالإنسان الروحى يضبط حواسه ، لكي يضبط فكره . فهو يحفظ عينيه ، ويحفظ سمعه . وإن وصل إلى حواسه شيء يجلب الفكر ، يخلية خارجاً بسرعة .

يلجأ إلى سياسة الاحلال . فيضع فكراً بدلاً من فكر .

كما كان القديس الأنبا يوحنا القصير يفعل ، إن سمع شيئاً غريباً ... أو كما قال الأنبا أور لتلميذه « أنظر يا ابنى ، لا تُدخل هذه القلاية كلمة غريبة » ...

ضَبْطُ الأَكْلِ والشَّرْبِ

كثيرون يهتمون بضبط أنفسهم فيما يختص بالأكل بما اصطلح على تسميته بالريجيم ، لتخفيف الوزن . إما للعلاج من السكر ، أو من الكولسترول ، أو بسبب مرض القلب ، أو لتحاشى السمنة ... إلخ .

أما الإنسان الروحى فيضبط نفسه فى الأكل والشرب لأسباب روحية ، يدخل فيها النسك والصوم . ويتخذ من ضبطه لنفسه وسيلة لإخضاع الجسد ، لكيما يعطى فرصة للروح ...

إن أمنا حواء لم تضبط نفسها من جهة الأكل ، فخالفت وصية الرب وأكلت من الشجرة المحرمة ، وهكذا فعل أبونا آدم أيضاً ... وكانت الخطيئة الأولى ...

وسبق ذلك السقوط عدم ضبط الحواس ، سواء فى السماع للحية ، أو فى النظر إلى الشجرة ، فإذا هى « جيدة للأكل ، وبهجة للعيون ، وشهية للنظر » (تك ٣ : ٦) ... حقاً إن خطيئة يمكن أن تقود إلى خطيئة أخرى ... فنتقل من الحواس ، إلى الفكر ، إلى القلب ، إلى العمل .

مِنْ جِهَةِ الْغَضَبِ

أو ما يمكن أن نسميه « ضبط الأعصاب » .

الإنسان الروحي يحاول أن يبعد عن الغضب ، عملاً بقول الكتاب « إن غضب الإنسان لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠) .

وإن وجد الغضب تحرك في قلبه ، لا يتركه يسيطر على لسانه وعلى أعصابه .

وهكذا يبذل جهده في السيطرة على الألفاظ في وقت الغضب . إما أن يصمت ، أو يتحكم في كلامه ، أو بالأكثر يصرف الغضب من داخل قلبه ... وبكافة الطرق يحاول أن يهدئ نفسه ، فلا يثور ، ولا يرتفع صوته ، ولا يجتد ... كما يحاول أن يهدئ ملاحظه أيضاً ... ويعمل بقول الرسول « ليكن كل إنسان مبطئاً في التكلم ، مبطئاً في الغضب » (يع ١ : ١٩) . فالذي يسرع إلى الغضب ، يقع في التهور ، ويسقط في خطايا كثيرة . وقد يتصرف تصرفات يندم عليها جداً حينما يهدأ . ويشعر أنه في غضبه قد فقد صورته الإلهية ، وصار عثرة لكثيرين ...

والإنسان الروحي لا يكتب خطاباً في ساعة غضب .

ولا يتخذ قراراً في ساعة غضب .

ولو كتب خطاباً في وقت غضبه ، لا يسرع بإرساله ، إنما يتركه يوماً أو يومين ، ثم يعود إلى قراءته وتنقيحه ، أو يمزقه ويكتب غيره ، حتى لا يصبح وثيقة خطية ضده ، وتكون له نتائج غير المرضية . وبالمثل بالنسبة إلى القرارات التي يتخذها إنسان في ساعة غضب ، وتسمى قرارات انفعالية ، غالبيتها مخطئة وغير حكيمة . ويقول الكتاب إن « الغضب يستقر في حضن الجاهل » (جا ٧ : ٩) .

فِي الْعَقِيدَةِ وَالتَّعْلِيمِ

والإنسان الروحي يضبط نفسه أيضاً من جهة العقيدة والتعليم :

فلا يسرع بنشر أى فكر يدخل إلى ذهنه ، نتيجة للقراءة مثلاً ... فيعلم به ، أو يكتبه في مقال ، أو يصدره في كتاب ، أو يلقيه في دروس ... فكثير من الأفكار تحتاج إلى فترة حضانة طويلة ، يأخذ فيها الإنسان مع الفكر ويعطى ، ويناقش الفكر داخل ذهنه ، قبل أن يصدره إلى أذهان الناس ...

الفكر داخل ذهنك هو تحت سيطرتك . فإذا نشرته ، أصبح تحت سيطرة الناس .

خرج من نطاقك إلى نطاق أوسع ، يُحكّم فيه عليه وعليك . وما أصدق القديس مقاريوس الكبير حينما قال « احكمم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك » ولعله أخذ هذه العبارة من القديس بولس الرسول « لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كو ١١ : ٣١) ... لذلك فالإنسان الروحى يضبط نفسه ، فهذا خير من أن يضبطه غيره ...

فى الطاعة والالتزام

وهو يضبط نفسه أيضاً من جهة الالتزام ، ومن جهة الطاعة والخضوع .

لأن هناك نوعاً من الناس ، باسم الحرية ، وباسم الكرامة الشخصية أو الاعتداد بالنفس ، يفعل كل ما يريد ، ولا يبالي بنظام ، أو تقاليد ، أو قواعد معينة ... ! حقاً إننا نؤمن بديمقراطية ، ولكنها أيضاً ديمقراطية منضبطة .

وما أجل مثال النهر ، يجرى في مجراه ولكن يحده شاطئان . لا يعتديان على حريته في مجراه ، وإنما يضبطانه . فلا يفيض ويتحول إلى مستنقعات ...

الإنسان الروحى هو إنسان ملتزم . يحترم النظام والقواعد المرعية ، ويحترم غيره أيضاً .

ويطبع الرسول حينما يقول « اعطوا الجميع حقوقهم ... الإكرام لمن له الإكرام ، والخوف لمن له الخوف » (روم ١٣ : ٧) ... أما الذى يسير على هواه ، ولا يخضع لأحد ، لا يخضع لكبير ولا لنظام ، بل لفكره فقط ... فهذا ليس إنساناً روحياً ، وهو أيضاً لا يطبع تعليم الكتاب ، ولا يلتزم بشيء ...

الإنسان الروحي يضبط نفسه من جهة الطاعة ...

طاعة الوالدين ، وطاعة أب الإعراف ، وطاعة النظام ، وطاعة المواعيد ، وطاعة الله قبل الكل ... ولا يرى في الخضوع أى إنقاص من كرامته إطلاقاً . فالخضوع دليل على الإلتضاع ، والإلتضاع فضيلة . والإنسان الذى لا يخضع لأحد ، هو بالضرورة خاضع لكبريائه ، أو خاضع لنزواته .

فى الطموح والرفعة

الإنسان الروحي يضبط نفسه من جهة الطموح وحب العظمة والارتفاع .

كلما يجد ذاته حكيماً فى عينى نفسه ، أو باراً فى عينى نفسه ، يحاول أن يضبط نفسه حتى لا يرتنى فوق ما ينبغى (رو ١٢ : ٣) . ولا يرفع نفسه فوق ما قسم له الله (رو ١٢ : ٣) .

إن الشيطان لم يستطع أن يضبط نفسه من جهة محبة الارتفاع ، ففما أراد أن يرتفع فوق كواكب الله (أش ١٤ : ١٤) سقط وكان سقوطه عظيماً ...

الإنسان الروحي يضبط نفسه ليس فقط من جهة محبة الارتفاع ، إنما حتى من جهة المواهب .

أو أن الله نفسه يقيم له ضابطاً حتى لا يرتفع . انظر إلى بولس الرسول وهو يقول «ولئلا ارتفع من فرط الاعلانات ، اعطيت شوكة فى الجسد . ملاك الشيطان ليلطمنى لكيلا ارتفع» (٢ كو ١٢ : ٧) .

كلما يرتفع فكرك يا أخى ، اضبطه . ولا تظن فى نفسك أكثر من حقيقتك . وضع حدوداً لطموحاتك التى قد تدفعك إلى مقارنة نفسك بغيرك . فتجد أنك أعلى وأكبر ، وتفقد الطاعة ، وتفقد الإلتضاع ، وتفقد الإلتزام ، وتفقد احترامك لغيرك ... بل ضع أمامك باستمرار قول الكتاب «قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم ١٦ : ١٨) .

فنى الحىاة كلها

إن ضبط النفس يشمل الحىاة كلها ...

فالإنسان الروحى يضبط نفسه من جهة محبة الراحة أو المتعة. يضبط نفسه من جهة الوقت وحسن توزيعه على المسئوليات، واحترام المواعيد... يضبط نفسه من جهة الانتقام لنفسه إذا لحقته إهانة أو إساءة. يضبط نفسه من النواحي المالية، ومن جهة أخذه وعطائه. يضبط نفسه فى علاقاته مع الآخرين، وإلى أى حد تكون... يضبط مشاعر قلبه وأحاسيسه، فلا تنحرف يمينه ولا يسره.. وحتى من جهة العبادة، ومن جهة الخدمة، وفى إشرافه على الغير، وفى جميع مسئولياته، يضع لنفسه ضوابط.

وأخيراً أحب أن أقول ملاحظة هامة وهى :

الذى لا يضبط نفسه ، قد يأتيه الضبط اللازم من الخارج :

إن لم ينضبط داخلياً ، يأتيه الانضباط على الرغم من إرادته : من المجتمع الذى يرقب تصرفاته ومحاسبه، من عيون الناس التى ترى، وآذانهم التى تسمع... يضبطه الخوف أو الخجل، أو تضبطه القوانين والعقوبات، أو يضبطه التأديب من سلطة أعلى. أو يضبطه المرشدون الروحىون. أو تضبطه مقاومة خارجية توقفه عند حده، وتمنعه من أى تصرف خاطئ... عجيب أن داود النبى، لما لم يستطع أن يضبط نفسه ويمنع نفسه من الانتقام لذاته، أتاه الانضباط من الخارج، من توبيخ ابيجائيل له، فى حكمة وأدب (صم ٢٥).

خير للإنسان أن يضبط نفسه روحياً ، وينال أجراً إلهياً على ذلك، من أن يضطر إلى الانضباط بقوة خارجية، أو أن ينضبط بغير إرادته ...

أما الإنسان الروحى ، فإنه يضبط نفسه من الداخل . وإن وجد مقاومة، يلجأ إلى التغصب وإلى التدريب الروحىة، ساعياً باستمرار إلى نقاوة القلب، وإلى قداسة التصرف ...



الإِنْسَانُ الرُّوحِي يَحْيَا :

فَوْقَ مَسْتَوَى الْمَرْتَبَاتِ

الأمر التي تُرى وقتية . أما التي لا تُرى فأبدية .
المادة والعالم والجسد ، من الأمور المرئية الزائلة . عش في العالم ، ولا تجعل
العالم يعيش فيك . ما هي الأشياء التي لا تُرى ، لنهتّم بها ؟
قال القديس بولس الرسول « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى ، بل
إلى التي لا تُرى . لأن التي ترى وقتية ، أما التي لا تُرى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨)

الأشياء التي لا تُرى

فما هي إذن الأشياء التي لا تُرى ؟ نذكر منها الأبدية !

الذي يفكر في أبديته ، إنما يفكر في ما لا يرى ، لأنه لا يرى هذه الأبدية بعينه .
ولأن هذه الأبدية كما قال بولس الرسول هي « ما لم تره عين ، وما لم تسمع به
أذن ، وما لم يختر على قلب بشر » .

والذي ينظر إلى أبديته ، لاشك أنه سوف لا يهتم بهذا العالم الحاضر ، بل يزهده
ولا يتمسك به .

* * *

وفي الأبدية ننظر الله بالروح .

الله الذي قال عنه الكتاب « الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذي في حضن
الآب ، هو خبير » (يوا : ١٨) .

والمتمعة بالله شيء لا يدخل تحت نطاق الحواس ، لذلك فهي أبدية . هي فرح لا
ينطق به وعجيب ، ولا يستطيع أحد أن ينزعه منا ...

ليتنا ننشغل بالله ، المحيط بنا ، الحائل في وسطنا ، القارع على أبوابنا ، الذي قال

لنا «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» والذي قال «إذا اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨ : ٢٠) .

هو إذن معنا وفي وسطنا، وإن كنا لا نراه، ولكننا نحس وجوده. وفي الأبدية سنراه «وجهاً لوجه» كما قال الرسول (١ كو ١٣ : ١٢) .

* * *

سنراه ونرى ملائكته وأرواح قديسيه، الذين لا نراهم الآن .

ملائكة الرب حالة حول خائفيه وتنجيهم، وقلأ الكنيسة، وكلهم «أرواح خادمة، مرسله للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤) . ومع ذلك فنحن لا نراهم بهذه العيون المادية، ولكننا سنراهم في الأبدية، وكذلك أرواح القديسين .

أما الآن ، فنحن ننظر إلى كل هؤلاء بالروح ونراهم بالإيمان، ونستحي من حضرتهم معنا إن فعلنا خطية .

* * *

الروح من الأشياء التي لا ترى .

أما الجسد فإنه من المرئيات ...

لذلك فالشخص الروحي المحب لله، لا يعيش ناظراً إلى الجسد وطلباته، إنما إلى الروح التي لا ترى . يهتم بها وبغذائها الروحي، وبمسيرها الأبدى وبكل ما يربطها بالله الذي لا يرى، ويجعلها ملتصقة به ...

* * *

والذي ينظر إلى ما لا يرى، يهتم بالمعنويات وبالإيمان والخير .

فالإيمان هو «الثقة بما يرجى، والإيقان بأمور لا ترى» (عب ١١ : ١) .

والإنسان الروحي الذي يعيش في الإيمان، إنما يعيش ناظراً دائماً إلى ما لا يرى، لأن الأمور التي لا ترى هي خاصة بالعيان وليس بالإيمان . وقد قال الرسول «لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان» (٢ كو ٥ : ٧) .

وبالروح نعيش في المعنويات التي لا ترى، السلام الذي نحسه ولا نراه، الخير الذي نتبعه ولا نراه... وكذلك كل الفضائل غير المرئية.

* * *

وفي كل أمورنا، ننظر إلى قوة الله غير المنظورة العاملة معنا.

ولا ننظر إلى ضعفنا الظاهر... وإلى المشاكل التي أمامنا... وإنما ننظر إلى معونة الله، كما صلى أليشع النبي من أجل تلميذه جيحزي «إفتح يارب عيني الغلام ليرى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا». وأهم شيء معنا هو قوة الله، التي نراها بالإيمان عاملة في الكون. وبهذه القوة نفرح ونغنى مع الرسول «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني»...

* * *

فما هي هذه الأشياء التي ترى، التي ينبغي على الإنسان الروحي ألا ينظر إليها.

الأشياء التي تُرى

المادة من الأشياء التي ترى، لذلك فهي وقتية، لا تدوم إلى الأبد. إن لم نفارقها نحن، فلا بد أنها هي ستفارقنا. لذلك قال الله للغنى الغبى من جهة كل أمواله، ومخازنه «هذا الذي أعددتَه، لمن يكون؟!».

لذلك سعيد من يكتز له كنزاً في السماء، في نطاق ما لا يرى... فتتحول كنوزه من أشياء مَرْتِيَّة، إلى أشياء غير مَرْتِيَّة... تتحول إلى روحيات...

* * *

العالم أيضاً من الأشياء التي لا ترى، من الأشياء الـوَقْتِيَّة.

لذلك قال الرب إن السماء والأرض تزولان. وقال يوحنا الرائي «أبصرت سماءاً جديدة، وأرضاً جديدة. لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد» (رؤيا ٢١: ١).

كلها أمور زائلة، لأنها من المراتب لهذا فإن الكنيسة تردد على آذاننا في كل قداس قول الرسول:

«لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. لأن العالم يبید، وشهوته معه» (١ يوحنا ٢: ١٧، ١٥).

من هنا وجدنا أن آباءنا القديسين قد بدأوا حياتهم الروحية بالموت عن العالم .
وفترة حياتهم في العالم ، قضوها فيه كغرباء وليست لهم هنا مدينة باقية ، بل يبتغون
وطناً أفضل سماوياً» (عب ١١ : ١٣ ، ١٦) . غيرناظرين إلى المرثيات .

ولعل البعض يسأل : ماذا أفعل عملياً ؟ كيف أترك العالم والمادة ، وأنا أحياء
فيهما ؟ إن الرسول يجيب على هذا بقوله « يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا
يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كور ٧ : ٣١) .

إذن عش في العالم ، لكن لا تجعل العالم يعيش فيك .
يمكنك أن تملك المادة ولكن لا تجعل المادة تملكك .

العالم مكانه في الخارج ولا يدخل إلى داخل قلبك أو فكرك أو مشاعرك تستعمل
ما فيه من مادة ، وأنت متحرر في الداخل من سيطرتها ومن محبتها .
وكل ما تفقده من أمور العالم ، لا تحزن عليه ، لأنه لا يصحبك في اليوم الأخير .
وبالتالي لا تشتهي أن تقتنى من العالم شيئاً ، فقد قال الرب :
« ماذا ينتفع الإنسان ، لو ربح العالم كله ، وخسر نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

وعبارة « غير ناظرين » تعنى عدم الاهتمام ، وعدم الانشغال ، بشيء من أمور
المادة والعالم ، لأن الفكر منشغل بشيء آخر ووحى من الأمور التي لا ترى . وكما
قال الرسول « أريد أن تكونوا بلا هم » (١ كور ٧ : ٣٢) .

والإنسان الذي لا يهتم بشيء من المرثيات ، يعيش بلا شك سعيداً ، ويتحرر من
الشهوة ومن الخوف ...

وفي ذلك قال القديس أوغسطينوس جلست على قمة العالم حينما أحسست في
نفسى أنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً .

إن الإنسان الذي ارتفع فوق مستوى الماديات ، هو حصن منيع لا ينهدم ، هو فوق

العالم ، وهو فوق الجسد أيضاً .

فهذا الجسد المادى هو أيضاً من الأمور الوقتية الزائلة ، لأنه خاضع للحواس .
وسياتى وقت ننطلق فيه منه ، حينما نخلعه ، ونلبس جسداً آخر روحانياً نورانياً غير
قابل للفساد هو جسد القيامة الممجىد...

أما هذا الجسد فسيأكله الدود ، ويتحول إلى تراب ، وحينما يقوم سوف يقام
جسداً روحانياً قد تخلص من سيطرة المادة ومتطلباتها وضعفاتها .

أنت على صورة الله ومثاله والله روح . عش إذن فى الروح .

والروح من الأشياء التى لا ترى . وفى حياة الروح ، تخلص من شهوة الجسد وشهوة
العين وتعظم المعيشة وتمسك بالأشياء التى تبقى معك فى الأبدية . أما الأمور المرئية فلا
تهتم بها ، ولا تجعلها تسبب لك همماً ...

كان السيد المسيح على الجبل ، مع الآب ، منشغلاً بالأمر التى ترى فماذا كانت
تجربة الشيطان له ، فى صورها الثلاثة المتحدة فى الهدف ؟

كانت التجربة هى محاولة جذبته مما لا يرى ، إلى عالم المرئيات ...

جذبته إلى الحجارة التى يصيرها خبزاً لطعام الجسد ... إلى المناظر التى تستهوى الحواس ،
إلى ممالك الأرض ومجدها .

أما السيد المسيح ، فتمسك بالأشياء التى لا ترى ... بالروح التى تتغذى بكل
كلمة تخرج من فم الله ... لذلك رفض كل تلك الماديات ، ولم تترك فى نفسه أثراً .

إن الإغراء الذى تعرض له أبوانا الأ ولان كان هو المرئيات ...

إنه الشجرة ، والثمرة ، التى كانت أمامهما «شهوة للنظر وبهجة للعيون»
(تك ٣ : ٦) . وبنفس الوضع كانت سادوم بالنسبة إلى لوط ، أرضاً معشبة ، صالحة
للمرعى « كجنة الله ، كأرض مصر » (١٣ : ١٠) .

أنظروا إلى قصة يوسف وامرأة فوطيفار، كانت هي ناظرة إلى الأمور التي تُرى، إلى جمال الجسد وشهوته. أما يوسف فكان ناظراً إلى الرب «كيف أخطيء إلى الله؟!» (تك ٣٩ : ٩). ولم ينظر مطلقاً إلى الأشياء التي تُرى، الوقتية... لذلك خلص يوسف، وسقطت المرأة...

* * *

وبنفس الوضع سقط سليمان :

إن مأساة سقوطه كان سببها قوله «ومهما أشتته عيناى، لم أمنعه عنهما» (جا ٢ : ١٠).

لذلك قال «بنيت لنفسي بيوتاً. غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفراديس... جمعت لنفسي أيضاً فضة وذهباً... أتخذت مغنين ومغنيات، وتنعمات بنى البشر سيده وسيدات...» (جا ٢ : ٤ - ١٠).

وماذا كانت النتيجة؟ قادتة كلها إلى البعد عن الله (١ مل ١١).

واكتشف أخيراً أن كل هذه المرثيات هي «باطل الأباطيل. الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس». (جا ٢ : ١١).

ولكنه اكتشف هذه الحقيقة متأخراً بعد أن أثرت على روجه، وبردت نفسه وأسقطته فيما لا يسقط فيه الحكماء!

إن الغنى قد أتلّف سليمان، وأوقعه في شهوات متعددة، وأمال قلبه إلى النساء. والغنى أيضاً أبعد الشاب الغنى عن المسيح، فمضى حزيناً...

* * *

ولكن بعض الأغنياء احتفظوا بحببتهم لله، لأنهم لم يحبوا المال، ولم ينشغلوا بجمعه وتكويمه وخزنه، وإنما باعوا كل أموالهم وأعطوها للفقراء، كما فعل القديس أنطونيوس الكبير والقديسة ميلانيا، وكما كان يفعل أيضاً أيوب الصديق.

العيب إذن ليس في المال ذاته، إنما في النظر إليه، في محبته، وفي الإتكال عليه، وفي الكبرياء بسببه.

كل هذا عن الأشياء التي ترى.

بالنظر إلى ما لا يرى عاش الرهبان والنسك والسواح .

نظروا إلى كل ما يرى ، فإذا هوزائل وفان ، لا يستحق اهتمامهم . فارتفعوا فوق مستواه وفوق كل رغبة فيه . وماتوا عن العالم ، عن المرئيات ، ناظرين إلى ما لا يرى ، من فرط محبتهم للملك المسيح .

وبالمثل عاش آباؤنا ، الذين حسبوا أنفسهم غرباء على الأرض .

ناظرين إلى المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله (عب ١١ : ١٣ ، ١٠) . كانت نظرتهم مركزة في الأبدية التي وعدهم الرب بها . لم يروها بالعين ، ولم ينالوا المواعيد ، لكنهم نظروها من بعيد وصدقوها . وهكذا كان داود النبي يقول « غريب أنا على الأرض » « نزيل مثل جميع آبائي » (مز ٣٩ : ١٢) (مز ١١٩) ... كذلك موسى النبي ، الذي كان أميراً في القصر الملكي . ولكنه لما كبر لم ينظر إلى هذه العظمة المرئية ، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر... (عب ١١ : ٢٦) .

نفس الوضع بالنسبة إلى الشهداء والمعترفين .

تقدموا إلى الموت ، غير ناظرين إلى العالم وكل ما فيه . ورافضين الاغراءات التي عرضت عليهم ، لأنهم كانوا مركزين نظرهم في ما لا يرى ، في الحياة الأبدية التي لا ترى ، في ما لم تره عين ... (١ كو ٢ : ٩) ... ماذا نقول إذن عن الذين لا يدفعون العشور ، لأنهم ينظرون إلى ما يرى . ولا يلتفتون إلى البركة التي لا تُرى .

السيد المسيح كان مثلاً في النظر إلى ما لا يرى .

في معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، لم ينظر المسيح إلى الخبز الذي يُرى ، إنما رفع نظره إلى فوق ، وبارك . وفي حديثه مع السامرية ، لم يهتم بهذا الماء الذي يرى ، إنما إلى الماء الحى الذي لا يُرى ... وهكذا في السجود ، لا أورشليم التي تُرى ، أو ذلك الجبل ، إنما الروح والحق وهما أمور لا تُرى ... وفي الملكوت لم يهتم بالملكوت الأرضى الذى لا يُرى ، بل بالملكوت الروحى .

إن النظر إلى ما لا يُرى ، ينجى العالم من المذاهب المادية ، ومن الاباحية واللااخلاقية ، ومن الوجودية التي تهتم فقط بالوجود في هذا العالم الأرضى .



الإنسان الروحي له :

الشخصية المتكاملة

أهمية التكامل

الإنسان الروحي إنسان يجمع بين الفضائل حتى التي تبدو متضادة .
الفضائل عنده لا تناقض فيها ولا تناقص ، بل تكامل .
لا يقتصر على فضيلة واحدة ، بل يجاهد لأجل اكتساب الكل ، حسب قول الرب
«كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل» (مت ٥ : ٤٨) .
والإنسان الروحي لا يكتسب فضيلة على حساب ضياع فضيلة أخرى .
فضائله لا يهدم بعضها بعضاً ، بل يتمشى الكل معاً .
الله تبارك اسمه ، فيه كل الفضائل ، تتمشى معاً . وقد اظهر لنا ربنا يسوع المسيح
هذا المثال الكامل . ففي شخصيته نرى الحب والحزم ، الرحمة والعدل ، الوداعة
والشجاعة ، البساطة والحكمة ، الطيبة والقوة ، الخدمة والتأمل ... إلخ .
وسنبداً الحديث الآن عن التكامل بين الفضائل

البساطة والحكمة

من الأخطاء الواضحة أن إنسان قد يوصف بالبساطة ، ولا تكون له حكمة ، بل
تكون بساطته لونهاً من السذاجة .. وتؤخذ عليه بعض التصرفات . ويحاول الناس أن
يعذروه . قائلين أنه بسيط ...
ليست هذه البساطة الحقيقية ، فالإنسان الروحي يكون بسيطاً وحكياً ، كما
دعانا الرب قائلاً كونوا بسطاء وحكماء» (مت ١٠ : ١٦) ولا تناقض .
فالبساطة هى عدم التعقيد ، وليست عدم الحكمة .
البساطة المسيحية بساطة حكيمة . والحكمة المسيحية حكمة بسيطة . ومن الجائز
أن يقول إنسان كلاماً حكياً جداً ، وبأسلوب بسيط .

تكون له حكمة في عقله ، وبساطة في قلبه ...

يتصرف في عمق الحكمة ، وبكل بساطة ، حكمة ليس فيها تعقيد انفلاسة وإنما في بساطة يمكن أن يفهمها الكل .

كذلك ليست البساطة أن تصدق كل شيء بلا تفكير ، أو تعطى مجالاً للبعض أن يخدعك أو يلهوبك . إنما مع بساطتك مع الناس تكون مفتوح العينين حاضر الذهن . تستطيع أن تميز الذئب التي تلبس ثياب الحملان ...

وفي حكمته لا يعيش في جو من الشك والحذر والظنون .

إنه لا يخلط الأوراق ، ولكن يرتبها ...

عبارة « المحبة تصدق كل شيء » (١ كو ١٣ : ٧) يفهمها من جهة الله ، ففي محبته لله . يصدق كل وعوده وكل معجزاته . ويصدق أن التجارب التي يسمح بها للخير . أما من جهة الناس ، فإلى جوار « المحبة تصدق كل شيء » يضع قول الرسول « لا تصدقوا كل روح ، بل ميزوا الأرواح هل هي من الله ... » (١ يو ٤ : ١) وأيضاً « امتحنوا كل شيء ، وتمسكوا بالحسن » (١ تس ٥ : ٢١) .

ببساطة يطيع . ولكن أيضاً يخلط الطاعة بالحكمة .

كما قال الرسول « اطيعوا والديكم في الرب » (أف ٦ : ١) . وأيضاً « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) .

الشخصية المتكاملة لا تقاد بفضيلة واحدة .

بل كل فضيلة يمزجها بالحكمة والمحبة والاتضاع .

الطيبة والمتوة

كان السيد المسيح طيب القلب جداً . لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته . قصة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) . وفي نفس الوقت كان في منتهى القوة . شخصيته قوية . كان قوياً في كلامه ، في اقناعه ، في محبته ، في تأثيره على الآخرين ...

كان طيب القلب ، يحب الأطفال ويحتضنهم ويحنو عليهم ، ويتكىء تلميذه يوحنا في صدره ، ويدافع عن المرأة الخاطئة . وفي نفس الوقت لم تفارقه هيئته .

سمح للشيطان أن يجربه . ولما زاد عن حده ، انتهره فمضى (مت ٤) .

سمح للجند أن يقبضوا عليه . وفي نفس الوقت لما قال لهم «أنا هو» سقطوا على الأرض من هيئته (يو ١٨ : ٦) .

المفروض في الآباء والمدرسين أن يكون في طبيعهم الحنو، وتكون لهم أيضاً الهيبة .

وليس من الصالح أن حنوهم يفقدهم هيبتهم .

الهيبة لازمة لحفظ النظام وحفظ القيم . والحنو لازم حتى يطيع الناس بدافع من الحب ، وليس بدافع من الرعب .

الْحَبِّ وَالْحَزْمِ

قد يقال عن راهب أنه إنسان طيب ، يصلح أباً ، ولكنه لا يصلح أن يكون اسقفاً ، لأنه تنقصه الإدارة ، وضميره يتعبه إن أخذ موقفاً حازماً !!

كأنما الإدارة والحزم ضد الروحيات .

الإنسان الروحي يمكن أن يجمع الأمرين معاً : الحنو والحزم ، والطيبة والإدارة ، والأبوة والرئاسة ...

يوسف الصديق كان حازماً جداً ، حتى أن أخوته خافوه وارتعبوا منه ، لما قال لهم «أنا يوسف . أحي أبي بعد ؟» (تك ٤٥ : ٣) . ومع ذلك لم يستطع أن يضبط نفسه لما عرف أخوته بنفسه ، واطلق صوته للبكاء (تك ٤٥ : ١ ، ٢) .

وصفة الطيبة مع القوة ، والحب مع الحزم ، تظهر في السيد المسيح . وقيل عنه في تطهيره للهيكل :

يا قوياً ممسكاً بالسوط في كفه والحب يدمى مدمعك

هذا هو التكامل في الشخصية الذي يلزم للسير في الفضائل .

السيد المسيح كان يحب تلاميذه ، وكان ينتهرهم أحياناً .

قيل إنه « أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوحنا : ١٣ : ١) .
ومع ذلك لما أراد بطرس أن يمنعه عن الصلب ، قال له « أذهب عني يا شيطان . أنت
معثرة لي » (مت : ١٦ : ٢٣) . هنا نجد الخزم واضحاً . وبنفس الخزم وبخ الرب
تلميذه لما قالوا له « أتشاء أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة » (لوقا :
٩ : ٥٥) .

من الأشياء الغريبة في محيط الأسرة أن الوالدين يوزعان أحياناً الحب والخزم فيما
بينهما ، فيكون للأم الحب وللأب الخزم !! بينما الحب والخزم ينبغي أن تكونا لكل
منهما ...

فإذا أخطأ الابن ، أو حاول أن يخطيء تقول له الأم « ... لثلا يغضب أبوك
ويعاقبك » دون أن تقول له إنها هي أيضاً لا ترضى عن هذا الأمر !! ويختلط الأمر على
الابن ، ولا يعرف أين الحق . كل ما في الأمر أنه يتقى غضب الأب .

ويحدث أحياناً أن كاهناً يريد أن يكسب محبة شعبه ، أو رئيس يجب أن يكسب
محبة مرؤسيه ... من أجل هذا الحب يتهاون في حقوق العمل وفي وصية الله ، ويفقد
الخزم . وربما تكون لذلك نتائج سيئة جداً ...

الوداعة والشجاعة

كان السيد المسيح وديعاً جداً ، حتى قال « تعلموا مني فإني وديع ومتواضع
القلب » (مت : ١١ : ٢٩) . ومع ذلك كان في منتهى القوة والشجاعة . وقد وقف ضد
الكتبة والفريسيين وأظهر رياءهم . ووقف ضد الصدوقيين وانجملهم وضد الشيوخ
ووبخهم .

داود النبي كان وديعاً ، وكان شجاعاً .

كان شجاعاً إذ وقف ضد جليات الجبار وهزمه ، في وقت كان فيه كل الجيش
خائفاً « (اصم : ١٧) . وكان وديعاً إذ يقال عنه في المزمور « اذكر يارب داود وكل
دعته » (مز : ١٣١ : ١) .

وموسى النبى كان وديعاً وشجاعاً وقويماً .

وديعاً إذ قيل عنه « وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) . وكان شجاعاً وقويماً إذ وقف ضد الشعب كله لما عبد العجل الذهبى ، الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء « (خر ٣٢ : ٢٠) .

وابراهيم أبو الآباء كان وديعاً وشجاعاً .

وديعاً إذ سجد أمام بنى حث لما اشترى منهم مغارة المكفيلة لتكون قبراً لسارة (تك ٢٣ : ١٢) . ومع ذلك تظهر شجاعته ، إذ أنه « لما سمع أن أخاه لوط قد سبى ، جمع رجاله المدربين » (تك ١٤ : ١٤) . وقام ضد أربعة ملوك وهزمهم ورد سبى لوط وسادوم ، ولما أراد ملك سادوم أن يعطيه من الغنائم ، قال له فى عزة نفس « لا آخذن خيطاً ولا شرك نعل ... فلا تقول أنا أغنيت أبرام » (تك ١٤ : ٢٣) .

كان الرهبان ودعاء ، وكانوا شجعاناً فى الدفاع عن الإيمان .

من الخطأ أن تظن أن صفة الوداعة تمنعك من الشجاعة ، وتحولك إلى جثة هامدة لا نخوة فيها ولا شهامة ولا حياة ... ! إنما اكتسب الفضائل . وضع أمامك قول الكتاب :
« لكل شيء زمان . ولكل أمر تحت السماوات وقت » (جا ٣ : ١) .

تستخدم الوداعة حين تحسن الوداعة . وتستخدم الشجاعة حين تلزم الشجاعة . كلاهما فيك . وتظهر كل منهما فى الحين الحسن المناسب لها ...

الوداعة ليس معناها الضعف . والقوة ليس معناها العنف .

والوداعة والقوة تمتزج كل منهما بالحكمة والفهم . الإنسان الضعيف لا يمكن أن يكون صورة الله ومثاله . ولكن لكى يكون قوياً لا ينحرف إلى التهور ، ولا يفقد وداعته وأدبه .

والوداعة لا تدفع إلى الخمول والطيبة لا تدفع غيرك إلى اللعب بك .

فإن كان إنسان طيباً ، ليس معنى هذا أن يلعب به الناس ، ويفقد كرامته وحقوقه وهيبته .

وإلا فإن البعض سيكرهون الطيبة ، ويرون أن الناس سيستغلونها ضدهم .
المشكلة ليست في الطيبة، إنما في إساءة فهمها، وفي عدم مزجها بالحكمة وقوة
الشخصية ...

كل فضيلة تزنها بميزان دقيق . ولا تمارسها منفردة عن باقى الفضائل . وإن رأيت
من نتائجها سلبيات ...

اعرف أن السلبيات ليست نتيجة للفضيلة ، إنما لسوء فهمها، أو لسوء
استخدامها، أو لنقص الحكمة فيها .

يمكن أن تكون طيب القلب ولكن ليس معنى الطيبة أن تسلم قيادتك لغيرك . أو
أن تشرك بضعف شخصية في أخطاء الآخرين . أو أنك خوفاً من أن تغضب غيرك ،
تشترك معه في خطأ، أو تجامله في ذنب واضح ...

المحبة والمخافة

نحن نحب الله . ولكن محبتنا له لا تمنع فضيلة المخافة، ومعاملتنا لجلاله الأقدس
بكل ما يستحق من مهابة وتوقير.

نحبه ونسجد له . ندخل إلى الكنيسة بحب وفرح . وفي نفس الوقت نقول للرب
«أما أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك» .

نحب كتابه المقدس ووصاياه ونقول له فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة
(مز ١١٩). ومع ذلك يصيح الشماس قبل قراءة الإنجيل «قفوا بخوف من الله،
وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس» .

نعامل الله كأب ، ولكن في السموات .

تمتزج المحبة والمخافة ... وتتحول إلى حب بمهابة .

لأن هناك كثيرين في إيمانهم بحبة الله ، يفقدون مخافتهم له ، وبالتدريج يتحولون
إلى الاستهتار والاستهانة، حتى أنهم يتحدثون مع الآباء بغير توقير...

ما أكثر الآيات عن مخافة الله . إن نسيناها يقول لنا الرب :

« تضلون إذ لا تعرفون الكتب » (مت ٢٢ : ٢٩) .

أما عبارة « المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » (١يو٤ : ١٨) . الخوف هنا أى الرعب . ولكنه ليس الخوف بمعنى المهابة . فنحن فى صلاة الشكر فى كل يوم نقول «امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام مع مخافتك» ...

الخدمة والتأمل

هناك أشخاص من اهتمامهم بالخدمة وانشغالهم الكثير بها ، يفقدون أهمية الصلاة والتأمل فى حياتهم ، ويهملون هذه الروحيات . ولاشك أن هذا ضد التكامل فى حياة الروح .

إن السيد المسيح كان يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت ، ومع ذلك كان يقضى الليل كله فى الصلاة ، وكانت له خلواته فى جبل الزيتون (يو٨ : ١) . وفى بستان جشيمانى .

ويوحنا المعمدان كانت له خدمته الناجحة جداً التى بها أعد الطريق أمام الرب ، ومع ذلك قضى ٣٠ سنة من حياته فى البرية حتى ظهر لإسرائيل .

وايليا النبى كانت له خدمته التى قضى بها على أنبياء البعل والسوارى ، ووبخ فيها آخاب الملك . وكانت له فى نفس الوقت خلواته على جبل الكرمل .

بولس الرسول كانت له حياة التأمل التى صعد بها إلى السماء الثالثة (٢كو١٢ : ٢) . ومع ذلك كانت له خدمته القوية التى بشر بها فى آسيا وأوروبا ، وكتب ١٤ رسالة ، بل كتب رسائل حتى وهو فى السجن .

الإنسان المتكامل يجمع بين الحياتين . لا تكون الخدمة على حساب التأمل . ولا يكون التأمل على حساب الخدمة .

الكلام والصمت

قد يتكلم إنسان كثيراً ، فيفقد فضائل الصمت والتفكير والتأمل . وقد يصمت

إنسان، فيفقد فائدة كلمة المنفعة، وكلمة التعزية، وكلمة النصيح، كما يفقد الشهادة للحق. أما الإنسان المتكامل فيعرف متى يصمت ومتى يتكلم. لا يصمت حين يحسن الكلام ولا يتكلم حين يحسن الصمت. إذا صمت فعن حكمة، وإن تكلم فعن فائدة. إنه يستطيع الأمرين معاً، ويستخدم كلاهما في حينه الحسن.

الدموع والبشاشة

قد يحاول إنسان أن يكتسب فضيلة الدموع، فلا تراه إلا باكياً كثيراً، مما يعطى صورة مشوهة عن التدين.

بينما الإنسان المتكامل، للدموع عنده وقتها، غالبيتها أمام الله، في مخدعه وفي خلوته، أو أمام مديح الله. ومع ذلك تجده في حياته مع الناس بشوشاً لطيفاً، يكسب حبة الكل. يضع أمامه القاعدتين معاً.

افرحوا في الرب كل حين (في ٤ : ٤) .

وأيضاً بكآبة الوجه يصلح القلب « (جا ٧ : ٣) .

يستخدم كلاهما في الحين المناسب، وبالأسلوب الروحي.

الرحمة والعدل

هاتان الفضيلتان تلاقيتا على الصليب. كان الرب عادلاً ورحيماً. عادلاً دفع ثمن الخطية، ورحيماً اشفق على البشرية المحكوم عليها بالموت، فمات عنها. ولا تناقض إطلاقاً بين عدل الله ورحمته.

رحمته مملوءة عدلاً، وعدله مملوء رحمة.

هو عادل في رحمته، ورحيم في عدله.

إنها فضائل تتكامل ولا تتناقض. بغير بعض بنى البشر. يتحول عدل البعض إلى فسوة في غير رحمة. أو تتحول رحمته إلى استهانة بحقوق العدل، ولتشجيع الآخر على الخطأ، ولو عن غير قصد.

في هذا التكامل الذي شرحنا بعض صورته ، نلاحظ أمراً هاماً وهو :

خطورة الفضيلة الواحدة

كما نلاحظ خطورة استخدام الآية الواحدة في أمور اللاهوت والعقيدة ، كذلك خطورة الفضيلة الواحدة في الروحيات ...

فقد يسلك إنسان في الإلتضاع بغير حكمة ، فتتعب نفسه من معاملات الناس له ، ومن ضياع كرامته وفقدانه لاحترام الغير... ولا يكون السبب هو فضيلة التواضع ! وإنما عدم ارتباطها بالإفراز وبالفهم السليم .

كذلك إنسان مسئول عن عمل وإدارة ، قد يسلك في فضيلة التسامح والعتو عن المخطئين ، بأسلوب تضييع به إدارة العمل ، ويسوده التسبب واللامبالاة . ذلك لأنه فقد فضيلة العدل ، والحزم ، وظن أن المعاقبة خطية ...

والأمثلة على خطورة الفضيلة الواحدة عديدة جداً ...

والإنسان الروحي ينبغي أن يكون متكاملًا في فضائله .

يعرف كيف يستخدم كل فضيلة في الوقت المناسب لها . وكيف يستخدم الفضيلة الأخرى في مناسبة أخرى ... بغير تناقض ... بل بتكامل ...
يعرف متى يعفو ، ومتى يعاقب . و يكون روحياً في كلا الحالين .
يعرف متى يختلط بالناس ويخدمهم و يبتسم في وجوههم ، ومتى يهدأ إلى نفسه في وحدة وخلوة لا يقابل أحداً ...

يعرف متى ينتهر ومتى يعظ . ومتى يقول للخاطئة اذهبي بسلام .

يعمل العمل المناسب ، في الوقت المناسب ، وبالسبب الداعي إليه .



الباب الثالث عشر



الإنسان الروحي :

من صفاته : النجاح

أهمية النجاح وصفاته

كل نجاح هو سبب فرح ، لكثيرين .

فرح للشخص الناجح ، وفرح لأسرته وأحبائه ، وفرح للكنيسة كلها ، وربما للمجتمع بوجه عام ، وفرح للملائكة وأرواح القديسين ، والله نفسه ...

القديس يوحنا الرسول يرسل إلى تلميذه غايس ، فيقول له « أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة (٢٣يو ٢) .

والنجاح صفة من صفات الإنسان الروحي

هذا الذي يقال عنه في المزمور الأول « يكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها في حينه ، وورقها لا ينتثر . وكل ما يعمله ينجح فيه » (مز ١ : ٣) . وقد قيل عن يوسف الصديق « وكان الرب مع يوسف ، وكان رجلاً ناجحاً » « وكل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده » (تك ٣٩ : ٢ ، ٣) .

ونلاحظ هنا أنه نجاح في كل شيء .

« كل ما يعمله ينجح فيه » ... « كل ما يصنعه كان الرب ينجحه » ...

نعمة الرب لا تتخلي عنه في أى عمل ، فتكون كل أعماله ناجحة . كذلك فإن مقومات النجاح في شخصيته ، لا تفارقه في كل ما يمارسه من أعمال . فيكون ناجحاً في كل شيء . سواء في حياته الروحية ، أو في عمله ، أو في حياته العائلية ، أو في كافة معلوماته . ونضرب مثلاً لذلك :

يوسف الصديق : كان ناجحاً ومحجوباً ، في كل عمل :

في أسرته كان محجوباً من والديه ، حتى اعطاه والده قميصاً ملوناً . وكان ناجحاً في افتقار أخوته . وكخادم في بيت فوطيفار كان ناجحاً جداً ، ومحجوباً منه « فوكله على كل بيته ، ودفع إلى يده كل ما كان له » (تك ٣٩ : ٤) . ولما ألقى في السجن ، كان

أنجح سجين، فأحبه رئيس بيت السجن «ودفع إلى يده جميع الأسرى... ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما في يده... ومهما صنع كان الرب ينجحه» (تك ٣٩ : ٢٢ ، ٢٣). حتى أن المسجونين أيضاً كانوا يستشيرونه في أمورهم، كما فعل رئيس السقاة ورئيس الخبازين (تك ٤٠).

ولما صار وزير تموين لمصر، كان ناجحاً جداً، فأنقذ مصر من المجاعة، وانقذ معها كل البلاد المحيطة. وكان محبوباً من فرعون، فترك له كل شيء وصيره الثاني في المملكة (تك ٤١ : ٤٠ - ٤٤).

والنجاح يقدمه الكتاب باعتباره لونا من البركة.

وهكذا في (تث ٢٨) اصحاب البركة واللعنة، نجد النجاح بركة من الله، كما نرى الفشل من لعناته وعقوباته...

ويقدم لنا الكتاب أمثلة من الناجحين :

داود مثلاً، كان وهو فتى إنساناً ناجحاً، أمكنه أن ينتصر على جليات الجبار. وكان ناجحاً في طرد الروح الشريرة عن شاوول الملك (١ صم ١٦ : ٣٢). وقيل عنه إنه حيثما يخرج كان يفلح (١ صم ١٨ : ٥).

ونفس النجاح كان حليف دانيال في أرض السبي، فأعطاه داريوس الملك سلطاناً على كل أصحاب السلطة في مملكته. ونجح دانيال في ملك داريوس (د ٦١ : ٢٨).

ونحميا نجح مع ارتحسستا الملك، ونجح في بناء سور اورشليم. وكذلك زميله عزرا الكاتب. أيضاً زربابل الذي قال عنه الوحي الإلهي في سفر زكريا النبي «من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً» (زك ٤ : ٧).

وبولس الرسول مثلاً من أعظم الذين نجحوا في الخدمة.

وهنا يسأل البعض سؤالاً عكسياً :

ألا يوجد بعض من أولاد الله كانوا محطمين في حياتهم، ولم ينجحوا؟!!

أقول لك إن أولاد الله كثيراً ما تحيطهم المشاكل والضيقات والضعفات من الخارج (٢ كو ٥ : ٥). ولكنهم مع ذلك يكونون ناجحين في مقابلة الضيقات. لا

تهزم من الداخل ولا تعصرهم ولا ينهارون أمامها . بل كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه في الخدمة « كحزاني ، ونحن دائماً فرحون ... كأن لا شيء لنا ، ونحن نملك كل شيء » (٢ كور : ١٠) .

البداية والنهاية

وهنا أحب أن أضع قاعدة هامة في النجاح وهي :

لا تهتموا بالبداية ، إن بدت فاشلة .

فالمهم أن تكون النهاية هي النجاح .

★ يوسف الصديق مثلاً ، كانت تبدو بداية حياته ضائعة باستمرار: من إلقاءه في بئر جاف ، إلى بيعه عبداً ، إلى تهمة ظالمة دبرت ضده أُلقت به في السجن ... ولكن المهم أن النهاية كانت طيبة إلى أبعد الحدود ... فلا نحكم إذن بالبدايات ...

★ القديس أثناسيوس الرسولي كانت بدايات حبريته متعبة جداً فيها قويت شوكة الأريوسيين ، واستطاعوا أن يدبروا مكائد ضده ، ويحاكموه وينفوه بالاتفاق مع السلطة الحاكمة . وعزل عن كرسيه أربع مرات ... ومع ذلك انتهت حياته كبطل عظيم من أبطال الإيمان ، استطاع أن يقف ضد العالم كله وينتصر .

★ داود النبي : بدأ حياته ، وبعد المسحة المقدسة وبعد انتصاره على جليات ، مضطهداً من شاوول الملك ، مشرداً من برية إلى أخرى ، حتى ظن أنه لا بد سيقع في يد شاوول في يوم ... ولكن كل تلك البدايات المتعبة انتهت ، وانتصر داود أخيراً .

★ السيد المسيح نفسه ، في فترة تجسده على الأرض : كيف كانت البداية : ضيقات كثيرة ، منها قتل هيروودس للأطفال ، والهرب إلى مصر . وبدأت خدمته بمضايقات من زعماء اليهود ومؤامرات وصلت إلى صلبه ... المهم في النهاية : القيامة والصعود ، والجلوس عن يمين الآب ، وانتشار الإيمان ...

★ موسى مع فرعون : كانت البداية قد أنت بنتيجة عكسية . فاشتد فرعون

بالأكثر. وتضايق الشعب وتدمروا على موسى وهرون، وقالوا لهما «ينظر الرب إليكما ويقضى، لأنكما أنتنما رائحتنا في عيني فرعون..» (خر ٥ : ٧) ... وعشر ضربات يستخدمها الرب ضد فرعون، والرجل في نفس قسوته لا يلين.. وحتى الشعب، تدمر لما خرج فرعون وراءهم. وقالوا لموسى «هل لأنه ليست قبور في مصر، أخذتنا لنموت في البرية؟!» (خر ١٤ : ١١) ... ومع كل تلك البدايات المتعبة لم يضعف إيمان موسى مطلقاً... ونجح أخيراً في انقاذه من عبودية فرعون...

هذا كله لا تتعبوا مطلقاً، إن لم تحصلوا على النجاح في بداية الطريق. واذكروا باستمرار قول الكتاب:

«بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١ : ١٩).

إن النجاح يحتاج إلى صبر وإلى مثابرة. والإنسان الذى يدركه الملل والضجر والضيق ولا يستمر... هذا لا يستطيع أن ينجح... انتظر الرب حتى يجيء لمعونتك، ولو في الهزيع الأخير من الليل...

كل عمل عمله لا تقلق على نتيجته... انتظر الشمرة حتى تنضج، وحينئذ تجدها في يدك، بغير صعوبة...

أهم صفة للإنسان الناجح، أن يكون ناجحاً من الداخل.

ناجحاً في قلبه، وفي عقله، وفي أعصابه، وفي إرادته. وقبل كل شيء ناجحاً في صلته بالله... يكون ذا نفسية قوية، لا تتزعزع ولا تضطرب ولا تخاف.

يسير في طريقه، كسهم نحو هدف.

مهما هاجت الأمواج على سفينته، حتى ان انقلبت الجبال في وسط البحار، هو هو لا يضعف، ولا يفشل من الداخل. ولا يفقد إيمانه في إمكانية النجاح على الرغم من كل العراقيل، التي تحاول أن تسد الطريق قدامه...

الإنسان الناجح، ينجح مهما كانت العقبات والصعاب.

بل يجد لذة في الانتصار على تلك العقبات بنعمة من الله، ونجاحه على الرغم من

الصعاب، تكون له لذة أكبر، ويعطى خبرة روحية عميقة في عمل يد الله معه ...
مرقس الرسول كانت أمامه صعاب لا تحصى في كرازته لمصر: لم تكن فيها
كنيسة، ولا شعب مؤمن بالمسيحية. وكانت هناك ديانات عديدة: الديانات الفرعونية
واليونانية والرومانية والشرقية، والديانة اليهودية، والفلسفة الوثنية... إلى جوار السلطة
الحاكمة الرومانية بكل بطشها... وعلى الرغم من كل هذا، نجح مرقس الرسول في
نشر الإيمان بالمسيح في مصر.

مشكلة نجاح الأشرار

لعل البعض تتعبه هذه المشكلة التي أزعجت أرميا النبي في وقت ما، فعاتب الله
قائلاً «أبر أنت يارب من أن أخاصمك. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا
تنجح طريق الأشرار. اطمأن كل الغادرين غداً؟!» (أر ١٢: ١).

نجاح الأشرار هو نجاح زائف، ومؤقت، وبطرق شريرة.

★ هيروودس الملك ظن أنه نجح لما قتل كل أطفال بيت لحم. ولكنه كان نجاحاً
زائفاً. فالشخص الوحيد الذي أراد قتله، كان حياً لا يموت. كما أن وسيلة هيروودس
كانت خاطئة.

★ هيروودس الذي أتى بعده، قتل يوحنا المعمدان. فهل نجحت هيرووديا وسالومي
وهيروودس بقتل يوحنا، أم كان نجاحاً زائفاً ومؤقتاً، ظل بعده هيروودس منزعجاً من
يوحنا حتى بعد قتله (مت ١٤: ١، ٢). وانتهى أمر هيروودس بأن ضربه الملاك
فمات وأكله الدود (أع ١٢: ٢٣).

★ أخاب استطاع أن يقضى على نابوت اليزرعيلي ويدبر له مؤامرة ويقتله ويستولى
على حقله (١ مل ٢١). وكان نجاحاً مؤقتاً وزائفاً وأثيماً. وبعده أتى غضب الله على
أخاب وكان كلام الرب: «في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلي،
تلحس دمك» (١ مل ٢١: ١٩).

★ اليهود ظنوا أنهم تخلصوا من المسيح بصلبه، ونجحت مؤامرتهم وأتت بنتيجتها
وصلبوا المسيح. وكان نجاحاً زائفاً ومؤقتاً، انتهى بمجد القيامة...

★ هامان ظن أنه قد قضى على مردخاي ، ودبر له المؤامرة ، وأعد له صليباً . وكاد أن يقضى لا على مردخاي وحده ، وإنما على الشعب كله . وتدخل الله أخيراً بعد الصوم الذي أمرت به استير الملكة . وتحول الموقف إلى العكس تماماً . وصلب هامان على نفس الصليب الذي أعده لمردخاي (إس ٧ : ١٠) .

★ القديس أوغسطينوس قال إن الأشرار كالدخان الذي يرتفع وتوسع رقعته ، وفي كل ذلك يتبدد .

أما النار فتبقى تحت ، لا تعلق مثل الدخان . ولكنها تظل في قوتها وحرارتها وفعاليتها ، لا تتبدد مثله في ارتفاعه ...

كذلك فإن نجاحهم في أمور مادية عالمية ، ليس نجاحاً بالحقيقة . قارن في ذلك مع قصة الغنى ولعازر (لو ١٦) . ومع قصة الغنى الذي اتسعت كورته ، فقال «أهدم مخازني وأبنى أعظم منها ... وأقول لنفسي استريحى وكلى واشربى ..» (لو ١٢ : ١٦-٢٠) .

إن النجاح الحقيقي هو النجاح الروحي .

وإن كان في الماديات ، يكون بأسلوب روحي .

لذلك لا تغر من الأشرار إذا نجحوا . وبخاصة إن كانت وسائل نجاحهم بعيدة عن الله ... كمن يلجأ إلى الكذب والمكر والحيلة ... أو إلى الغش ... أو إلى الرشوة ... أو إلى التملق والنفاق والرياء والمحسوبية ... أو التاجر الذي يحتكر الأسواق . ويبالغ في الأرباح . وينجح مالياً ، ويفشل روحياً . هؤلاء ينطبق عليهم قول الرسول :

« مجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٩) .

وقال عنهم أيضاً نهايتهم الهلاك :

ومن أكبر الأمثلة على النجاح الزائف : الشيطان وجنوده .

★ الشيطان حينما يحل من سجنه ، سيخرج « ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض » (رؤ ٢٠ : ٧) . ويحاول أن يضل لو أمكن المختارين أيضاً « (مت ٢٤ : ٢٤) .. فهل نجح الشيطان؟! »

★ وقيل عن الوحش أنه «اعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم»
(رؤ ١٣ : ٧) . فهل نجح الوحش بعد هذه الغلبة المؤقتة .

لقد حسم الكتاب هذا الأمر فقال «وابليس الذي كان يضلهم ، طرح في بحيرة النار، حيث الوحش والنبي الكذاب ، وسيعذبون نهراً وليلاً إلى أبد الأبدين»
(رؤ ١٠ : ٢٠) .

★ كذلك ضد المسيح «المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً» «الذي مجيئه يعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين»
الذي سيتسبب في ارتداد الكثيرين (٢ تس ٣ - ١٠) . ونجاحه أيضاً مؤقت وزائف شرير . وسوف يبده الرب بنفخة فمه (٢ تس ٢ : ٨) .

مقومات النجاح

★ أول شيء هو البركة وطاعة الوصية .

كما قيل عن يوسف الصديق في نجاحه «وكان الرب معه ، فكان رجلاً ناجحاً»
(تك ٣٩ : ٢) . وكل ما كان يصنعه ، كان الرب ينجحه» (تك ٣٩ : ٣) .

ابحث عن النجاح الذي يأتيك من الله ، من شركة الله معك في عملك ، أو من هبة الله لك ، أو من مكافأة الله لك على طاعتك لوصاياه ...

وتذكر قول الله ليشوع بن نون «لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه النهار والليل ... لكي تحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ، لأنك حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح» (يش ١ : ٨) .

★ اهتم قبل كل شيء بالنجاح الروحي .

نجاحك في حروبك ضد الشياطين ، وفي انتصارك على نفسك من الداخل . ونجاحك في التخلص من عاداتك الرديئة ، ومن كل ضعفائك ونقائصك وسقطاتك ... كذلك نجاحك في عدم مقابلة الشر بالشر، إنما كما قال الكتاب «لا يغلبك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢١) ..

نجاحك في ضبط لسانك، في ضبط حواسك، في ضبط مشاعرك، في ضبط أعصابك... هذا هو النجاح الحقيقي.

* النجاح أيضاً يحتاج إلى قلب قوى. يحتاج إلى شخصية غير ضعيفة... إلى إنسان لا تهزمه المشاكل، بل هو الذى ينتصر عليها. ولا ينزعج أمامها ولا يخاف. كما قال داود النبى «إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن» (مز ٢٦) ... الفكر الهادىء، والأعصاب الهادئة، والنفس الهادئة... كل هذه من مقومات النجاح...

* * *

* النجاح أيضاً يحتاج إلى حكمة وذكاء.

فكثيرون يفشلون في حياتهم الروحية أو المادية أو العائلية أو في معاملاتهم، بسبب نقص في الحكمة وحسن التصرف، أو بسبب عدم افراز في السلوك الروحى. أمثال هؤلاء يحتاجون إلى إرشاد، وخضوع لأبوة واعية حكيمة. ويحتاجون إلى صلاة لكي يرشدهم الرب في طريقه، ويمنحهم حكمة من فوق من عند أبى الأنوار...
* والنجاح أيضاً يرتبط بعدل إلهى يقول:

الذى يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً (غل ٧: ٧).

* النجاح أيضاً يحتاج إلى إيمان وصلاة.

وهكذا كما قال الرب «كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣). وكما قال القديس بولس الرسول «استطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤: ١٣). لذلك التصق بالرب، وكن معه، ليكون هو أيضاً معك، ويمنحك بركة من عنده. ومن بركاته النجاح..

اطلب معونة الرب باستمرار، وهو يساعدك على النجاح...

* لكي تكون ناجحاً، اصمد حتى النهاية.

وإن فاتتك فرصة فالتمس غيرها. وإن هاج عليك الشيطان، وكل جنده، ودبروا كل مكائدهم لكي تفشل... لا تخف، وقل مع المرتل فى المزمور «لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء... مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم.

الإنسان الناجح لا ييأس أبداً ، حتى إن فشل في الخطوات الأولى ، فإنه يعود و يقوم ...
كما قيل عن الصديق إنه يسقط سبع مرات و يقوم (أم ٢٤ : ٣١) . أى مهما سقط يقوم .

★ لكى تنجح ، ضع أمامك دائماً سير الناجحين .

وذلك لكى يكونوا مثلاً علياً أمامك تقتدى بهم ، ولكى تعرف وسائل نجاحهم فى
الحياة ، وأسلوب ذلك النجاح ومظاهره ...

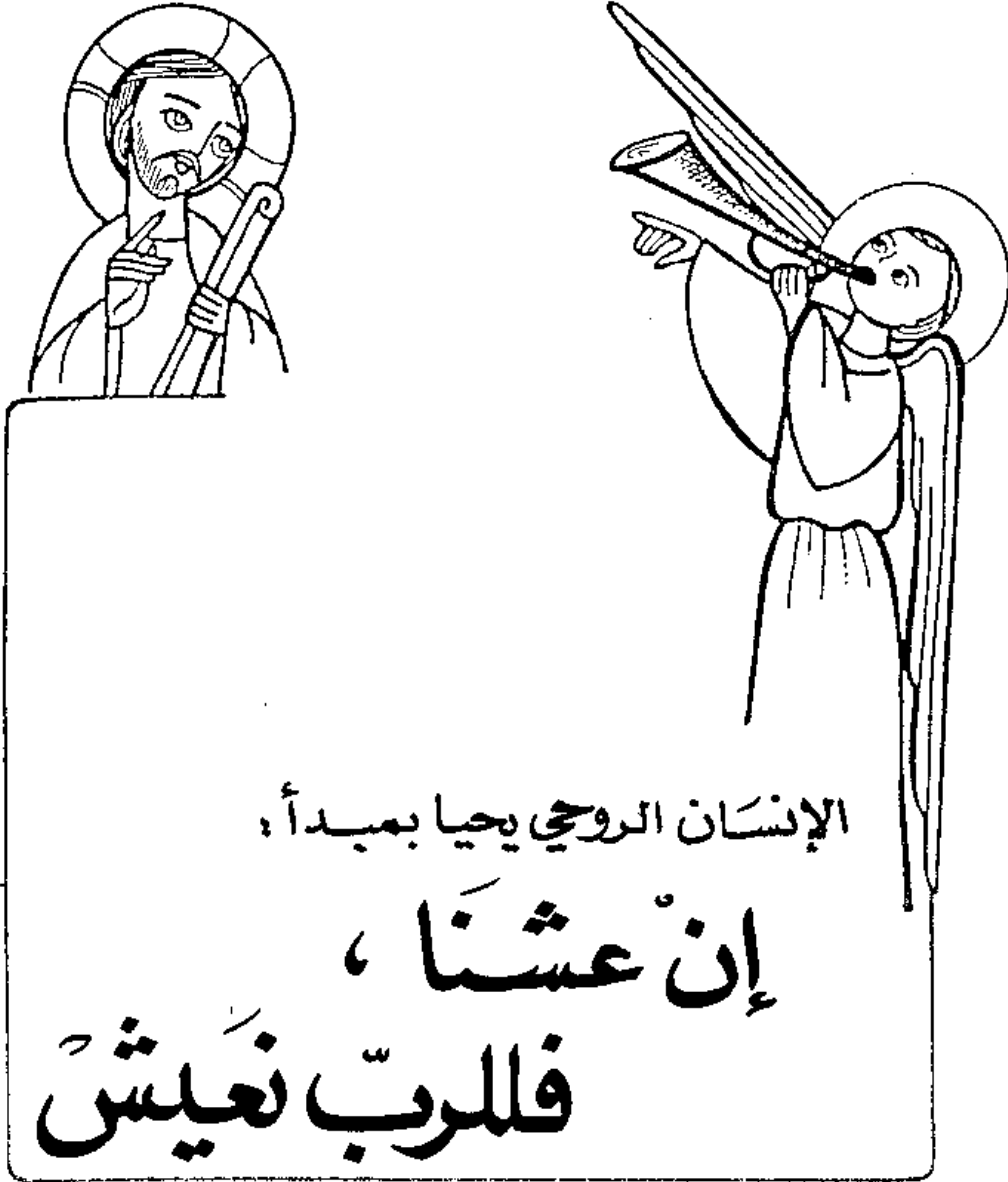
سواء فى ذلك أمثلة النجاح فى كل نواحي الحياة : الروحية ، والإجتماعية ، والعائلية ،
والحياة الخاصة ... ولا تنس تأثير سير القديسين .

تذكر أنك صورة الله . والذى على صورة الله يكون ناجحاً .

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، فالذى
على صورة الله ، يكون « كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه .
وكل ما يفعله ينجح فيه . وهكذا قيل عن يوسف الصديق « وكان الرب مع يوسف .
فكان رجلاً ناجحاً » (تك ٣٩ : ٢) .

قل لنفسك : إذا لم أنجح فى حياتى ، فلا شك أكون فاقداً لصورتى الإلهية ، بل أفقد أيضاً
الكمال الذى طلبه منا الرب قائلاً « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو
كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

هذا من الناحية الإيجابية . أما من الناحية السلبية ، فلا تنس أنك إذا لم تكن ناجحاً فى
حياتك ، فبالتالى ستكون عشرة فى كل وسط تعيش فيه ، سواء فى وسط العائلة ، أو فى
الكنيسة ، أو فى الخدمة ، أو فى محيط العمل . ستعثر الناس الذين سوف يتساءلون متعجبين :
أهكذا يكون أولاد الله !؟



كتب القديس بولس الرسول إلى أهل رومية يقول « إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت . فإن عشنا أو متنا ، فللرب نحن » (روم ١٤ : ٨) .

ليس المهم إذن أن نحيا أو نموت ، إنما المهم أن نكون للرب في حياتنا وفي موتنا .

إن أكلنا ، فللرب نأكل ، لكي نأخذ طاقة للجسد نستطيع بها أن نعمل ما يرضيه ، وإن صمنا ، فللرب نصوم ، لكي تقوى الروح ، وتكون في صلة قوية بالله . إذن طاقة الجسد من أجله ، وقوة الروح من أجله . تماماً كما قال الرسول « فمجدوا الله في أجسادكم ، وفي أرواحكم ، التي هي الله » (١ كور ٦ : ٢٠) .

* * *

كذلك إن تكلمنا ، فللرب نتكلم . وإن صمتنا فللرب نصمت .

من أجله نتكلم ، ومن أجله نصمت . من أجله نتكلم ، فنشهد للحق وللإيمان وللملكوت ، ونعلن وصاياها للناس ، ونعزى الآخرين ونقويهم ، وننطق بكلام الحكمة النافع للبنيان ... وكما قال الكتاب « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) . ومن أجل الله نصمت ، عاملين بقول الكتاب « كثرة الكلام لا تخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل » (أم ١٠ : ١٩) . نتكلم حينما يفتح الله شفاهنا ، فننطق أقواها بتسبحة (مز ٥٠) . ونصمت حينما نخشى الخطأ ونقول « ضع يارب حارساً لفمي ، احفظ باب شفتي » (مز ١٤١ : ٣) .

* * *

كل عمل نعمله ، من أجل الله نعمله ... نعمله له ، ومعاه ، وبه ...

نعمله له ، لأجل ملكوته ، ولجد اسمه . ونعمله معه ، في شركة الروح القدس الذي يشترك معنا في العمل ، ونعمله به ، أي بنعمته وقوته ومعونته ، وهكذا لا يكون

أى عمل من أعمالنا مستقلاً عن الله ... ذلك لأننا للرب نعيش . لا لأنفسنا ، ولا للعالم ولا لأهداف خاطئة كما يحدث للبعض ...

أَهْدَافٌ خَاطِئَةٌ

هناك أشخاص يعيشون لذواتهم فقط ، وبطريقة خاطئة :

كل ما يريده في الحياة ، هو أن يبني ذاته ، ويمتد ذاته وليته يفعل ذلك بطريقة روحية وإنما بأسلوب مادي أو عالمي أو جسدي ! وفي سبيل ذلك قد يضع الآخرين ، إذ يزيحهم من طريقه ليبقى هو... والأعجب من ذلك ، أنه فيما يحاول أن يبني نفسه ، يضعها ويهلكها . كما قال السيد له المجد :

« من وجد حياته يضعها . ومن أضاع حياته من أجل يمجدها » (متى ١٠ : ٣٩) .

وهكذا تحدث السيد الرب عن إنكار الذات (متى ١٦ : ٢٤) ، وعن بذل الذات «(يو ١٠ : ١١) (يو ١٥ : ١٣) . إن مشكلة الغنى الغبي هو أنه أراد أن يتمتع ذاته على الأرض «بخيرات كثيرة» (لو ١٢ : ١٩) . ومشكلة غنى لعازر أنه كان «يتنعم كل يوم مترفهاً» (لو ١٦ : ١٩) . وسليمان الحكيم جرب كل متع العالم ، فإذا الكل باطل وقبض الريح (جا ٢ : ١١) ... إن الذي يعيش لنفسه فقط ، هو شخص أناني . وقد صدق المثل القائل :

ما عاش قط ، من عاش لنفسه فقط .

ينبغي أن توضع الذات في آخر القائمة ، حينما نرتب الأولويات . فنقول الله أولاً . ثم الآخرين . ثم الذات . على أن هذا الترتيب لا يكون سليماً ، إن كانت فيه انفصالية . فالعمل لأجل الآخرين ، والعمل لأجل الذات ، ينبغي أن يكون كلاهما داخل الحياة لأجل الله ، وليس منفصلين عنه . وهكذا يكون الله هو الكل في الكل (١كو ١٥ : ٢٨) .

* * *

وقد يقول إنسان : أنا أعيش لأجل أولادي .

من أجلهم يعمل ويتعب ويشقى . ومن أجلهم يكتنز مالاً ، ليركز لهم ميراثاً .
والعناية بالأولاد واجب مقدس . ولكن الخطأ هو أن يركز الإنسان على أولاده ،
ويهمل واجباته تجاه الآخرين وتجاه الله ! فيهمل نصيب الله في ماله ، ونصيب الفقراء
أيضاً ، ويجعل الكل لأولاده ، يقول سليمان الحكيم « فكرهت كل تعبى الذى تعبت
فيه تحت الشمس . حيث أتركه للإنسان الذى يكون بعدى . ومن يعلم هل يكون
حكيماً أو جاهلاً ! ويستولى على كل تعبى الذى تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتى ...
هذا أيضاً باطل (جا ٢ : ١٨ ، ١٩) .

إن الخير الذى يحسب لك عند الله ، هو الخير الذى تفعله أنت ، وليس الذى
يفعله أولادك ...

إذن أهتم بأولادك ، واهتم بباقي الناس أيضاً . عش لأولادك ... وعش للمجتمع
كله ... بحيث تحب أولادك ، وتعطيهم من تعبك وكذك . وتحب أيضاً الفقراء
والمحتاجين ، وتعطيهم من تعبك وكذك . وتحب المجتمع كله ، وتخدمه ، وتبذل لأجله ،
وتحب الكنيسة وتخدمها وتكون محبتك للكل هى داخل محبتك لله ...

* * *

ولا تكن لك محبة خاطئة ، خارج محبة الله ، ولا محبة طاهرة أزيد من محبتك
لله ...

فهذا الرب يقول « من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب
ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى » (متى ١٠ : ٣٧) . وهكذا يكون الحب كله
لله ، والقلب كله لله ، ومحبة الأولاد والناس داخل محبة الله . وتكون محبتك الأولى
لأولادك ، هى أن تجعلهم يعرفون الله ويحبونه ، حتى تستطيع أن تقول له كما قال
السيد « عرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به » « الكلام
الذى أعطيتنى قد أعطيتهم » (يو ١٧ : ٢٦ ، ٨) .

* * *

لا تجعل لله منافساً في قلبك ، سواء كان المنافس شخصاً أو شيئاً .

لهذا نرى الرب قد شبه القديسين بخمس عذارى حكيما (متى ٢٥) . ذلك لأن
العذراء ليس لها تعلق بإنسان آخر . وعذراوية القلب تعنى أنه ليس له تعلق بشهوة

أخرى غير الإلتصاق بالرب . وهكذا قال القديس بولس الرسول «خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كور ١١ : ٢) . أنظروا إلى داود النبي والمملك - على الرغم مما يحيط به من كل عظمة الملك ورفاهيته - نراه يقول :

« أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب » (مز ٧٣ : ٢٨) .

ويقول للرب « معك لا أريد شيئاً على الأرض » (مز ٧٣ : ٢٥) . إنه بهذا يصل إلى فضيلة «الاكتفاء بالله» فيقول «ولا يعوزني شيء» (مز ٢٣ : ١) . وحينما عبر عن الرغبة التي تشبع قلبه ، لم يلتفت إلى رفاهية الملك، وإنما قال «واحدة طلبت من الرب وإياها أتمسك : أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله» (مز ٢٧ : ٤) . ولذلك قال « طلبت وجهك ، ولوجهك يارب أتمسك . لا تحجب وجهك عني» (مز ٢٧ : ٨ ، ٩) . كانت هذه هي الطلبة الوحيدة التي للملك العظيم داود...

* * *

الذى يعيش للرب ، لا تهمة الأوضاع الخارجية، بل يعيش للرب في أى وضع ، وفي كل موضع .

ولعل من الأمثلة الواضحة في هذا الأمر : يوسف الصديق كان يعيش للرب وهو ابن في اسرة . فتغير وضعه إلى عبد في بيت رجل ثرى ، فظل يعيش للرب في وضعه الجديد . تغير وضعه أيضاً إلى سجين ، ثم إلى وزير . ولكن الأوضاع الخارجية لم تؤثر على علاقته بالرب إطلاقاً . إنه يعيش للرب كإبن ، أو كعبد ، أو كسجين ، أو كوزير . إنه هو هو . يتغير الوضع والموضع . أما هدفه الوحيد أن يعيش للرب ، فهو هدف لا يتغير .

نقول هذا لأن أناساً يرفضون أن يعيشوا للرب ، إلا إذا كان لهم وضع

معين ... !

إما أن يكون لهم في الكنيسة مركز خاص ، وإلا فإنهم يغضبون وينزلون ويرفضون أن يعملوا ... ! إما أن يعاملهم الله معاملة خاصة ، ويدلهم بأسلوب معين ، وإلا يتخذون من الله موقفاً مضاداً ... ! وهكذا يشترطون شروطاً للمعيشة مع الله ! ... وإلا يتركونه ... ما هذا يا أخى ؟! لنفرض حتى أنهم طردوك من الكنيسة ، أترفض

لهذا السبب أن تعيش مع الله ؟

ينبغي أن تكون للحياة مع الله أهمية كبرى في قلبك، لا تتخلى عنها مهما كانت الأسباب والدوافع والظروف المحيطة .

لماذا نعيش للرب ؟

أولاً : لأننا خلقته . هو الذى منحنا هذه الحياة :

وهكذا أصبحنا له . وهذه الحياة هى أيضاً له . كان يمكن أن لا نوجد، ولكنه أوجدنا . منحنا هذا الوجود، فصرنا له ... إن عشنا للرب نعيش ... وبخاصة لأنه خلقنا، كشبهه، وعلى صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦) ... ولا يمكن أن نحتفظ بهذه الصورة، إلا إذا عشنا له ومعه .

ثانياً : لأنه فدانا ، واشترانا بثمن ، فصرنا له .

وفى هذا يقول الرسول « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله . وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتهم بثمن . فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

ثالثاً : لأننا أولاده ... دعى علينا إسمه ...

فينبغي أن نعيش له ، لأنه بهذا « أولاد الله ظاهرون » (١ يو ٣ : ١٠) . يعيشون له ، وبهذا لا يخطئون . لأن « كل من هو مولود من الله لا يخطئ » « لا يستطيع أن يخطئ » ، لأنه مولود من الله » (١ يو ٣ : ٩) . إن لم نعش له ، وعشنا لأنفسنا أو للعالم أو للجسد أو للمادة، حينئذ سنخطئ ، ولا نصير أولاداً لله ... فنحن نعيش لله، لكى نحتفظ بينوتنا له، ولكى نحتفظ بصورته . فالإبن الضال قال له « لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً » (لو ١٥ : ١٩) .

رابعاً : نعيش للرب ، لأن هذه هى الحياة الحقيقية .

الله هو الحياة (يو ١١ : ٢٥) (يو ١٤ : ٦) . من يلتصق به، يلتصق بالحياة،

ويكون حياً بالحقيقة . ومن ينفصل عنه يعتبر ميتاً ، مهما كانت له حياة بالحقيقة...
وقد قيل عن الابن الضال أنه - في حالة خطيته - « كان ميتاً » (يو ١٥ : ٢٤) . وقال الرب
لراعى كنيسة ساردس « أن لك اسماً أنك حي ، وأنت ميت » (رؤ ٣ : ١) . المفروض إذن
أن نفهم المعنى الحقيقي للحياة ، وأنه هو أن نعيش للرب . في هذا أتذكر أنني وأنا شاب صغير
كتبت مرة قصيدة عنوانها « أحقاً نحن أحياء » !؟

★ ★ ★

لنتنا إذن نذوق الحياة مع الرب ...

كما قال المرتل في المزمور « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب » (مز ٣٤ : ٨) . الذى
يذوق هذه الحياة ، يشعر بلذتها ، ويرى أنه حينما يعيش للرب ، إنما يحيا الحياة الطيبة
المثلى المشتهاة ، وأن ذلك أفضل جداً (فى ١ : ٢٣) . بل أن هذه الحياة مع الرب هى
عربون الحياة الأبدية السعيدة .

نعيش للرب هنا ، لكى نستحق أن نعيش معه فى الأبدية السعيدة

كيف نعيش للرب ؟

ليس معنى ذلك حياة التكريس الكامل .

مثل حياة الرهبان والراهبات ، ورجال الكهنوت ، وكل المكرسين والمكرسات ...
فليس الجميع مكرسين للرب ، بينما هذه الآية « إن عشنا فللرب نعيش » هى
للجميع ، لكل مؤمن ، لكل عضو فى مدينة الله ، لكل مؤهل للملكوت .

وأيضاً لا نعيش للرب ، بالعبادة الشكلية ...

فكثيرون يواظبون على الصلاة والصوم والقراءة والاجتماعات الدينية ... ولهم علاقة
بالكنيسة ، ولكن ليست لهم علاقة بالله . لا يعيشون معه ، ولا يعيشون له ... وكأن كل
عبادتهم مجرد مظاهر خارجية لا ترقى إلى مستوى المعيشة مع الله . وعن هؤلاء قال
الرب « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (متى ١٥ : ٨)
(اش ٢٩ : ١٣) . عليك إذن أن تعيش للرب ، بالقلب والعمل ، بالروح والحق
(يو ٤ : ٢٣) . فتشعر فى عبادتك بوجود الله فى حياتك ، وبوجودك فى حضرته ، وصلتك

به ...

إن الذى يعيش للرب ، يظهر ذلك فى فضائل كثيرة يحياها ، أو تتميز بها حياته :

إنه يحيا حياة التسليم وحياة الطاعة . لأنه فى معيشته للرب ، يسلم له حياته ومشيته . وبالتالي يحيا حياة الطهارة والنقاوة ، وحياة الحب التى ينفذ فيها وصايا الرب عن حب لا عن غضب ... فيقول للرب مع المرتل « فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة » (مز ١١٧) « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢٢ : ١) . وهكذا يعيش فى حياة الفرح بالله .

والذى يعيش للرب ، يحيا فى العالم كغريب .

إنه « ليس من هذا العالم » (يو ١٥ : ١٥) . يضع أمامه قول الرسول : « .. والذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة العالم تزول » (١ كو ٧ : ٣١) . وهكذا عاش آباؤنا « أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » (عب ١١ : ١٣) ... إنهم يعيشون للرب . أما العالم فيبيد وشهوته معه (١ يو ٢ : ١٧) . ماشأنهم إذن به ؟! قال أحد الآباء :

خير الناس من لا يبالي بالدنيا فى يد من كانت .

وهكذا فإن الذى يعيش للرب ، سيصل بالضرورة إلى الزهد فى الدنيا (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٦) . والناس فى هذا الزهد على درجات متفاوتة ... والذى يعيش للرب لا يهتم ويضطرب لأجل أمور كثيرة ، كما كانت تفعل مرثا (لو ١٠ : ٤١) . متيقناً أن الحاجة إلى واحد وهو الله . والبعض الذى يختار هذا النصيب الصالح ، قد يصل إلى حياة التكريس .

والذى يعيش للرب ، لا يخاف الموت ، بل يقابله بفرح :

وهذه النقطة تنقلنا إلى الجزء الثانى من الآية وهو « وإن متنا ، فللرب نموت » ...

مَامَعَنِي : لِلرَّبِّ نَمُوتُ ؟

نموت له ، لكي نلتقى به ، «ونكون كل حين مع الرب» (١ تس ٤ : ١٧) ...

لذلك فالذى يعيش للرب ، يسر أن يخضع هذا الجسد ، ويلبس عدم الفساد ، ويلبس الجسد الروحاني السماوى (١ كو ١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . ويكون كل حين مع الرب . وهذا هو الذى اشتهاه القديس بولس الرسول حينما قال «لى اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذلك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) ... نكون معه فى الفردوس ، وفى أورشليم السمائية ، فى الملكوت ، حسب وعده الصادق «حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤ : ٣) .

نموت له ، لكي نراه وجهاً لوجه (١ كو ١٣ : ١٢) .

وكما قال الرسول «إننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه . الآن اعرف بعض المعرفة ، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١ كو ١٣ : ١٢) .

* * *

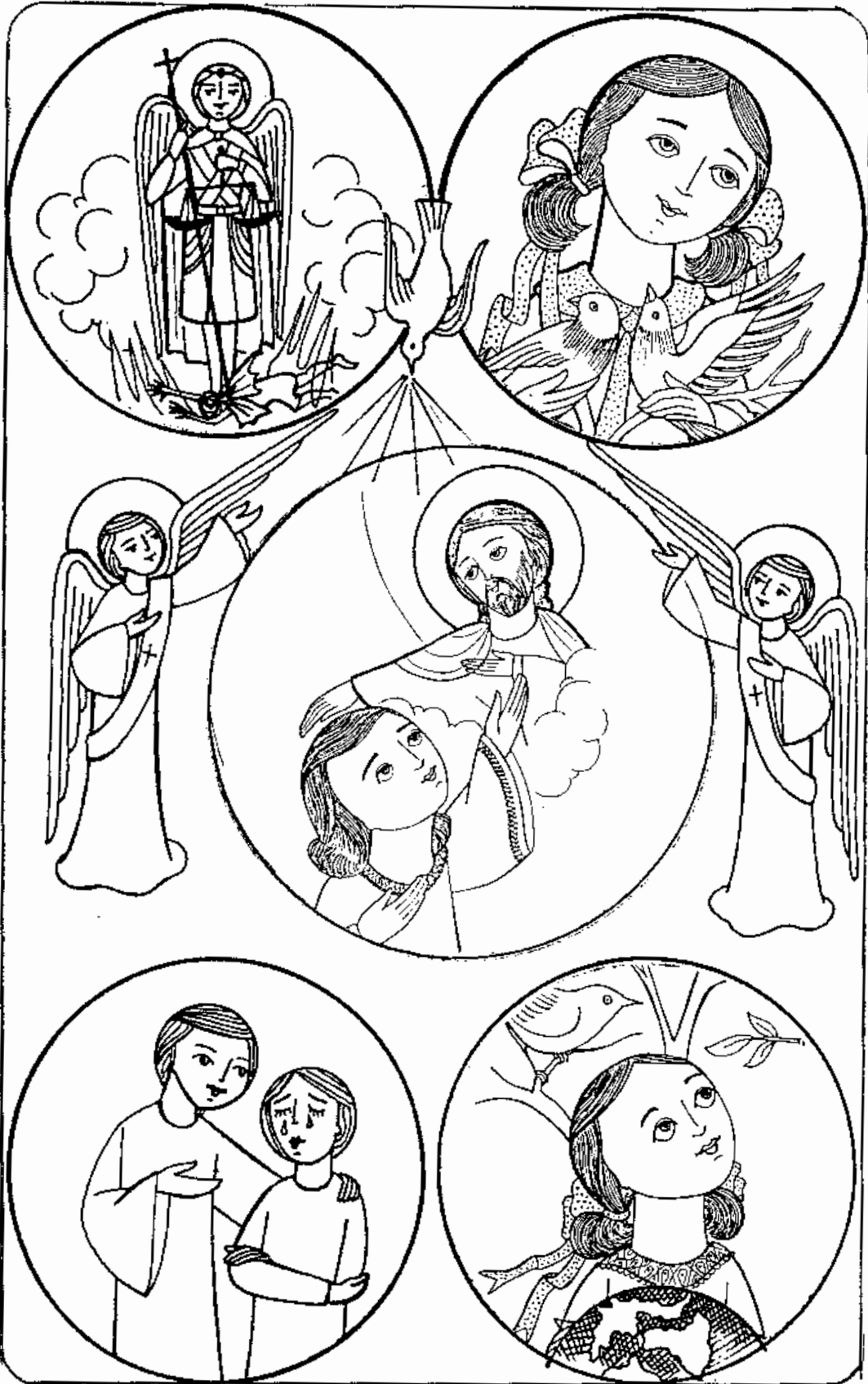
نموت له ، تعنى أيضاً أن نموت من أجله .

كما مات الشهداء وكل المدافعين عن الإيمان . وأيضاً كما قال الرسول «لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت . إذن الموت يعمل فينا» (٢ كو ٤ : ١١ ، ١٢) . أو كما قال الكتاب «لتمت نفسى موت الأبرار . ولتكن آخرتى كأخرتهم» (عد ٢٣ : ١٠) .

* * *

أخيراً ، ليتنا نجرب أن نعيش للرب ، لكي نموت أيضاً له .

نجرب أن نعيش للرب ، ولو يوماً كتدريب (اليوم المثالى) الذى كان يعطى لنا ، ونحن شباب ... وإن نجحنا فى هذا التدريب نكثرون منه . ولنتأمل مثال اللص اليمين . إنها ساعات عاشها مع الرب ، ثم مات معه ، ونال الفردوس . كذلك مثال القديسة بائيسة . لعلها ساعات أو أقل عاشتها معه فى توبتها ، ونالت الحياة ... فلنبداً إذن أن نعيش للرب .





الليك الحاشي عشر



حياة الغلبة والانتصار

نحن أعضاء الكنيسة المجاهدة على الأرض ، نجتاز هنا فترة اختبار نتعرض فيها لحروب روحية كثيرة، شرحها القديس بولس الرسول فقال «إن مصارعنا ليست مع لحم ودم، بل... مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦ : ١٢) . وقال إنها حرب تحتاج إلى «سلاح الله الكامل، لكي نقدر أن نثبت ضد مكاييد ابليس» (أف ٦ : ١١) .

إن الله يريدنا أن ننتصر في هذه الحرب . والسماء كلها ترقب جهادنا، وتفرح إذ ترانا غالبين .

الملائكة وأرواح القديسين في السماء، يصلون لأجلنا لكي ننتصر، «ويكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب» (لوقا ١٥ : ٧) . كذلك نعمة الله تعيننا لكي ننتصر، وروح الله يعمل فينا لكي نغلب... أما إن سقطنا وانهزمنا، فإننا بهذا نحزن روح الله القدوس الذي خُتمنا به» (أف ٤ : ٣٠) .

* * *

الإنسان الروحي هو إنسان منتصر .

لأن روحه قد انتصرت على شهوات الجسد، وقد انتصرت في حروب الشياطين . وقد غلبت العالم والمادة . روحه تزفها الملائكة بتهليل إلى السماء، حينما تأتي ساعته . والإنسان الروحي ينتصر، لأنه إنسان قوى، يعمل فيه روح الله بقوة . وقد صارت إرادته في تسليم كامل لإرادة الله .

الإنسان الروحي لا يحاول أن ينتصر على غيره .

لأنه يجب عليه، ويقدمه على نفسه في الكرامة (رو ١٢ : ١٠)، بينما يأخذ هو المتكأ الأخير (لوقا ١٤ : ١٠) . إنه يجب أن ينتصر على الشر، وليس على الأشرار . يجب

أن ينتصر على نفسه، وليس على الآخرين. وهو لا يجب أن ينتصر على الضعفاء والمخطئين، بل بالأكثر أن يحتملهم. كما قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء» (رو ١٥ : ١).

هناك مجالات كثيرة ينتصر فيها الإنسان الروحي :

★ إنه ينتصر أولاً على نفسه .

ينتصر في الداخل أولاً ، لأن انتصاره الداخلي هو الذي يساعده في الانتصار على الحروب الخارجية .

الابن الضال (لو ١٥) لم يستطع أن يرجع إلى أبيه ، إلا بعد أن انتصر من الداخل ، ولم تعد له شهوة في الكورة البعيدة ، بل شعر فيها بسوء حالته ...

ومن أعظم الأمثلة على الانتصار الداخلي ، يوسف الصديق . لقد كانت الإغراءات من الخارج قوية جداً ، وكانت تلح عليه كل يوم (تك ٣٩ : ١٠) . كانت الخطيئة هي التي تسعى إليه . ومع ذلك رفض كل تلك الإغراءات ، لأنه كان منتصراً من الداخل ، فاستطاع في نقاوة قلبه أن يقول « كيف أفعل هذا الشر العظيم ، وأخطيء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) . صدق القديس ذهبي الفم حينما قال :

لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً ، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه .

أى أن العوامل الخارجية لا تهزمه إلا إذا كان مهزوماً من الداخل أولاً . ولهذا يقول الرب « فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) .

إن القديس أوغسطينوس كان يعيش في الخطيئة حينما كان مغلوباً منها ، أى حينما كان يشتهيها . ولكنه حينما انتصر على نفسه من الداخل ، حينئذ قال عبارته الجميلة « جلست على قمة العالم ، حينما أحسست في نفسي إنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً » .

فإن تعبت يا أخى يوماً ، تأكد أنك متعب من الداخل . هناك ثقب في نفسك تدخل منه المتاعب الخارجية . لذلك قال الرب عن الإنسان الروحي المنتصر إنه « جنة

مغلقة ، عين مغلقة ، ينبوع مختوم » (نش ٤ : ١٢) .

الخطية الخارجية ، تبحث عن خطية داخلك ، لكي تتحد معها ، وتفتح لها أبواب القلب وأبواب الفكر.

والإنسان الروحي الذي يود داخله روح الله ، هذا لا تجد الخطية التي في الخارج مكاناً لها في داخله . تطرق على بابه فلا يفتح لها ، فتتركه وترحل ... عدو مثلاً يريد أن يثيرك لكي تخطيء ، فيجذبك غير قابل للاستشارة لأنك قوى في الداخل . ماذا يفعل إذن ؟ أما أن ينجل ويتركك ، أو أن يعتذر لك ، أو يكف عن استخدام هذا الأسلوب معك ...

★ الإنسان الروحي ينتصر على الخطية والشیطان ...

مادام قد انتصر على شهوة القلب من الداخل ، فلا بد أن ينتصر على الخطية من الخارج ، على كل حروبها وكل أفكارها . ولا تخدعه مطلقاً حيل الشيطان ، بل كما قال القديس بولس الرسول عنه : لا يطمع فينا الشيطان ، لأننا لا نجهل أفكاره (٢كو٢ : ١١) .

والإنسان الروحي إن حاربتة الخطية ، يقاومها بكل قوة .

مستفيداً بذلك من توبيخ القديس بولس الرسول للعبرانيين « لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) . ومستمعاً إلى قول القديس بطرس الرسول « اصحوا واسهروا ، لأن ابليس خصمكم كأسد زائر... فقاوموه راسخين في الإيمان » .

إن الإنسان الأول انخدع من حديث الحية (تك ٣) ، وفقد صورته الإلهية ، منهزماً أمام الخطية . أما الإنسان الروحي فليس كذلك . إنه يجب أن ينتصر ، مستفيداً من دروس الماضي .

إن أسوأ ما في هزيمة الأشرار ، افتخارهم بخطاياهم :

هؤلاء الذين قال عنهم القديس بولس « والآن أذكركم أيضاً باكياً ، وهم أعداء

صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ... ومجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٨ ، ١٩) .

أما الإنسان الروحي ، فإن مجده في الآلام التي يتحملها لأجل الرب ، منتصراً على ذلك الحزى الذى يفرح به الخطاة .

* * *

★ الإنسان الروحي ينتصر على العوائق التي تقف في طريق حياته الروحية .

و ينتصر أيضاً على العوائق التي تعترض نموه الروحي . إنه لا يسمح لشيء أن يعطله عن شركته مع الرب ، مهما كان ذلك الشيء صعباً ، أو مهما كان معطلاً لغيره . انظروا ماذا قال القديس بولس :

« من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟! أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عرى ، أم خطر أم سيف ؟! ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا . فإني متيقن أنه لا موت ، ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » (رو. ٨ : ٣٥ - ٣٩) .

* * *

الإنسان الروحي لا يقدم أعذاراً إذا لم ينتصر . بل يقدم اعترافاً بالخطأ وتوبة .

إن الأعذار لا تبرر الهزيمة أمام العدو . لقد لجأ كل من آدم وحواء إلى تقديم الأعذار ، فلم تكن مقبولة منهم أمام الله . فالله قد وضع أمامنا كل وسائل النصر . وهو مستعد أن يقودنا في موكب نصرته » (٢ كو ٢ : ١٤) ... العيب إذن في إرادتنا . وكل محاولة لتبرير هزيمتنا في حروبنا الروحية ، هي خطية أخرى تضاف إلى هذه الهزيمة ...

* * *

★ الإنسان الروحي ينتصر أيضاً على الضيق والمشاكل .

المشكلة لا تهزه ، ولا تهزمه ، ولا تضعف معنوياته ، ولا تعكر نفسيته ، ولا

يستطيع أن تلقية في دوامات القلق والاضطراب والشك . إنما هو ينتصر على المشكلة .
ولا يضيق قلبه بها ، ولا يفقد سلامه بسببها .

إنه ينتصر على المشاكل بالإيمان وبالصلاة والصبر .

ولعل من الأمثلة البارزة في هذا المجال : أيوب الصديق . كانت المشاكل التي
حلت عليه ، أصعب من أن يحتملها قلب إنسان عادى . من ذا الذى يستطيع أن
يحتمل فقد كل بنيه وبناته في يوم واحد؟ . ويفقد معهم كل ثروته وغناه؟! ولكن
هذا الإنسان الروحى لما سمع هذه الأخبار المحزنة قال «الرب أعطى ، الرب أخذ .
فليكن اسم الرب مباركاً» «عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك»
(أى : ١ : ٢١) . لذلك حسناً قال الله عنه إنه «ليس مثله في الأرض . رجل كامل
ومستقيم» (أى : ٢ : ٣) .

الإنسان الروحى ، لا ينتصر فقط على الضيقة ، بالاحتمال ، بل أكثر من
هذا يفرح بها .

كما قال القديس يعقوب الرسول « احسبوه كل فرح يا أختى ، حينما تقعون في
تجارب متنوعة» (يع : ١ : ٢) . وكما قال القديس بولس الرسول «بكل سرور أفتخر
بالحرى في ضعفتى ، لكى تحل علىّ قوة المسيح . لذلك أسرت بالضعفات والشتائم
والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح ...» (٢ كو ١٢ : ٩ ، ١٠) .

وما أجل ما قيل عن الآباء الرسل بعد أن سجنوهم ، ثم جلدوهم وأطلقوهم .. قيل
«وأما هم فذهبوا فرحين ... لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع ٥ :
٤١) .

الإنسان الروحى إذا حلت به ضيقة ، يقول في إيمان : إنها للخير:

متذكراً قول الرسول « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ :
٢٨) . لذلك فالضيقة لا تهزه ، بل تقوى إيمانه ، لأنه يعرف تماماً أن الطريق الموصل
إلى الله ، هو طريق ضيق (مت ٧ : ١٤) . فهو يتوقع إذن هذا الضيق ، ويسرّبه لأنه

دليل على أنه سائر في طريق الله . ثم هو بالإيمان ينتظر تدخل الله لإخراجه من الضيقة . وعلى أية الحالات فإنها تحمل له اقليلاً ... وبهذه المشاعر كلها ينتصر على الضيقة ...

* * *

* والإنسان الروحي لا يجد لذته في العالم ، بل يفرح بالانتصار على العالم وما فيه من المادة والشهوات ...

وما أجل ما قاله أحد الأدباء « افرحوا لا لشهوة نلتموها ، بل لشهوة أذلتموها » . وبالانتصار على الشهوات يثبت الإنسان الروحي إنه ابن الله ، لأن « كل الذين ينقادون بروح الله ، أولئك هم أولاد الله » (روم : ٨ : ١٤) . وإذ ينقادون بروح الله ينتصرون على الخطية ويفعلون البر ، « المولود من الله لا يخطيء » (١ يوحنا : ٣ ، ٥) .

* * *

وحياة الانتصار مفرحة ، لأن الإنسان الروحي يصبح بها قدوة لغيره .

ويقدم للناس مثلاً على إمكانية حياة البر ، وعلى أن حياة الانتصار هي واقع عملي يلمسونه أمامهم . كما يعطى مثلاً عن قوة أولاد الله التي ساعدتهم على الانتصار ، كما قال القديس يوحنا للشباب « كتبت إليكم أيها الشباب ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير » (١ يوحنا : ٢ : ١٤) . وكرر أيضاً تلك العبارة « وقد غلبتم الشرير » (١ يوحنا : ٢ : ١٣) .

* * *

* وحياة الانتصار مفرحة من أجل الوعود التي أعطاها الرب للغالبيين .

وقد سجلت في الرسائل التي أرسلها الرب إلى الكنائس السبع التي في آسيا (رؤيا : ٢ ، ٣) .

فقال ملاك كنيسة أفسس « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله » (رؤيا : ٢ : ٧) . وقال ملاك كنيسة سميرنا « من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني (رؤيا : ٢ : ١١) . والمعروف أن الموت الأول هو مفارقة الروح للجسد . أما الموت الثاني فهو الموت الأبدى ، أو هو الحرمان من الله ، والإلقاء في الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (مت : ١٣ : ٤٢) .

وقال لملاك كنيسة برغامس «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى...
وأعطيه اسماً جديداً» (رؤ ٢ : ١٧).

وقال لملاك كنيسة ثياترا «من يغلب ويحفظ أعمالى إلى النهاية، فسأعطيه سلطاناً
على الأمم... كما أخذت أنا أيضاً من عند أبى، وأعطيه كوكب الصبح» (رؤ ٢ :
٢٦ - ٢٨).

وقال لملاك كنيسة ساردس «من يغلب سيلبس ثياباً بيضاً، ولن أحو اسمه من
سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته» (رؤ ٣ : ٥).

وقال لملاك كنيسة فيلادلفيا «من يغلب فسأجعله عموداً، فى هيكل إلهى»
(رؤ ٣ : ١٢).

وقال لملاك كنيسة لاوديكية «من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى، كما
غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه» (رؤ ٣ : ٢١).

* * *

ما أجل هذا ... السيد المسيح يريدك أن تغلب ، وأن تجلس معه فى عرشه ،
فى الملكوت الأبدى...

وإن كنت من الغالبين ، تأكل من شجرة الحياة ، ومن المن المخفى ، وتلبس ثياباً
بيضاء ، وتصير عموداً فى هيكل الله ، ويصبح لك سلطان ، واسمك فى سفر الحياة ، بل
يكون لك اسم جديد...

وإن غلبت تسكن فى مدينة الله ، فى أورشليم السمائية مع الله والملائكة والقديسين
(رؤ ٢١)، وترث الملك المعد للأبرار منذ تأسيس العالم (مت ٢٥ : ٣٤)، وحيث
يكون المسيح ، تكون أنت أيضاً (يو ١٤ : ٣)، وتتمتع بما لم تره عين ، ولم تسمع به
إذن ، ولم يخطر على قلب بشر (١ كو ٢ : ٩). ولا يقوى عليك الموت الثانى ، بل تقوم
فى مجد ، بجسد سماوى روحانى (١ كو ١٥ : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩) ... كل هذه الأعماد
للغالبين .

* * *

حياة النصرة .. والحرب للرب

موكب المنتصرين

لقد قدم لنا السيد المسيح في تجسده الصورة المثالية لحياة الغلبة والانتصار،
إذ كان منتصراً في كل شيء:

لقد انتصر في كل حروب الشيطان، كما في التجربة على الجبل (مت ٤).
وانتصر في كل حوار له مع الكتبة والفريسيين والصدوقيين وكل قيادات اليهود
(مت ٢١-٢٣). وانتصر وهو على الصليب، إذ أمكنه أن يقدم فداء وخلصاً للعالم
كله، وداس على الموت بموته (عب ٢: ١٤، ١٥). كما انتصر على الموت بقيامته.
وانتصر على العالم، إذ قال:

« ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) .

ومن جهة البر كان منتصراً ، فقد شابهنا في كل شيء ما عدا الخطية (عب ٤ :
١٥) . وقد تحدى اليهود قائلاً « من منكم يمكنني على خطية؟! » (يو ٨ : ٤٦) .
وانتصر في كسب محبة الناس ، فقبل عنه « هوذا العالم قد ذهب وراءه » (يو ١٢ :
١٩) . ودخل أورشليم منتصراً كملك ، وارتجت المدينة كلها (يو ٢١ : ١٠) . وقيل
عن مجمل انتصاراته :

« هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا » (رؤ ٥ : ٥) .

وقيل أنه يغلب كل الملوك الذين يحاربونه « لأنه رب الأرباب وملك الملوك »
(رؤ ١٧ : ١٤) . وإذ قد انتصر باستمرار وعدنا الكتاب أنه « يقودنا في موكب نصرته »
(٢كو ٢ : ١٤) . وفي مجيئه الثاني سيأتي في موكب الغالبين « في ربوات قديسيه »
(يه ١٤) « بقوة ومجد كثير » (مت ٢٤ : ٣٠) .

وكما قدم لنا الكتاب مثالية انتصارات ربنا يسوع المسيح، كذلك قدم لنا الكتاب وتاريخ الكنيسة أمثلة لانتصار القديسين :

نذكر في مقدمة هؤلاء المنتصرين أباً الآباء ابراهيم :

لقد انتصر انتصاراً عميقاً وعجيباً، حينما أخذ ابنه وحيداً اسحق ليقدمه محرقة لله (تك ٢٢). انتصر على مشاعر الأبوة، وعلى آماله في نجوم السماء ورمل البحر (تك ١٥ : ٥). (تك ١٣ : ١٦). بل انتصر من جهة الإيمان أيضاً «إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات» (عب ١١ : ١٧ - ١٩).

وانتصر ابراهيم أيضاً على مشاعر القرابة والوطن، حينما قال له الله «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك» (تك ١٢ : ١). فأطاع « وخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب » (عب ١١ : ٨).

* * *

نذكر مثلاً آخر في الانتصار هو أبونا يعقوب :

انتصار من نوع آخر، هو الصراع مع الله، إذ أمسك به، وصارعه حتى الفجر، وقال له «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك ٣٢ : ٢٦) ونال البركة فعلاً، وقال له الرب «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تك ٣٢ : ٢٨).

كان يعقوب خائفاً من أخيه عيسو. ولكنه لم يعتبر أن الصراع قائم بينه وبين عيسو. وإنما صارع مع الله، مؤمناً أنه إذا انتصر في صراعه مع الله، ونال منه البركة والوعد والقوة، حينئذ لا بد سينتصر في علاقته مع أخيه، وقد كان...

كان في صراعه مع الله، قد أخذ الإيمان الذي يقابل به عيسو. إنه درس لنا في الصراع مع الله، حتى ننال منه وعده «يحاربونك ولا يقدرُونَ عليك، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك» (أر ١٩ : ٤).

* * *

مثال ثالث في النصر، هو أبطال الإيمان .

بولس الرسول الذى قال «جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان. وأخيراً وضع لى إكليل البر» (٢تى ٤ : ٧). بولس الذى وقف أمام ولاة

وملوك، وخرج منتصراً (أع ٢١ : ٢٨).

أثناسيوس الرسولى الذى بكل قوة انتصر على أريوس والأريوسية، وردّ على كل هرطقاتهم. وقيل له «العالم كله ضدك يا أثناسيوس» فقال «وأنا ضد العالم».

* * *

مثال رابع للانتصار، هو الشهداء والمعترفون :

انتصروا على كل التهديدات، وعلى السجون، وعلى العذابات التى تفوق احتمال البشر. وثبتوا على الإيمان، وقابلوا الموت ببسالة عجيبة. وكانوا مثلاً رائعاً جذب الكثيرين إلى الإيمان. لذلك تكرمهم الكنيسة تكريماً عظيماً، ونقول إن دماء الشهداء هى بذار الإيمان.

* * *

مثال خامس فى النصر، هو قديسو الرهينة والنسك

القديس الأنبا أنطونيوس مثلاً، كيف انتصر على محبة المال، ووزع كل أمواله على الفقراء. وانتصر فى حروب الشكوك وفى كل المخاوف والمفزعات التى وضعها الشيطان فى طريقه. وانتصر فى احتمال الوحدة والفقر والنسك، وفى بقائه فى البرية بلا مرشد أو أنيس لعشرات السنوات. وانتصر أيضاً فى قيادته لكثيرين فى هذا الطريق الملائكى، حتى أصبح نوراً للعالم.

ونضع مع القديس أنطونيوس فى موكب المنتصرين، كل آباء الرهينة الكبار، والنسك والمتوحدين والسواح والعموديين، وكل صفوف هؤلاء «الملائكة الأرضيين أو البشر السمايين» كما سماهم التاريخ... هؤلاء الذين انتصروا ثابتين فى حياة الوحدة والصلاة والتأمل والموت عن العالم، والبعد عن المناصب والشهرة...

كيف نتتصر

كل هذه وغيرها أمثلة من نوعيات عاشت حياة الغلبة والنصرة، وتركوا لنا مثلاً لتتبع خطواتهم. بقى علينا أن نسأل: كيف يمكننا نحن أيضاً أن نغلب ونتتصر.

لا يمكننا إطلاقاً أن نتتصر، إلا إذا حارب الرب عنا ...

إذا اعتمدنا على مجرد إرادتنا ، وقوتنا ، وخبرتنا ، وذكائنا فلا يمكن أن نتصير ، لأن العدو أكثر قوة وخبرة وحيلة ، والرب نفسه قال «بدونى لا تقدر أن تعملوا شيئاً» (يوه : ١٥ : ٥) .

إذن لابد أن يحارب عنا ، هو الذى يدافع عنا وينتصر . وكما قال الكتاب «الحرب للرب... والرب قادر أن يغلب بالكثير وبالقليل» (١صم ١٤ : ٦) . وأما النصره فهى من الرب (أم ٢١ : ٣١) .

أما الانتصار فكقول الرسول « يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٧) .
الرب ينتصر فيها ، حينما نسلمه إرادتنا ، ونسلمه تدير أمورنا ، وحينئذ «يقودنا في موكب نصرته» (٢كو ٢ : ١٤) .

* * *

قال السيد المسيح « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » . لم يقل «ثقوا أنكم ستغلبون» وإنما «أنا قد غلبت» فما معنى هذا ؟ معناه إنى أنا الذى سأغلب (فيكم) هذا العالم مرة أخرى إن سكنت فيكم . كما قال بولس الرسول «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى» .. (غل ٢ : ٢٠) .

إذن إن أردت أن تنتصر ، التصق بالمسيح ، اجعله يحارب عنك خذ منه القوة التى بها غلب العالم ، فتغلب ...
(بدونى لا تقدر أن تعملوا شيئاً) بدونى لا تنتصرون (يوه : ١٢ : ٥) .

إذن تمسك بالرب ، بكل قوتك . قل له : لا تتركنى ولا تتخل عني . أنا بدونك لا أستطيع أن أقاتل أصغرهم ، كما قال القديس أنطونيوس ، ولكننى بك أقول مع القديس بولس الرسول «أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى» .

إذن الغلبة الحقيقية هى التصاقك بالرب كل حين .

* * *

مشكلتنا الكبرى ، هى أننا نريد أن نتصير بقوتنا الخاصة ، بارادتنا بخبرتنا ، بذكائنا ، دون أن ندخل ربنا فى المعركة ...
وفى كل ذلك ننسى قول الرسول «شكراً لله ، الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (١كو ١٥ : ٥٧) .

نعم ، هذا هو سر الغلبة ، ربنا يسوع المسيح ، إن قاتل معك ، ولهذا يقول بولس أيضاً « يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (روم ٨ : ٣٧) .

* * *

ما أجل قول الكتاب « الحرب للرب ، والرب قادر أن يغلب بالقليل وبالكثر » (اصم ١٤ : ٦) .

مادامت الحرب للرب ، إذن هو الذى سيقاتل وليس أنت . يجب إذن أن تسلمه قيادة المعركة فى قتالاتك مع العدو ، مع العالم ، مع الخطية ، مع ذاتك ...

عبارة رائعة قيلت فى حروب موسى « للرب حرب مع عماليق » (خر ١٧ : ١٦) . إذن موسى لم يكن هو الذى يحارب عماليق ، ولا يشوع ، ولا يشوع ، بل الرب ... لا تقل : أتركنى يارب أحارب عماليق ، كلا . بل قل فى تواضع ، أنا لا أستطيع فحاربه أنت ...

* * *

نفس الوضع رأيناه واضحاً فى الحرب بين داود وجليات ...

قال داود لذلك الجبار « اليوم يحبسك الرب فى يدي » (اصم ١٧ : ٤٦) .
لست أنا الذى يغلبك ، وإنما الرب . الرب هو الذى سيحبسك فى يدي . وعندئذ أستطيع أن أجعل لحمك طعاماً لطيور السماء ... هذه هى الغلبة...
« أنت تأتيني بسيف ورمح ، وأنا آتيك باسم رب الجنود » (اصم ١٧ : ٤٥) .
لقد فهم داود السر ، فأدخل الله إلى ميدان المعركة .

قبل مجيء داود ، كان الناس يتحدثون عن « الرجل الصاعد » عن الجبار وقوته ، ومكافأة من يغلبه . فلما وصل داود ، بدأ يتحدث عن الرب ، ويدخل الرب إلى ميدان القتال ...

هل أنتصر داود إذن لأن يده كانت ماهرة فى القتال ، أم لأن الرب حبس جليات فى يد داود ؟ السر كله فى الرب نفسه . لذلك ما أجل قول داود فى كل حروبه « مبارك الرب الذى علم يدي القتال ، وأصابى الحرب » (مز ١٤٤ : ١) .

* * *

وأنت يا أخى ، هل تحارب وحدك ، أم الله يحارب عنك ؟

مسكين أنت ، إن حاربت وحدك . لأن الشيطان أكثر منك خبرة . له أكثر من سبعة آلاف سنة يحارب البشر . وهو أيضاً أكثر منك حيلة ومعرفة وقوة ، فحذار أن

تحاربه بمفردك .

خذ معك إذن سلاح الله الكامل ، الذى تستطيع به أن ترد كل سهام العدو الملتهبة (أف : ٦ : ١٣ ، ١٦) . وإن كان قائد الجيش لم يستطع أن يخرج للحرب وحده ، دون أن تخرج معه دبورة النبية (قض ٤ : ٨) . فأنت لا تخرج للحرب بدون الله معك ...

وقبل أن تحارب ، أطلب من الرب أن يدربك ، أن يعلم يديك القتال ، وأصابعك الحرب ... تتلمذ على الرب ، فيستطيع مقلاعك أن يفعل الأعاجيب . وبحصاة واحدة تكسب الحرب . وفى كل حروبك ، استمع إلى قول نبي بطل كموسى :

قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ :

١٤) .

الرب يقاتل عنك فى كل حروبك : فى الحروب الذى هى داخل القلب ، وداخل الفكر ، وفى الحروب الخارجية أيضاً ... والروح يشفع فىك بأنات لا ينطق بها . الله يرسل ملاكه إليك فى كل جب ، فيسد أفواه الأسود .

الإنسان الروحى يختبر الصلاة القوية ، لا يعرف الهزيمة إطلاقاً ...

لأنه بالصلاة يأتى بالرب ، ويدخله الميدان ، ويسلمه المعركة . لهذا قال داود « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أترزعزع ... لا أترزعزع طالما الرب عن يمينى ...

كان فى كل معاركه يصرخ إلى الرب : إلى متى يارب تنسانى ؟ يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى ؟ أسرع وأعنى ... (مز ٣ ، ٦٩) .

إنك تتعب إن قمت بمفردك ، تحارب عدوك بقوتك ...

ولكنك تغلب إن قلت (الله يغلبه لا الإنسان) (أى ٣٢ : ١٣) .

كذلك نرى خبرة روحية عميقة فى قصة أبينا القديس أنطونيوس الذى حاربه الشياطين بقوة وعنفة ، وزلزلت المقبرة التى كان يعيش فيها فى بدء نسكه . فقال لهم القديس « إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ، فمن أنا حتى أقاوم الله ؟ وإن لم يكن الرب قد أعطاكم سلطاناً ، فلن يستطيع أحد منكم أن يغلبنى ...

إذن الحرب ليست بينك وبين الأعداء ، إنما هى أولاً وقبل كل شىء مع

الله. إن صارعته حتى الفجر، وأخذت منه القوة، فلن يستطيع عدو أن يغلبك ...

الحرب أولاً في قلبك . هل أنت واثق أن الله واقف معك ، يحارب ويقاوم أعداءك إن وثقت بهذا تقول مع داود النبي « إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي، وإن قام على قتال ، ففي هذا أنا مطمئن » (مز ٢٦) .
الله يحارب عنك ، هذا حق - ولكن ينبغي أن تجاهد .

عمل الله معك ، ليس معناه أن تكسل . بل جاهد بكل قوتك . قاوم كل شهوة وكل رغبة خاطئة . كما قال الرسول « قاوموا ابليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) وأيضاً « قاوموه راسخين في الإيمان » (١ بط ٥ : ٩) . إن مقاومتك تدل على رفضك للخطية . وبذلك تستحق معونة النعمة ...
قاوم فقط الضعف التي فيك ولا تستسلم لها ...
واثبت في الجهاد ، إلى أن تنتشلك يد الله .

ولا تيأس أبداً في جهادك ، مهما بذت الحرب صعبة ، ومهما كثرت الفخاخ من حولك . وثق أن السماء ترقب جهادك ، وملائكة وقديسون كثيرون يشفعون فيك ... وليكن جهادك مسنوداً بالإيمان ... الإيمان بيد الله القوية وذراعه الحصينة ، التي تغني بها داود قائلاً :
« دُفعت لاسقط والرب عضدني . قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً »
« يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتني » .

جاهد إذن مع الله ، وجاهد مع نفسك ، وجاهد الشيطان . وكن قوى القلب . وتذكر أن الله كان يختار جبابرة البأس لحروبه ، مثلما استخدم جدعون (قض ٦ : ١٢) وداود (١ صم ١٦ : ١٨) . وكما قال عن الكنيسة في سفر النشيد إنها « مرهبة كجيش بألوية » (نش ٦ : ١٠) ، وهكذا النفس البشرية أيضاً ...

واستخدم أيضاً كل وسائل النعمة :

التصق باستمرار بزاميرك ، بصلواتك ، بقراءاتك الروحية وتأملاتك ، بالترانيم والتسابيح ، بالتدريبات ومحاسبة النفس واليقظة الروحية . التصق بالكنيسة ، بأب

الاعتراف، بالتناول، بالاجتماعات الروحية. فإن هذه كلها توقد الحرارة في قلبك، وتعمق محبة الله فيك، وتمنحك قوة للانتصار. أما إن بعدت عن هذه الوسائط الروحية، فما أسهل أن تفتري، ومجد العدو مدخلاً إليك...!

ثق أن كلمة الله سلاح قوى يساعدك على الغلبة .

وما أصدق وأعمق قول داود النبي في اختباره : « لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي ، هلكت حيثنذ في مذلتى » « لأن قولك أحيانى » (مز ١١٩). تذكر أن السيد في تجربته على الجبل، كان يرد على الشيطان بآيات من الكتاب، فأرانا أن كلمات الكتاب تصلح سلاحاً للرد على أفكار العدو. وكما قال داود النبي « كلمة الرب مضيئة تنير العينين من بعد » (مز ١٩).

ردد المزامير والآيات التى تشجعك وتقويك .

مثل المزمور الثالث والمزمور التسعين ، ومزمور الراعى (٢٣) وتغنى مع الرسول في قوله « يعظم انتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٧). وتذكر وعود الله وتشجيعه لأولاده، وقوله لزربابل « من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً » (زك ٤ : ٧)، وقوله للقديس بولس « لا تخف.. لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩، ١٠). وقوله من قبل لأرميا « يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك، يقول الرب، لأنقذك » (أر ١٩ : ١٩). وقوله كذلك ليشوع « لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٥)...

عش في محبة الله ، فتنصر . وعلى الأقل عش في مخافته .

واستن في جهادك بالصبر والصمود . وإن اخافك عدو الخير، تذكر قول بولس الرسول « استطيع كل شيء في المسيح . الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣).

وثق أنك كلما نلت خبرة في حروبك الروحية ، سوف تزداد قوة وإيماناً بالانتصار . وحاول ن تعيش باستمرار في جوروحى ، وأن تبعد عن الأجواء التى تبرد محبة الله في قلبك . بهذا سوف تحتفظ بحرارتك الروحية، وتقوى على محاربات العدو . وليكن الرب معك .

فصل الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن بعض صفات
أساسية للإنسان الروحي منها :
إنه صورة الله ، وقلبه مع الله ، ويجعل الله
أولاً ، ويعيش للمرب ...
وهو إنسان روي ، يحيا بالروح ، فوق
مستوى الجسد ، والنفس ، وفوق مستوى
المرييات ...

وهو إنسان قوي ، وإنسان ناجح ، ويحيا
بامتداد في حياة النصر ، وفي ضبط
النفس . وله مفهوم في الراحة والتعب ،
ويحيا بالروح لا بالحرف .
وله شخصية متكاملة .

يقدم لك هذا الكتاب بعض المبادئ
والقيم الروحية ، التي يجب أن تتصف بها
لتكون إنساناً روحياً .

ولتكن نعمة الله معك وتقوياتك لتسير في
هذا النهج الروحي ...

البابا شنودة الثالث